الفصل الثاني

حال البلدان العربية قبل العدوان الثلاثي على مصر

لا أريد أن أتكلم عن أحوال البلدان العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج فقد كان معظم أجزائها في هذه الفترة خاضعاً للمحتل الأجنبي وإنه يعنينا من هذه الدول فقط دول المواجهة التي اشتركت بجيوش نظامية في حرب عام ١٩٤٨ وصنعت نكبتها.

لقد منيت الجيوش العربية بهزيمة ساحقة أمام القوات اليهودية فخيبت بهذا آمال العرب بالنصر واستنقاذ فلسطين من مخالب اليهود المحتلين ولقد عرف الشعب العربي مسرحية الحرب هذه وعرفوا عدم خوض غمارها بجد واستعداد، وقد ألمحنا إلى هذا من خلال الفصل السابق ومن خلال ما قيل من شعر بهذه المناسبة ونحن لا نريد أن نكرر ما قررناه. . . . ولكن نريد أن نقول: إن الهزيمة المرة التي حلت بالجيوش العربية قد أحدثت ردة فعل لدى الشعب العربي في كل الأقطار فامتدت ملايين أصابع الاتهام إلى صناع هذه الهزيمة من الملوك والرؤساء وبات الشعب يدبر أمراً لهؤلاء كما ظهرت النقمة بجلاء ضد الغرب وأتباع الغرب فهم أصحاب اليد الطولى في غرس إسرائيل وتثبيت ذلك الجسم الغريب ورعايته إلى أن أصبحت إسرائيل دولة ذات كيان مستقل قوي لما تلقته من دعم الغرب والشرق المادي والمعنوي فقد عملوا بشتى السبل للمحافظة على هذا الكيان فكان البيان الثلاثي عام ١٩٥٠ صورة واضحة من صور الدعم الغربي وإتاحة المناخ الملائم لنمو هذه الغرسة البغيضة حيث

«عملت دول الغرب الكبرى ـ الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا وفرنسا على المحافظة على إسرائيل وحمايتها مدعية أنها تعمل للمحافظة على الأمن والسلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط[1] فأصدرت في ٢٥ مايو ـ أيار ـ ١٩٥٠ م تصريحاً مشتركاً أعلنت فيه عزمها على المحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة ومعارضتها الأكيدة لاستخدام أية دولة في هذه المنطقة القوة أو التهديد بالقوة كما أعلنت أنها ستعمل بكل ما في وسعها لمنع أية دولة من نقض الهدنة أو تعديل خطوطها وكذلك عبرت الدول الثلاث في هذا التصريح عن معارضتها

---

(١) يقول فيكتور بيرار: ان الانجليز هم أول من استعمل كلمة الشرق الأوسط سنة ١٩٠٧ ليعينوا بها المنطقة الآسيوية التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الهند ولم تكن أوروبة في القديم تهتم بها كثيراً ما عدا ألمانيا التي بدت شديدة الاهتمام بها حتى أصبحت قضية الشرق الأوسط شغلها الشاغل.

واصطلاح الشرق الأدنى الذي استعمل كثيراً من قبل الفرنسيين يشمل جميع البلدان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط: ليبيا مصر فلسطين سورية ولبنان بينما يعني اصطلاح الشرق الأوسط البلدان الواقعة على المحيط الهندي: شبه الجزيرة العربية العراق وإيران ومنذ عشرين عاماً أخذنا نفهم بالشرق الأدنى تلك الوحدة التاريخية والاجتماعية السياسية التي تتألف من البلدان الناطقة بالضاد المنفصلة عن الامبراطورية العثمانية أي مصر وسورية وفلسطين وشبه الجزيرة العربية والعراق ولكن الحرب العالمية الثانية فرضت اصطلاح الشرق الأوسط الستراتيجي الذي كثيراً ما استعمل من قبل قيادة الجيش البريطاني في القاهرة. إن في امكاننا إذن أن نوسع أو نضيق امتداد اصطلاح الشرق الأوسط حتى يشمل مثلاً البلاد العربية في المغرب وأفريقيا الشمالية بوجه عام وكذلك السودان وأفغانستان وباكستان (عن فرنان ديليه ـ الأسس التاريخية لمشكلات الشرق الأوسط ـ ص ٧ تعريب نجدة هاجر ـ طارق شهاب منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ـ بيروت لبنان ١٩٦٠).

ويرفض الكتاب الاسلاميون هذه التسمية الاستعمارية وعلى رأسهم المفكر محمد قطب لأن بذكرها يقصدون البعد عن التسمية الواقعية وهي البلدان الاسلامية أو منطقة الشرق الاسلامي والعربي أو العالم العربي. فإن هذه التسميات في نظرهم تبطل إدعاءات إسرائيل وحقها في هذه المنطقة فكلمة عالم إسلامي أو شرق عربي أو عالم عربي لا تدخل ضمنها إسرائيل لأنها ليست كذلك.. وعلى هذا فعبارة الشرق الأوسط أو الأدنى تشمل كل دولة في هذه المنطقة بما فيها إسرائيل وتلغي الصفة العربية أو الاسلامية عن هذه المنطقة وهذا تخطيط خبيث وأرى أنه ليس فقط من أجل إسرائيل وإنما قد يحمل المستقبل دولاً غير إسرائيل تقام في المنطقة على غير العروبة والاسلام فسلخ العروبة أو الاسلام عن هذه المنطقة معناه افساح المجال لقيام دول فيها بعيدة عن هاتين الصفتين وعليه فعلى إعلامنا ملاحظة هذا التركيز على عروبة وإسلامية المنطقة.

لأي سباق للتسلح من الدول العربية وإسرائيل وأكدت أنه لن يسمح بتصدير أسلحة لهذه الدول إلا لأغراض دفاعية محضة[1].

نماذج من اعتداءات اليهود:

ومن المعلوم أن التهديد في هذا التصريح لم يكن موجهاً إلا للعرب فقد تعددت جرائم اليهود في هذه الفترة دون أن يحاسبهم أحد ونذكر على سبيل المثال عدداً من جرائم إعتداءاتهم: «ففي شهر ديسمبر ١٩٥٢ م نسف اليهود قرية (أقرت) القريبة من الحدود اللبنانية ودمروا كنيستها وتركوا أهلها يهيمون على وجوههم في البرد والأمطار دون أن يسمح لهم بإيجاد مأوى في القرى المجاورة مما اضطرهم إلى الهجرة إلى لبنان. وفي شهر سبتمبر ١٩٥٣ م دمر اليهود قرية الريحانية وهدموا مسجدها وبيوتها ونهبوا أموالها وألقوا بأهلها على الحدود السورية وفي الشهر نفسه سبتمبر ١٩٥٣ هدم اليهود قرية«كفربرعم»قرب الحدود اللبنانية. . . وبلغ عدد القرى التي دمرت تدميراً كاملاً لغاية سنة ١٩٥٥ م «١٨٧» مائة وسبعاً وثمانين قرية عربية. .»[2].

في ٦ يناير ـ كانون الثاني ـ سنة ١٩٥٢ تسللت دوريات يهودية إلى قرية بيت جالا المجاورة لبيت لحم مهد المسيح ـ عليه السلام ـ فنسفت عدة منازل على رؤوس ساكنيها فقتل ستة أشخاص. بينهم طفلان. . مذبحة قبية وهي قرية عربية تقع على بعد كيلو مترين شمال القدس في المنطقة العربية ومع ذلك فقد هاجمها اليهود بفوج مشاة كامل التسليح ليلة ١٤ أكتوبر ـ تشرين الأول ـ ١٩٥٣ م ونسفوا منازلها بالمدافع الثقيلة والديناميت وفتكوا بالسكان الآمنين العزل من السلاح.

---

(١) د. أحمد عزت عبد الكريم ـ دراسات في تاريخ العرب الحديث ص ٤٧٥ ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٠م.

(٢) عبد الله التل ـ خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، ص ٣١٦ المكتب الاسلامي الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

وفي فبراير ـ شباط ـ ١٩٥٥ تسلل الجنود اليهود إلى معسكر اللاجئين في قطاع غزة وسلطوا نيران رشاشاتهم وقنابلهم على الآمنين العزل في خيامهم وقتلوا تسعة وثلاثين وجرحوا ثلاثة وثلاثين عربياً... وفي ١١ ديسمبر كانون الأول ١٩٥٥ هاجم اليهود المخافر السورية على شاطىء بحيرة طبريا الشرقي وقتلوا غدراً ستة وخمسين عربياً بين عسكري ومدني من بينهم ثلاثة نسوة...

وفي ٥ أبريل نيسان ١٩٥٦ سلط اليهود نيران مدافعهم الثقيلة على مدينة غزة الآهلة بالسكان وكذلك فعلوا في قرى دير البلح وعبسان وخزاعة، ونجم عن ذلك العدوان استشهاد ستين عربياً... وفي ليلة ٢٥ سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٦ هجم اليهود على قرية حوسان داخل الحدود الأردنية قتلوا فيها واحداً وثلاثين عربياً ما بين رجل وامرأة وطفل... ثم مذبحة قلقيلية وكفر قاسم...[١]

ورغم ذلك نجد أن بريطانيا والولايات المتحدة ومن في صفهم يمنع عن العرب السلاح ويعطيه بوفرة لليهود فإن بريطانيا تصر على تحقيق السياسة الوقحة التي تقول بحفظ التوازن بين العرب واليهود بمعنى أن يكون لدى الأمة العربية من المحيط إلى الخليج البالغ عددها مائة مليون أسلحة ومعدات حربية مساوية لما عند اليهود في دولتهم المسخ التي لا يتجاوز عدد سكانها مليونين ومن أجل ذلك نجد أن الانجليز يزودون اليهود بالاسلحة الثقيلة بدون مقابل كلما أحسوا أن ميزان القوى قد اختل لمصلحة العرب...

ينقل عبد الله التل تصريحاً للمسؤول عن الشؤون الخارجية في حزب العمال البريطاني قوله «نحن في بريطانيا لنا سياسة خارجية واحدة ثابتة وحزب العمال وسياسته الخارجية تتركز في حفظ توازن القوى في الشرق الأوسط»[٢] وينقل الوقفة نفسها للولايات المتحدة حين يقول: سلحت الولايات المتحدة

---

(١) السابق ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨.

(٢) السابق ص ٣٧٧.

العصابات اليهودية في فلسطين بجميع أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة كما أوعزت لفرنسا بتزويد إسرائيل بالطائرات المقاتلة «سوبر ميستير» التي تصنعها لحساب قوات حلف الاطلنطي ومنذ سنتين ـ والكلام عام ١٩٦٤ ـ سلمت اليهود صفقة من صواريخ «هوك» بدون مقابل وهي في سياستها هذه تسعى إلى تحقيق التوازن بين مليوني يهودي ومائة مليون عربي وهو المنطق الوقح الذي آمنت به كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وهي الدول الاستعمارية صاحبة التصريح الثلاثي سنة ١٩٥٠ م[١].

وبالاضافة إلى الدعم العسكري القوي فقد دعمت الدول الغربية إسرائيل اقتصادياً فوهبتها الأغذية وأعطتها الأموال لكي تشتد وتقوى.

ولكي نعطي فكرة عن هذه المعونات المالية نقول «إنه ثبت من الاحصاءات الرسمية أن إسرائيل تلقت في الفترة ما بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٥٧ ـ معونات مالية تبلغ سبعمائة وستة وثلاثين مليوناً من الدولارات يضاف إليها ثلاثمائة وثلاثون مليوناً من الدولارات أهدتها إليها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية منها خمسة وثمانون مليوناً كقرض طويل الأجل أما الباقي فكان هبة صريحة. . . وقامت ألمانيا بدور كبير في هذه الإعانات إذ أنها دفعت لاسرائيل ما يزيد عن خمسمائة وستة وعشرين مليوناً من الدولارات تعويضاً عن اضطهاد اليهود ومصادرة أملاكهم في عهد النازية»[٢].

لماذا الفشل؟

لقد كانت حرب عام ١٩٤٨ والنكبة التي حدثت من جرائها الامتحان الأخير ـ لليبرالية ـ[٣] النزعة الحرة ـ العربية، وكان نتيجة الامتحان ما أصبح

---

(١) السابق ص ٣٨٧.

(٢) جان مينو ـ القوى الخفية التي تحكم العالم ـ ص ١٥٥ ـ ترجمة محمد كامل حسن محمد فوزي محمود ـ دار البحوث العلمية ـ ١٩٧٣.

(٣) الليبرية ـ ويقصد بها الحرية في الفكر والتعبير والاقتصاد والعمل منطلقين من قول آدم سميث «دعوه يعمل ـ دعوه يسير ـ دعوه يفكر. .» وتتزعم الفكرة الليبرالية الولايات المتحدة الأمريكية.

معروفاً لكل عربي وكل مسلم: الهزيمة والفشل وضياع فلسطين وقيام إسرائيل وتشريد مليون عربي من أبناء فلسطين. أجل تحقق حلم صهيون وأصبح لليهود دولة وقامت إسرائيل وفي قبضتها مساحة من الأرض أكثر من كل ما عرض على عرب فلسطين من قبل فرفضوه، لقد تبين أن الجنود المحاربين كانوا يقاتلون بأسلحة فاسدة وقال أحد القواد في الميدان إني لا أخاف من «شرتوك» تل أبيب وزير خارجيتها حينذاك ـ بقدر ما أخاف من «شراتيك القاهرة»[1] وتبع هذا الفشل فشل في شتى الميادين الداخلية والخارجية «لقد أثبتت التجربة الليبرالية ـ النزعة الحرة التي تبناها الغرب ـ الديمقراطية فشلها في بلادنا وساءت في ظلها الأحوال وفسدت الأوضاع واختل ميزان المجتمع وتزعزعت القيم والأخلاق وأصيبت الحياة كلها بالبلى والعفن لم تستطع هذه أن تحقق التقدم المنشود للبلاد وأن تسير بالنهضة في طريقها الصحيح، لم تنهض بالاقتصاد القومي المطلوب لا في تنويع الانتاج ولا في زيادته ولا في تحسينه ولم ترتفع بالأمة إلى مستوى الأمم الصناعية القوية. لم ترق بالجيوش إلى مستوى الجيوش العصرية... لم تصن الحريات العامة للشعب مع أن الحرية هي سمتها الأولى ومفخرتها على التجارب الأخرى... لم تنجح في إقامة تضامن عربي حقيقي فضلاً عن وحدة عربية بله الوحدة الإسلامية»[2] ولقد أكد كاتب إسلامي هذه المعاني حين قال: «كان طبيعياً أن ننكب في فلسطين في زمن كانت مقاليد الأمور قد سرقت إلى يد الأنظمة العلمانية الليبرالية وفي زمن كان المفكرون التغريبيون يشكلون فيه عقل المرحلة ووعيها السائد، ألم يسقطوا الخلافة؟ ألم يقسموا الوطن الواحد إلى عشرات الأوطان؟ ألم يحاولوا تدمير وعي الأمة وإسقاط انتمائها ألم يحبطوا كل محاولات نهضتها؟.

لقد كانت إسرائيل ولم تزل جزءاً لا يتجزأ من التحدي الغربي الحديث لتاريخ وتراث أمتنا الحضاري الإسلامي... ثم يقول بلغة المتهكم:

(١) د. يوسف القرضاوي ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ١٠٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧.

(٢) السابق ص ١١١.

ها هي الليبرالية العربية تشهد في حياتها الفذة انتصارين هامين لها الأول في مطلع نشأتها حين طعنت الخلافة من الخلف وأسقطتها والثانية ختام مسيرتها حين أقامت دولة إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي. . . .[1] وغدا الشعب كل الشعب يحقد على هذه الدول الغربية وعلى صنائعها المحليين وبات لذلك يتقبل كل دعوة مناوئة للغرب وأنظمة الغرب دون النظر إلى ما ستكون عليه نتائج هذه الدعوات، لذلك نشطت الأحزاب اليسارية في هذه الدول وقد تبنت أفكاراً مناهضة للغرب ومناهج الغرب وباتت تطفو على السطح وتحدث تأثيراً واضحاً في أوساط الطبقات العمالية والمتعلمة والوسطى لذلك كان «البديل» عن الاتجاه الليبرالي المستورد الفاشل اتجاهاً مستورداً آخر هو «الاشتراكية» والاشتراكية الثورية خاصة ممزوجة بفكرة قومية عربية وبهذا كان الاتجاه الجديد مركباً من عنصرين أساسيين أحدهما: القومية العربية والآخر: الاشتراكية الثورية. . «كما رفع هذا الاتجاه شعارات جذابة مثل «الحرية» «والتقدم» وتميز هذا الاتجاه وإن شئت قلت تميزت هذه المرحلة بدخول الجيوش في ميدان السياسة وتسلم العسكريين زمام الحكم والقيادة السياسية في بلاد الاشتراكية الثورية»[2] لقد كان التيار الإسلامي هو أقوى التيارات التي تقود الشعب وتؤ ثر فيه وكان المتوقع أن يكون هو وارث الليبرالية ـ الفاشلة المنهارة وكان هذا التيار يمتد يوماً بعد يوم فيكتسب ولاء الألوف إثر الألوف بل الملايين بعد الملايين بوضوحه وبساطته وشموله وتوازنه وسموه وقوة تأثيره ووجود رصيده في فطرة الشعب وأعماقه ولكن القوى العالمية المتربصة بالإسلام ـ بأجهزتها الحساسة الراصدة لكل حركة إسلامية كانت متنبهة غير غافلة عن بلد كمصر. له مركزه الجغرافي والتاريخي والديني والثقافي في العالم العربي والإسلامي وله ثقله وتأثيره الذي لا يجحد. كانت هذه القوى الجبارة تخشى كل الخشية أن تنجح الحركة الاسلامية في مصر

---

(١) أحمد صادق ـ مقال في المختار الاسلامي أصداء السقوط ـ عدد ٢٢ السنة الثانية ١٥ جمادي الأولى ١٤٠١ هـ.

(٢) د. يوسف القرضاوي ـ الحلول المستوردة وكيف حنت على أمتنا ص ١٤٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧.

فتضم إلى قوتها الشعبية قوة الدولة وسلطان الحكم وبذلك تتاح الفرصة لظهور «صلاح الدين» آخر في مصر فتتبخر أحلام اليهود في القدس وفلسطين ودولة[1] إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل كما تحطمت من قبل آمال الصليبيين»[1] فضربت الحركة الاسلامية عام ١٩٥٤ في مصر.

لقد ظل الحكام العرب ومن سار بركابهم ينظرون إلى الغرب نظرة الولاء والتقدير والإعتماد عليه اعتماداً كلياً في دعمهم وتثبيت حكمهم دون أن يحملوه تبعات هزيمتهم في فلسطين... ولقاء هذا الولاء الأعمى من هؤلاء الحكام وأمام الشعور بالخطر من غضب الجماهير التي أصبحت تعي المشكلة بشكل واضح، عمل الغرب المستعمر على خلق الفوضى السياسية والاضطراب والقلاقل في المنطقة العربية المحيطة بإسرائيل وذلك لإضعافها عسكرياً وداخلياً حتى لا تفكر بالثأر من اليهود وقد نجح الغرب بذلك فرمى العرب بعضهم ببعض رغم وحدة الولاء فمن البديهي والواضح أن ولاء حكام مصر للإنجليز وكذلك ولاء حكام العراق والأردن ولكن رغم هذا نجد الصراع قائماً بين محوري بغداد والقاهرة ولم يكن لهما في يوم من الأيام أية علاقات حسنة قائمة على الشعور المشترك من أنهما أبناء دين واحد ولغة واحدة بل نجد بينهما اتهامات متتالية بخيانة القضية الفلسطينية فالعراق تتهم مصر بالتخلي عنها يوم الحرب وكذلك توجه مصر الاتهام نفسه... لقد أصبحت الأمور معقدة جداً في فترة ما بين النكبة والعدوان الثلاثي على مصر وكادت الحروب تكون بين الدول العربية بدل إسرائيل زد على ذلك الفوضى الداخلية في هذه البلدان لقد تنافست الأحزاب فيما بينها تنافساً غير شريف وأخذ كل حزب على عاتقه خدمة سيد أجنبي... وتتالت التنازلات تلو الأخرى لكي يحظى الحزب صاحب التنازلات الأكثر بالحكم ولو كان ذلك ضد نهضة البلد وضد رغبة غالبية سكانه ثم توج

---

(١) السابق ص ١٠٦.

الغرب هذه الفوضى ليزيد من إضعاف البلدان العربية، توجهاً ببدعة الانقلابات العسكرية المتلاحقة وتغيير الحكام عن طريق القوة ليزيد من ضرام الحقد الناتج عن سفك الدماء وبذلك يقلل من التماسك المعهود والعاطفة القوية بين أبناء البلد الواحد، وكانت بدعة التفريق الثانية هي بدعة الاحلاف العسكرية المرتبطة ظاهراً أو باطناً بعجلة الاستعمار الغربي. . . وليبقى هذا المستعمر مسيطراً فعالاً يضرب بعنف كل ارادة شعبية تدعو للتغيير بإخلاص وهكذا عرفت دول المواجهة جميعها في هذه الفترة في بحر متلاطم الموج وفي دوامات لا تثبت ولا تستقر على حال والدول العربية سفن تتقاذفها هذه الأمواج وتلفها تلك الدوامات فتصبح كالمغشي عليه لا يدري في أي تيه يسير، لقد كانت سنوات ما بعد حرب ١٩٤٨ إلى ما قبل العدوان الثلاثي سنوات فوضى في عمر أمتنا العربية ويمكننا أن نسميها سنوات كثرة الانقلابات العسكرية والاحلاف والمؤ امرات الغربية والفوضى السياسية والتدخل السافر في شؤ ون الدول العربية الداخلية والخارجية فقد وردت للدول العربية ١٩٥٠ م مذكرة مشتركة «قدمتها الدول الغربية الكبرى مجتمعة» الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا «طالبة فيها من الدول العربية الانضمام إلى الكتلة الغربية وقبول القروض والمعونات الفنية والحد من الشيوعية في المنطقة كما كانت هناك اقتراحات تؤ دي إلى تسوية مشكلة اللاجئين العرب»[1].

. . حال العراق:

ففي العراق مثلاً نجد انسحاب الجيش العراقي المفاجىء من ساحة القتال في فلسطين، حيث قرر اخلاء الجبهة التي كان ينتشر فيها محتجاً على قبول الهدنة. . . وهذا موقف وطني مشرف، لكن هذا الموقف يصبح ضباباً أو رماداً

---

(١) جوردون هـ توري ـ السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨ ص ١٩٦ ترجمة محمود فلاحة ـ دار الجماهير طبعة ثانية ١٩٦٩.

يذر في العيون إذا علمنا أن الجيش العراقي لم يقاتل ولم تكن له معارك ميدانية مشرفة وذلك للأوامر اللامنطقية التي كان يتلقاها من الجهات العليا رغم أن تعداده قد وصل إلى أكثر من تسعة عشر ألف مقاتل وكانت معداته الحربية أفضل بكثير من معدات الدول العربية الأخرى. . لقد أوقع انسحاب الجيش العراقي المفاجيء ـ وتخليه عن أماكنه التي كانت تحت سيطرته ـ الجيش الأردني في ارتباك قاتل أدى ذلك إلى خلخلة الجبهة الأردنية وبالتالي إلى فتح المجال أمام الملك عبد الله ليفاوض اليهود من موقف الضعف لأن جيشه لا يستطيع تغطية جبهتين معاً في حين استعد اليهود لاحتلال ما أخلاه الجيش العراقي وهنا تنازل الملك عبد الله لليهود عن خط طوله مائة وثمانون كيلومتراً بعرض عدة كيلومترات ولم يأبه الجيش العراقي لهذا الحادث إذ الواجب يحتم عليه البقاء حتى لا يستفيد العدو أفلا يعد هذا العمل تواطؤاً كان للإنجليز فيه اليد الطولى . . . ؟ ثم أعقب ذلك مباشرة تشكيل وزارة جديدة يرأسها نوري السعيد وقد لعب دوراً مشبوهاً خلال الخمسينيات لصالح بريطانيا في المنطقة. . . لقد دخلت العراق في هذه الفترة ضمن نفوذ سياسة بريطانية أمريكية محكمة حاول العراق خلالها تنفيذ ما يملي عليه من رغبات الغرب وتأثر جميع رجالاته البارزين الذين وجهوا سياسة العراق بأفكار الغرب لقد دخل العراق ضمن خطة صاغتها أمريكا وألقتها إلى بريطانيا صاحبة الشأن في المنطقة للهيمنة على مقدرات الشرق الأوسط بحجة حمايته من الشيوعية فوضع «أمين دولة الرئيس أيزنهاور الحقوقي فوستر دلس» خطة لاحتواء ـ العالم الشيوعي فيما وراء الحدود القصوى التي بلغها في ٢١ تموز ـ يوليو ١٩٥٤ م في جنيف وانتهى بوضع نظام معقد للأحلاف العسكرية منها:

حلف بغداد الذي أبرم في ٤ شباط ـ فبراير ـ ١٩٥٥ م بين العراق وتركيا ثم انضمت اليهما إيران والباكستان والمملكة المتحدة التي تخلت في الواقع عن توجيهه منذ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٥٧ إلى حكومة واشنطن [1].

---

(١) جماعة من المؤلفين الغربيين ـ قضايا عربية منذ ١٩٤٥ ص ٦٢٦ تعريب د. نور الدين حاطوم ـ دار =

حلف بغداد وآثاره على الدول المجاورة للعراق

لقد ارتبط العراق مع الغرب بحلف بغداد وأرادت أن تجر إليه عدداً من الدول العربية ودعت إليه بحماس ودافعت عن أفكاره وتخلت عن فكرة الهلال الخصيب التي كانت تدعو له بالتعاون مع الأردن وفي كلا الحالين فقد كان التركيز العراقي منصباً على سورية بالدرجة الأولى ـ لأن العراق يعتبرها ممراً حيوياً لبتروله ولهذا سلك طرقاً شتى من أجل ذلك. فكانت الانقلابات السورية واحداً من هذه الطرق إلا أن صاحب الانقلاب الأول ـ حسني الزعيم ـ تخلى فجأة عن هذه الفكرة حيث فشلت محادثاته مع نورى السعيد في دمشق فاغتنمت مصـر الفرصة وسارعت إلى إستمالة «الزعيم» إذ وجهت إليه الدعوة لزيارتها.. وبعد عودته من هذه الزيارة شن هجوماً على كل من العراق والأردن في خطاب ألقاه في ٢٦ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٩م جاء فيه «إن رحلتي إلى القاهرة جاءت مفاجأة غير سارة للأردن فقد اعتقد سادة بغداد وعمان أنني سأقدم إليهم تاج سورية على طبق من فضة وقد خاب فألهم فالجمهورية السورية لا تريد مشاريع هاشمية وسوف نوجه قوتنا ضد هذه المشاريع التي أوصى الأجنبي بها ويجب ألا يتبادر إلى الذهن أن دولاً أجنبية خاصة تساند المشاريع الهاشمية فلقد تلقينا أنباء من أن بريطانيا العظمى مع الحالة الراهنة وأن فرنسا والولايات المتحدة لن تقبلا بالتغيير مطلقاً»[1] وإذا كان لنا من تعليق على هذا التصريح فهو إنه يدل بوضوح على عمالة صاحب التصريح وعلى سذاجته فهو يعتبر المشاريع الهاشمية من صنع أجنبي ثم ينفي علاقة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة بها فإذا كانت رؤوس الدول الاستعمارية مع الزعيم وتقف في صفه ضد المشاريع الهاشمية فمن هو الأجنبي الذي أوصى بهذه المشاريع الهاشمية يا ترى؟ وإذا كان ما يقوله صحيحاً

= الفكر ١٩٧٢.

(١) د. جهاد مجيد محي الدين ـ العراق والسياسة العربية ١٩٤١ ـ ١٩٥٨ ص ١٩٧ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٠.

فهذا دليل على أن الدول الاستعمارية تريد فقط ضرب العرب بعضهم ببعض لأنها توصي كل عميل بتوجيهات مخالفة للآخر كما يفسر لنا هذا التصريح بوضوح نوايا الدول الاستعمارية التي تعارض كل تقارب عربي أو وحدة عربية حتى وإن كانت هذه الوحدة مشبوهة ومن تخطيطهم. . فأفضل شيء بالنسبة لهم التجزئة والفرقة والصدام ليبعد اللقاء.

وكان نتيجة هذا التصريح أن زادت بغداد من تآمرها لقلب الزعيم وهكذا بعد ستة أشهر فقط كان الانقلاب الثاني في سورية وهذه المرة «كانت اللعبة السياسية تجري في سورية بتحريك من العراق فالحناوي ـ قائد الانقلاب ـ يريد الوحدة مع العراق»[1]. وفي السابع والعشرين من أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٠ اعتقلت الشرطة العسكرية النائب منير العجلاني وسجنته بتهمة التآمر مع الملك عبد الله ملك الأردن ـ لتنفيذ مشروع سورية الكبرى[2]. وهكذا فقد كانت كل محاولة للتقارب أو جلب سورية لصف العراق تفشل وتنتهي بسرعة سواء أكانت تحت اسم مشروع الهلال الخصيب أو تحت اسم حلف بغداد الدفاعي. . «لقد نوقشت فيما مضى بعض أسباب إخفاق إقامة وحدة عراقية سورية في العقد الزمني الذي تلا الحرب فالافرنسيون والسعوديون والمصريون كانوا جميعاً معارضين لها ولقد فهمت بريطانيا مشاعرهم جميعاً وكانت في كل مرة مترددة في أن تقوم بما قد يؤدي إلى إقلاق وضعها السائد في العراق ولم تشجع الولايات المتحدة قيام أي دمج بين العراق وسورية مراعاة منها لابن سعود في البدء ومن ثم لعبد الناصر بعد ١٩٥٤»[3].

ولا ينكر أن مسعى العراق هذا قد أوقع الخلاف ـ على الزعامة ـ بين الدول

---

(١) جوردون هـ. توري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ١٥٥ ترجمة محمود فلاحة ـ دار الجماهير طبقة ثانية ١٩٦٩.

(٢) السابق ص ١٩٣.

(٣) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ص ٣٤٩ ترجمة سمير عبده محمود فلاحة دار الأنوار بيروت ١٩٦٨.

العربية فإعلان «العراق في كانون الثاني يناير ١٩٥٥ عن قراره عقد ميثاق مع تركيا شق العالم العربي وأدى إلى اتهامات مضادة من القاهرة»[١]. إن العلاقات السورية بمصر بدأت تعني شيئاً تافهاً لسورية على حين كان الحلف الباكستاني ـ التركي يخلب لب الزعماء السوريين وقد رحب سوريون كثيرون بالمعونة العسكرية الغربية المأمولة التي سيأتي بها الانضمام إلى الحلف وباتوا يعتقدون أن هذا سيقوي البلاد في وجه التهديدات الاسرائيلية»[٢].

وجاء البيان الوزاري الذي ألقي في مجلس النواب ـ السوري ـ «يوم الثاني والعشرين من شباط ـ فبراير ١٩٥٥ تصريحاً بالحياد ورفضاً محدداً للحلف العراقي التركي»[٣] وقد دافع ساسة العراق عن حلف بغداد وشرحوا أهدافه الظاهرة وقال أحد ساسته «وفي الحقيقة والواقع انه ليس حلفاً ولا ارتباطاً ولا هم يحزنون فهو ليس إلا إعراباً عن استعداد العراق للتفاهم وشجب الجبهة الشيوعية الملحدة المخربة والتهيؤ للدفاع عن أراضيه وكرامته إذا وقع عليه اعتداء من أية قوة خارجية وإذا كانت هذه القوة الخارجية شيوعية فاستعداده للدفاع عن حدوده سيكون أقوى وأمضى لأن العراق يرى في الشيوعية عدواً لقوميته ودينه وتراثه وتقاليده وحريته.. هذا كل ما في ميثاق بغداد من هدف مضمون ونتيجة ومعنى ذلك أن العراق إذا أثبت بهذا وده للغرب وتهيأ للدفاع عن نفسه فإن الغرب يمونه مجاناً وبلا قيد وشرط بما يحتاج إليه من سلاح وعتاد ووسائل فنية يخدم بها جيشه وشرطته ويجعله في أعلى مستوى بين الجيوش العربية وحتى الشرق أوسطية.. وفي اليوم الأول الذي أبدى فيه العراق إستعداده للتفاهم مع الغرب بدأ اسم العراق يرتفع في الأوساط الدولية وشأنه يعلو كثيراً

---

(١) جوردون هـ. توري: السياسة السورية والعسكريون، ص ٢٨٩ ترجمة محمود فلاحة دار الجماهير، ط ٢ ١٩٦٩.

(٢) السابق ص ٢٨٦.

(٣) السابق ص ٢٩٤.

لما بدأ[1] يتسلم الدبابات الانجليزية النادرة الموجودة في أرقى الجيوش الأوروبية»[1].

وقبل أن نتابع موضوعنا حول حلف بغداد أرى أنه من واجبي أن أفند قول هذا السياسي الذي عمل وزيراً لخارجية العراق ثم رئيساً لوزرائه من أنه يغالط نفسه من أجل الترويج لهذا الحلف وأنقل هنا ما كتبه عقيد في[2] الجيش العراقي وكأنه يرد على مزاعم السويدي فقال: «أما العراق فإنه بالرغم من انضمامه إلى حلف بغداد وخروجه على إجماع الدول العربية في مقاطعتها لهذا الحلف فإن بريطانيا والولايات المتحدة لم تزوده بما يحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية إرضاء لاسرائيل وكانت المساعدات التي استلمها العراق باسم الحلف تتألف من عدد قليل من الدبابات من نوع سنتوريون مجردة من أسلحتها الثقيلة وعدد قليل من المدافع»[3] أما فوائد بريطانيا وشركائها فهي أكثر من أن توصف «فإن اسباباً عاجلة فرضت على بريطانيا موقفها وهذه الأسباب هي الفوائد العسكرية التي تجنيها من الحلف وتزايد أهمية زيت الخليج العربي إن قيمة الاتفاق الخاص مع العراق في ٤ نيسان ١٩٥٥م حين انضمت بريطانيا إلى حلف بغداد هي أنه جاء بديلاً عن المعاهدة الانجليزية العراقية التي كانت تُهاجَمُ مهاجمة شديدة في العراق..

فقد أكد الاتفاق الجديد التسهيلات الممنوحة لبريطانيا في الطيران فوق الأراضي العراقية والهبوط في الموانىء الجوية العراقية وخدمة الطيران البريطاني بالرغم من أن المطارات انتقلت إلى سيادة الحكومة العراقية»[4]. كما ننقل هذه الفقرة لكاتب غربي نبين فيها أيضاً بطلان قول السويدي «لقد بلغ من قصر نظر

---

(١) توفيق السويدي ـ مذكراتي ص ٥٤١ دار الكاتب العربي ١٩٦٩م.

(٢) العقيد الركن المتقاعد صلاح الدين عبد القادر محمد فائز.

(٣) عقيد ركن متقاعد صلاح الدين عبد القادر محمد فائز ـ عشرون عاماً من حربنا مع اسرائيل ص ١٤٩ مطبعة الشعب ـ بغداد.

(٤) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ص ٢٩٩ ترجمة سمير عبده ـ محمود فلاحة دار الأنوار بيروت ١٩٦٨م.

الدول الغربية أنها حينما أنشأت حلف بغداد الثلاثي في عام ١٩٥٥م اشترطت على الدول العربية التي اشتركت في هذا الحلف المتعلق بالنزاع بين الشرق والغرب وهو لا يعنيها في شيء ـ ألا تستعمل الأسلحة المسلمة إليها في النزاع العربي الاسرائيلي»[١].

لقد عملت العراق كل ما في وسعها من أجل إظهار الحلف بمظهر المنقذ كما أن الذين قاوموا الحلف لم يقاوموه من وجهة النظر الاسلامية وإنما قاوموه لأنه يعارض مصالحهم الشخصية كالسبق على زعامة العرب أو لأنه يعارض مصالح أسيادهم زعماء الشيوعية لأنه سيقف أو يحد من أطماعهم، «لقد استطاعت بريطانيا في شهر شباط من عام ١٩٥٥م أن تقيم حلفاً للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط سمي حلف بغداد، انضمت إليه كل من الباكستان وإيران وتركيا والعراق ولقد عارضت الدول العربية وعلى رأسها مصر انضمام العراق إلى حلف بغداد لأنها كانت تعتبره حلفاً غير متكافىء يربط الدول العربية بعجلة الاستعمار الغربي. ولم تشترك الولايات المتحدة في حلف بغداد إشتراكاً كاملاً وإنما اكتفت باشتراكها في الجانب الاقتصادي منه إرضاء لاسرائيل لأنها كانت قد عارضت في انضمام الدول العربية إلى الحلف خشية تزويدها بكميات من الأسلحة تؤثر في التوازن العسكري»[٢] ومن هذا يدل على أن مصر كانت تعارض بشدة حلف بغداد. وهذا خلاف ما لمسه منها نوري السعيد الذي زار مصر في صيف عام ١٩٥٤م «وبحث تمسك العراق بالحلف الباكستاني ـ التركي ومن الواضح أن عبد الناصر نصحه ألا ينضم إليه ريثما يتوصل إلى تسوية مع بريطانيا حول جلائها عن منطقة قناة السويس، وعقب التوصل إلى اتفاق حول هذا في تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٥٤م بدأت العراق مفاوضات مع تركيا

---

(١) جان منيور القوى الخفية ـ ص ١٥٩ ترجمة محمد كامل حسن ـ محمد فوزي محمود ـ دار البحوث العلمية ١٩٧٣م.

(٢) عقيد ركن متقاعد صلاح الدين عبد القادر محمد فائز ـ عشرون عاماً من حربنا مع إسرائيل ص ١٤٨ مطبعة الشعب ـ بغداد.

وطرحت القضية في اجتماع وزراء خارجية دول الجامعة العربية الذي عقد بالقاهرة في أوائل كانون الأول ـ ديسمبر ـ .

ومن المؤكد أن الاتفاق على قبول الدول العربية معونات عسكرية غربية كان عاماً رغم وجهات النظر المتباينة في ذلك الاجتماع وربما قبول نوع ما من الاتفاقية العسكرية على شرط ألا تنتقص سيادة هذه الدول وفضلاً عن ذلك وافقت مصر على إعادة تشغيل قاعدة السويس في حال حدوث هجوم على تركيا»[1]ورغم هذا الولاء للغرب والتعهد بتقديم التسهيلات للقوات البريطانية فإنها عارضت حلف بغداد. لذلك دعت إلى عقد مؤتمر الوزارات العربية في بداية عام ١٩٥٥ وقد تغيب نوري السعيد لمرضه فمثله فاضل الجمالي في الجلسة الثامنة وألقى خطاباً أوضح فيه بأن سياسة العراق تتلخص في ثلاث نقاط «الأولى تحرير العرب ووحدتهم والثانية سلامة العراق والمحافظة على صداقته مع جيرانه والثالثة: تتعلق بالسياسة الدولية.. وأصبحت سياسة العراق دائماً إيجابية مع الغرب وهذه السياسة تنسجم مع مقررات وزراء الخارجية التي تعتمد على ميثاق الجامعة ومعاهدة الدفاع العربي المشترك.. وأن العراق من حقه تنظيم الدفاع عن أرضه ولا يعتبر هذا خروجاً عن المواثيق المتفق عليها»[2]. وفي «خطاب ألقاه فاضل الجمالي أمام مجلس النواب العراقي بتاريخ ٦ شباط ـ فبراير ١٩٥٥ حول ما دار في المؤتمر من مناقشات قال فيه: ولقد قلت لأعضاء المؤتمر إن الجامعة العربية منظمة قومية وليست إقليمية وأنه توجد اليوم نظريات ثلاث: السير مع الشرق ـ أي مع الشيوعية ـ والوقوف على الحياد والتعاون مع الغرب، وتقولون نحن لا نريد السير مع الشيوعية ولا نستطيع الوقوف على الحياد إذن فالتعاون مع الغرب أمر لا بد منه»[3] وهكذا وضع هذا السياسي الفذ العرب

---

(١) جوردون هـ توري ـ السياسة السورية والعسكريون ـ ترجمة محمود فلاحة ص ٢٨١ دار الجماهير طبعة ثانية.

(٢) د. جهاد مجيد محي الدين ـ العراق والسياسة العربية ص ٢٦٤ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٠.

(٣) السابق ص ٢٦٥.

أمام الخيار الغربي منكراً على العرب شخصيتهم العربية ولا نقول الاسلامية لأنه أبعد ما يكون عن تمثيل الأمة المسلمة. . . فالدول الصغيرة التي لا يزيد تعدادها عن ربع تعداد العرب تأبى إلا أن يكون لها شخصية مستقلة وهي لا تملك من المقومات والتراث ما يملكه العرب ونحن على لسان ساستنا نهمل ونضيع ونمحق شخصيتنا كأمة متميزة لها دورها ووزنها في العالم.

إن مثل هذا السياسي مدان بتذويب الشخصية العربية في «أسيد» الغرب لكي تتلاشى وتصبح بعد عمرها المديد المشرق لا شيء وأمم كانت تحت الرمال يحاول ساستها أن يخرجوها إلى مصاف الدول الكبرى العالمية فأي جناية جناها هؤلاء الساسة الببغاوات على أمتنا، وأي نقص كان يعتريهم من إنتسابهم إلى أمتنا حتى تنكروا لها وخجلوا من ذكرها وإحياء مجدها وعلى كل حال فالأمة لا تريد أمثال هؤلاء الجاحدين.

ثم جرت اجتماعات لوفود مصر مع العراق ولكن الشقة في الخلاف كانت تتوسع وتزداد فإن مصر لم تقتنع وظلت تشن الحملات الدعائية ضد هذا الحلف فما هي أسباب هذه المعارضة الحقيقية يا ترى. . ؟

سياسة بريطانيا في المنطقة:

يمكن أن يكون أحد هذه الأسباب الغيرة وذلك لتحول بريطانيا نحو العراق ـ وإهمالها لمصر وزعماء مصر الجدد الذين يحملون و يتطلعون لزعامة العرب ويمكننا أن نتلمس ذلك في النص التالي «كانت بريطانيا منذ عام ١٩٥١م قد عرضت على مصر أن تشترك معها في مشروع الدفاع الجماعي عن الشرق الأوسط لقاء تحقيق أمنية الشعب المصري في جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ولكن الحكومة المصرية القائمة في ذلك الحين رفضت الاشتراك في هذا المشروع البريطاني واقترحت على بريطانيا تأييد ميثاق الضمان الجماعي العربي الذي يحقق الدفاع عن المنطقة من قبل دول الجامعة»[1].

(١) صلاح الدين عبد القادر ـ محمد فائز ـ عشرون عاماً من حربنا مع اسرائيل ص ١٤٧ مطبعة الشعب بغداد.

ويبدو أن بريطانيا يئست من مصر فاتجهت نحو العراق ولما دخلت في هذا المشروع شوطاً كبيراً مع العراق ظهر أن حكام الثورة في مصر يرحبون بالقيام بهذا الدور وحارت بريطانيا ثم وازنت بين الطرفين وظلت على الاختيار الأول ومضت فيه بعد أن أخذت الموافقة المبدئية من مصر. . فقد زار «ايدن» رئيس وزراء بريطانيا مصر ونزل في السفارة البريطانية وهو في طريقه إلى الشرق وأقيم حفل عشاء حضره عبد الناصر وكتب ايدن يقول: «قدم السير جون تقييماً استراتيجياً ممتازاً للوضع وافق عليه عبد الناصر موافقة تامة وأعلن عبد الناصر أن مصالحه وعواطفه مع الغرب لكنه احتج بأن الحلف التركي العراقي بتوقيته السيء ومحتواه المشـؤوم قد أخر تأخيراً خطيراً تطور التعاون بين الدول العربية والغرب » ثم أعلن ايدن «لا ريب في أن الحسد يلعب دوره في هذا مع رغبة محمومة في قيادة العالم العربي» ثم يقول إيدن بعد أن زار نوري السعيد ووجدت في حديثي مع نوري السعيد أن الخطط لاتفاقية دفاعية جديدة بيننا مع انتسابنا لحلف بغداد قد تقدمت تقدماً حسناً. . تناولنا العشاء. . كانت أمسية حلوة تحدثنا فيها بعد قليل عن المشروع التجريبي للاتفاقية الجديدة التي وضعها رئيس الوزراء ورأيت أننا لم نختلف إلا في بعض التفاصيل. . . الثقة الولاء المصالح المتبادلة، الدعم الطويل المألوف الذي يربط بريطانيا بنوري السعيد والأسرة المالكة العراقية كل ذلك لا يمكن أن يوضع على الرف لكي تبعث بريطانيا السرور في نفس ضابط شاب في القاهرة»[1]. وهكذا وازنت بريطانيا بين أفضل عميلين فكان اختيارها لنوري السعيد ويبدو من عبارة «ايدن الأخيرة انه أخطأ الاختيار. . أما الأسباب الأخرى فقد ذكرها أحد الكتاب فقال: «إن معارضة مصر سياسة العراق الخارجية مبنية على أساسين:

١ ــ إن اتحاد سورية والأردن بالعراق يهدف إلى إيجاد محور رجعي في المنطقة العربية ضد مصر وبالتالي عزلها وإن تحقيق مثل هذه الوحدة لا يعني غير امتداد النفوذ البريطاني المسيطر على العراق إلى أقطار عربية أخرى.

(١) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ص ٢٩٨ ـ ترجمة سمير عبده ـ محمود فلاحة دار الأنوار بيروت ١٩٦٨.

٢ ـ أما المسألة الثانية فهي مسألة الانضمام إلى الأحلاف الغربية ولقد أوضح ساسة العراق بعد أن جوبه قرارهم بالانضمام إلى الأحلاف بانتقادات شديدة من معظم الأقطار العربية، بأن انضمامهم إلى هذه الأحلاف استند إلى أن ظروف العراق الخاصة تختلف عن ظروف باقي الدول العربية الأخرى إذ أن قربه من الحدود الروسية ووجود حدود طويلة له مع إيران يحتم عليه الدخول في تحالف عسكري مع جاراته أما وجهة نظر السياسة المصرية فتختلف عن وجهة نظر السياسة العراقية فهي ترى بأن معاهدة الضمان الجماعي العربي تمنح العراق ضماناً أوثق مما لو تعاون مع دول الغرب»[١].

وربما يكون الصراع على سورية واحداً من بين أسباب الخلاف بين مصر والعراق ويوضحه ما جاء في هذه الفقرة «غير أن بريطانيا بعد انضمامها إلى حلف بغداد وجدت نفسها تجاه لعبة شد الحبل العربية حول سورية ففي أقل من عام تخلت عن حيادها السابق تجاه مشروع اتحاد الهلال الخصيب وشاركت العراق مؤامراته لتستعيد زمام المبادرة في سورية ولم يشر إلى هذه الفكرة بهذه العبارات طبعاً وإنما أشير إليها تحت إسم تقوية حلف بغداد بتأمين عضوية سورية فيه أو باسم انقاذ سورية من النفوذ المصري أو التدخل الشيوعي»[٢] ولكن فازت مصر بسورية بالطبع حيث «انتهت المباحثات بين مصر وسورية إلى عقد اتفاق ثنائي في ٢٢ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٥م وقد تضمن هذا الاتفاق توحيد الأغراض الدفاعية وإنشاء جهاز موحد مع قيادة موحدة تتولى تدريب القوات المسلحة واقامة منشآت الدفاع وتمويلها»[٣].

وقد يكون الصراع على زعامة العالم العربي كله من أقوى أسباب الخلاف

---

(١) د. جهاد مجيد محي الدين ـ العراق والسياسة العربية ص ٢٧٨ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٠م.

(٢) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ص ٣٠١ ترجمة سمير عبده ـ محمود فلاحة دار الأنوار ـ بيروت ١٩٦٨.

(٣) د. جهاد مجيد محي الدين ـ العراق والسياسة العربية ص ٢٧٩ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٠.

لأن مصر قد وقعت اتفاقيات ثنائية أخرى مع كل من المملكة العربية السعودية والأردن واليمن.. وأن مصر ممثلة بشخص عبد الناصر تريد زعامة العالم العربي كله ولكن تحت ستار اتفاقات عربية صرفة ـ لأنها الطريق الأسلم من الدخول في أحلاف مكشوفة معروفة بولائها للغرب ويؤكد هذا العبارة التالية «ومن المؤكد أن الحكومة البريطانية ظهرت مؤخراً بمظهر المشدوه من عنف الهجوم المصري على حلف بغداد وإنها رددت شكواها في البيت الأبيض من أن عبد الناصر قد تراجع عن كلمته غير أن الارتباك لم يقتصر على جانب واحد فعبد الناصر بدوره تظلم من أن بريطانيا والولايات المتحدة قد خرقتا «اتفاقية الجنتلمان» مع مصر التي تصورت أن عليها قيادة حلف دفاعي عربي صرف»[1]. لقد أمل نوري السعيد أن يجد في مصر خير معين ومؤيد لمشروعه وتوقع إنضمامها للحلف لأنه كان يعتقد أن شروط حلف بغداد الذي ربطه ببريطانيا لا يقل شأناً ولا يختلف عن معاهدة الجلاء عن قناة السويس التي ربطت مصر ببريطانيا أيضاً، ولكن اتفاقية الجلاء التي عقدتها مصر ضربت عليها نوعاً من الكتمان الاعلامي وكممت أفواه المنتقدين لها لذلك لم يكن أمام الجماهير العربية إلا حلف بغداد وخيانات زعماء العراق فقط.. مع ذلك فقد أصر العراق على المضي في مشروعه والانتماء إليه لأنه يعتقد أنه يستطيع أن يفعل كما فعلت مصر لأنه لا يقل أهمية عنها «وقد يتساءل البعض عن أسباب إصرار نوري السعيد على هذه السياسة بعد أن عارضتها مصر. إن نوري السعيد يؤمن بسلامة سياسته ويؤمن بأنه المسؤول عن سلامة بلاده وأنه ليس من حق أحد أن يتدخل في شؤونها ويوجهه وجهة لا يرضاها إضافة إلى أن ولاءه السياسي لبريطانيا قد جعله أهلاً لأن يرحب بتنفيذ المشاريع البريطانية وأن يعتبر حلف بغداد أحد مظاهر هـذا الولاء»[2].

---

(١) باتريك سيل الصراع على سورية ص ٢٩٧.

(٢) د. جهاد مجيد محي الدين ـ العراق والسياسة العربية ص ٢٥٥ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٨٠م.

حـال مصر :

اختلف الأمر في مصر بعد هزيمة عام ١٩٤٨م فقد اتهمت مصر ملك الأردن بالتآمر على جيشها بالفالوجة وعدم مساعدته ليلقى مصيره منفرداً على أيدي اليهود ثم قبلت بالهدنة وكانت أول من قبل بمحادثات رودس التي تكلمنا عنها في فصل سابق، والمهم في حوادث هذه الفترة (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦م) عملية التآمر للقضاء على الاخوان المسلمين من قبل نظامين متباينين النظام الملكي والنظام الجمهوري ونذكر هذه الفئة لأنها سمة تلك الفترة حيث شغلت حيزاً كبيراً في الصحافة والاعلام على المستوى المحلي والعالمي «تلك الفئة التي عملت بجد وإخلاص ونشطت للتحرر من الاستعمار والتبعية ليتسنى لها إعادة مجد الأمة العربية المسلمة باعتمادها على الله أولاً ثم على العاملين المخلصين ثانياً، لقد أعطى الأخوان جل وقتهم لقضية فلسطين وتابعوا باهتمام تطوراتها منذ الثلاثينيات من هذا القرن وساعدوا أهل فلسطين مادياً وفكرياً باعتبارهم إخوة في العقيدة، ولما قررت الأمم المتحدة تقسم فلسطين خطب المرشد العام الشيخ حسن البنا خطبة أعلن فيها الجهاد ضد اليهود الغاصبين ووعد بتقديم عشرة آلاف متطوع كدفعة أولى حين قال: «أيها الزعماء.. انتم القادة.. وهؤلاء الجنود.. قد وقفوا دماءهم لدفاعكم المقدس.. إن هذا الشباب ليس هازلاً ـ ولكنهم جادون.. عاهدوا الله.. على أن يموتوا من أجله.. إنه وإن كان ينقصنا اليوم السلاح فسنستخلصه من أعدائنا ونقذف بهم في عرض البحر لقد تألبت الدنيا تريد أن تسلبنا حقنا، وقد عاهدنا الله أن نموت كراماً، أو نعيش كراماً.. أن الأخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد.. وهم على أتم الاستعداد لتلبية ندائكم»(١). وقرن القول بالعمل

«سارع الأخوان من أنحاء البلاد إلى التطوع من أول يوم فتح الأستاذ ـ البنا ـ باب التطوع وكان الأستاذ يشترط في المتطوعين من الشباب شروطاً أهمها أن يكون المتطوع قد تطوع برضا الوالدين»(٢) «فلما انسحب الانجليز من فلسطين

(١) محمود عبد الحليم ـ الأخوان المسلمين ـ أحداث صنعت التاريخ جـ ١ ص ٤١٢ دار الدعوة.
(٢) السابق ص ٤١٣.

في أيار ـ مايو ـ ١٩٤٨ م دخلت الجيوش العربية من الشرق والغرب والجنوب لتعيد الأمن إلى نصابه. . وبذلك أصبح في فلسطين نوعان من القوات العربية:

النوع الأول: المتطوعون وهم متطوعو الاخوان المسلمين والمتطوعون من ضباط الجيش المصري الذين استقالوا من الجيش، وقد انضم هؤلاء الضباط إلى المتطوعين الأخوان واتخذهم الأخوان قادة لهم وكان من أبرز هؤلاء الضباط القائمقام «العقيد» أحمد عبد العزيز الذي ارتضاه الأخوان قائداً لهم لما كان يمتاز به من الإيمان والشجاعة والتضحية والجرأة الخارقة.

والنوع الآخر هو الجيوش العربية»[1] و«كانت القوة الأولى من إخوان مصر قد دخلت فلسطين ورابطت في النقب وافتتحت أولى معارك الجنوب في «كفار ديروم» في ١٤ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٤٨م وفي نفس هذا الوقت كانت القوة الثانية بقيادة اليوزباشي محمود عبده تنتقل إلى معسكر «قطنا» بسورية لتستكمل تدريبها ثم ترابط فترة في النقب وتشترك مع زميلتها الأولى وأخيراً تصحب الشهيد أحمد عبد العزيز في جولته الموفقة قبل أن يستقر في جنوب القدس ويكون من نصيب هذه القوة أن يوكل إليها الدفاع عن مرتفعات «صورباهر» الحصينة وهناك تلحق بها قوة كبيرة من الأخوان المسلمين في شرق الأردن بقيادة المجاهد عبد اللطيف أبو قورة رئيس الأخوان في عمان وتندمج مع القوتان في فرقة واحدة متحدة القيادة ليكون لها الفضل بعد ذلك في المحافظة على تلك المرتفعات وعرقلة الخطط اليهودية التي كانت ترمي إلى احتلالها لتتحكم في القوات المصرية المتطوعة المرابطة في مناطق «الخليل وبيت لحم» ـ ولم يكن الأخوان في سورية بأقل نصيباً من غيرهم إذ أدخلوا قوة من رجالهم يقودها الأستاذ مصطفى السباعي رئيس الأخوان في دمشق عملت بهمة ونشاط في مناطق «المثلث» والقدس وساهمت مساهمة فعالة في الدفاع عن هذه المناطق الحيوية»[2] وفي ضوء اكتشاف القوة النامية الفتية لجماعة الأخوان المسلمين في ساحة الحرب على أرض

(١) السابق ص ٤١٥.
(٢) السابق ص ٤١٦.

فلسطين وقف الخصوم يقارنون ويرسمون الخطط لمستقبل الشرق بصفة عامة.. ولمستقبل مصر بصفة خاصة.. فالحركة الطلابية يتصدرها الأخوان المسلمون.. والبطولات الرائعة وصور الاستبسال والاستشهاد التي تجلت في دور كتائب الأخوان التي شهدت المعارك الأولى مع العصابات الصهيونية على أرض فلسطين.. وضغط الأخوان كحركة شعبية على القصر والحكومة.. «ولم يستطع الاستعمار الذي كان رابضاً بجنوده على ضفاف قناة السويس والذي أعطت دولته وعد بلفور وتعهدت بتنفيذه قبل أن تنتهي مدة انتدابها على فلسطين أن يسكت على ذلك المد الأخواني الكبير في مختلف الساحات المصرية والعربية على السواء»[1].

لذلك صدر الأمر بحل جماعة الأخوان المسلمين في ديسمبر كانون الأول ١٩٤٨ وهم ما يزالون يجاهدون في فلسطين ـ فكانت مؤامرة مكشوفة خططتها بريطانيا والصهيونية ونفذها الملك والحكومة الحزبية..».

«ففي ١٩٤٨/١٢/٨ أصدرت وزارة الداخلية في الساعة الحادية عشرة مساء قراراً بحل جمعية الأخوان المسلمين بالأمر العسكري ٦٣ لسنة ١٩٤٨ وبمصادرة أموالهم وأملاكهم وشركاتهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومصانعهم وانطلقت أبواق الحكومة والاستعمار تشيد بهذا العمل البطولي الخارق الذي أقدم عليه النقراشي وعجزت عنه الحكومات السابقة وانطلقت الاعتقالات والمصادرات للقضاء على الأخوان المسلمين وإبعادهم عن الحياة العامة ونُزع سلاح المتطوعين في فلسطين ووضعوا في معسكرات اعتقال»[2].

وكان هذا القرار نتيجة لأمور مرتبة تزعمتها السفارة البريطانية أو قل سلطات الاحتلال البريطاني في مصر. بدأت بتقديم شكوى من الأجانب المقيمين في مصر إلى السفير البريطاني في القاهرة يوم ١٩٤٨/٨/٩م «يذكرون

---

(١) جابر رزق ـ المؤامرة على الاسلام مستمرة ص ٣٣ دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨م.
(٢) السابق ص ٤٣.

فيها أن حياتهم في مصر أصبحت لا تطاق للاعتداءات التي تحصل عليهم في شوارع القاهرة بزعم أن لهم صلة باليهود الذين يحاربونهم في فلسطين وذلك رغم أنهم أظهروا حسن نواياهم نحو المصريين ويؤكدون أن سلطات البوليس المصري لم تتدخل لمنع هذه الجرائم وأن الاشاعات الرائجة هي أن جمعية الأخوان المسلمين تلعب دوراً هاماً في هذه الحوادث»[1] كما أن لاسرائيل دوراً هاماً في هذه المؤامرة وكأنها على علم بأن حكومات بلدهم العملاء سيتولون تصفيتهم جاء ذلك في تصريح لموشي ديان جواباً على السؤال التالي: هل يستطيع أن يضمن بقاء إسرائيل وسط دول كثيرة تعاديها وتضمر الشر..؟

فقال: «إن إسرائيل لا تخشى لقاء هذه الدول مجتمعة أو متفرقة فهي كفيلة بهزيمتهم ولكنها تكره أن تلقى فئة واحدة فقط هم الأخوان المسلمون وستكفينا حكومتهم مؤنتهم..»[2] واتماماً للمؤامرة اجتمع في ١٩٤٨/١١/١٠ سفراء «انجلترا وأمريكا وفرنسا في فايد» وقرروا اتخاذ الاجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية في القاهرة لحل جمعية الأخوان المسلمين»[3].

ولم تكتف الدول الغربية باستصدار قرار الحل وإنما عملت جاهدة لإيغار صدر الملك ضد مرشد هذه الجماعة للتخلص منه وظنوا أن الجماعة سيقضى عليها بقتله لذلك كتبت إحدى كبريات الصحف الأمريكية تمتدح حسن البنا بأسلوب يوغر صدر الملك عليه فقالت «إن هذا الرجل هو أقوى رجل في العالم الاسلامي اليوم ولا يمكن أن يغلب إلا أن تصير الأحداث أكبر منه»[4] هذه إشارة تهديد للملك فاروق بأن يتخلص من هذا المنافس القوي.. وقد اجتمعت أمور كثيرة أهمها الحقد والغيرة وتهديد المستعمر الأجنبي كل هذا «ففي يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ أغتيل الامام حسن البنا في قلب القاهرة أمام جمعية

---

(١) السابق ص ٣٩.
(٢) السابق ص ٣٩.
(٣) السابق ص ٤٠.
(٤) محمود عبد الحليم ـ الأخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ جـ١ ص ٤٣٦ دار الدعوة.

الشباب المسلمين بسلاح حكومي وموظفين حكوميين»[1] ونحن لا نريد أن نخوض في التفاصيل فلها كتبها الوافية ولكن ما نريد أن نقول إن مصر شغلت بأحداث جسيمة فككت قواها وشغلتها عن مهمة المسلمين الأساسية وهي الدفاع والعمل لاسترداد فلسطين باعتبار مصر أكبر دولة عربية وهي الخصم القوي المخيف لليهود وكان الواجب أن تعمل مصر من أجل التماسك وقهر الظلم والمستعمرين من أجل التحرر الحقيقي استعداداً لاسترداد فلسطين وحقوق المسلمين المهضومة في العالم، ولكن يا للأسف لقد أدخلها زعماؤها الذين صنعوا النكبة في متاهات مظلمة فكان لا بد من قيادة حركة للتطهير وإعادة مصر للمسار الصحيح «وكانت جماعة الأخوان المسلمين في سنة ١٩٥١م تحاول أن تسترد نشاطها وتجدد نفسها بعد محنة سنة ١٩٤٨ والتي انتهت باستشهاد الامام حسن البنا وتولية المستشار المرحوم حسن الهضيبي.. فكانت معركة القناة متنفساً كبيراً للاخوان المسلمين الذين عانوا أعواماً طويلة من الدعاية المركزة ضدهم وكان شباب الأخوان يريد أن يثبت قدرته على الحركة بعد نكسة فلسطين فانتهز فرصة إلغاء المعاهدة وبرزت فكرة استعمال السلاح لتحقيق الجلاء المنشود بعد أن صار وجود القوات البريطانية في القناة لا يستند إلى قانون.. وفكر الأخوان في الحرب ضد الانجليز من منطق عقدي.. وبالعقيدة استطاعوا أن يخوضوا معارك رائعة لقد كانت الجامعة ملتقى أمل أبناء الأمة جميعاً.. فثقة الشعب فيها لا حدود لها وارتباطه بها له تاريخه القديم.. وأصبح اسم الجامعة يقترن بالثورة والتمرد على الفساد.. وإذا قالت الجامعة كلمة ردد صداها الشعب كله وكانت الحكومات تعمل للجامعة ألف حساب وكان القصر والانجليز يرهبون جانبها.. وانتظم التدريب بالجامعة وكان عدد الطلاب الذين يتدربون في المعسكر لا يقل عن عشرة آلاف طالب عدا الأساتذة.. وكان السلاح أكبر العقبات أمام طلاب الجامعة ولكن الأخوان أمدوا المعسكر بكميات ساعدت على استكمال التدريب وجعلت قادة المعسكر

---

(١) جابر رزق المؤامرة على الاسلام مستمرة ص ٤٥ دار الأنصار ـ القاهرة ١٩٧٨م.

الجامعي يفكرون جدياً في إرسال أول دفعة إلى ميدان القتال.. وفي الأسبوع الثاني من شهر يناير سنة ١٩٥٢ وقعت أعنف معركة ضد الانجليز والتي حقق فيها طلاب الجامعة أروع الانتصارات واستشهد فيها بطلان هما الشهيد أحمد المنيسي والشهيد عمر شاهين. لقد شهد شهر يناير ـ كانون الثاني ـ عام ١٩٥٢م يومين كانا لهما شأن كبير وخطير في تاريخ مصر الحديث.. اليوم الأول ١٤ يناير عندما خرجت مصر المسلمة تودع شهيد الشباب عمر شاهين.. في مشهد ربما لم يحدث مثله من قبل واليوم الثاني ٢٦ يناير.. عندما أحرقت القاهرة ليخفي دخانها الأسود صفحات النور التي كتبت بدماء الشهداء على أرض القنال ولا يستطيع مؤرخ أن يقطع الصلة بين هذين اليومين وبين الأحداث الضخمة التي غيرت مجرى التاريخ. لا أقول تاريخ مصر، بل تاريخ المنطقة كلها ففي يوم ١٤ يناير.. اهتز كرسي الحكم وارتعدت فرائص الملك الطاغية ومعاونيه عندما رأوا الشعب يودع بكل الإكبار والإعزاز شهيد الأخوان المسلمين عمر شاهين اعترافاً من الشعب بالدور القيادي والجهادي والبطولي لجماعة الأخوان المسلمين في كفاح المستعمر على ضفاف القنال.. وظن هؤلاء أن ثورة يقودها الأخوان أصبحت وشيكة الوقوع.. عندئذٍ بدأت الخطوات التنفيذية للمؤامرة وتهيئة الجو لظهور «البطل» الذي سيحول دفة التاريخ ويقطع الطريق على «الثورة».. المتوقعة بثورة بديلة تحقق لأعداء الاسلام ما لم يحلموا بتحقيقه بكل هذا الحذق. وكان حريق القاهرة البداية التنفيذية للمؤامرة الكبرى التي يسميها مايلز كويلاند في كتابه «لعبة الأمم» «العملية الكبرى» التي خطط لها مهندس الانقلابات العسكرية.. ورجل المخابرات الأمريكية المشهور «كيرميت روزفلت»[1].

ويروي الأستاذ حسن دوح حديثاً للدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر في وزارة الوفد قال فيه: إن الولايات المتحدة الأمريكية هي المتهم الأول في إحراق القاهرة «إن الولايات المتحدة كانت المحرك الأول للأحداث التي جرت قبل وبعد حريق القاهرة لأن أمريكا أرادت أن تصفي النظم الديمقراطية في مصر

(١) السابق ص ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥.

حتى يتسنى لها ضرب الحركات الوطنية.. إن أحداث شهر يناير كانون الثاني - ١٩٥٢ العظيمة كانت وراء التعجيل بالقيام بحركة الجيش في يوليو ١٩٥٢ ولم يمض أكثر من سنتين حتى صفيت جماعة الأخوان المسلمين وعلق قادتها على المشانق وزج بأبنائها في غياهب السجون»[١].

إنقلاب ٢٣ يوليو/ تموز - ١٩٥٢:

ويقول أحد الباحثين عن هذه الفترة «وانتهت هذه الفترة القلقة المضطربة بقيام الجيش المصري بالانقلاب العسكري الذي تم في صبيحة ٢٣ يوليو - تموز ١٩٥٢ وغدت الجريمة التي اتهم بها رجال الحركة الاسلامية من قبل ودخلوا من أجلها السجون وذاقوا ألوان العذاب - جريمة قلب نظام الحكم بالقوة هي نفسها المأثرة التي يفخر بها رجال الجيش «الأبطال.. ولا شك أن هذا الانقلاب قد صفق له الشعب وأيدته كل القوى وفي مقدمتها الحركة الاسلامية التي لم تسبر غور هؤلاء الضباط الأحرار ولم تعرف ماذا يضمرون نحو الاسلام.. وقد غروا الكثيرين بمظهرهم، وتظاهروا بأنهم «حملة المصاحف» وأنصار الله وعسكر الإيمان كان تأييد الشعب لهذا الانقلاب على أساس أنه سيزيل السلطة الفاسدة ويتيح الفرصة لتعديل الدستور، وإجراء انتخابات حرة نزيهة يتسلم المدنيون بعدها السلطة، ثم يعود الجيش إلى ثكناته مشكوراً، مجللاً بالثناء: أما أن يتولى العسكر السلطة إلى الأبد فلم يكن هذا في حسبان أحد ممن أيدوا الانقلاب»[٢].

وللتأكيد على دور الولايات المتحدة في أحداث مصر كتب خالد محي الدين - الذي شارك عبدالناصر مدة في الحكم- «ثبت بعد ذلك أنه - أي عبد الناصر - كان قد اتصل بالفعل بالمخابرات الأمريكية.. وبدأ يتأثر بدعاية الأمريكان.. «ولما سأله مؤلف الكتاب ومتى كان ذلك؟ أجاب: في مارس ١٩٥٢م»[٣].

(١) السابق ص ٢٤٠.

(٢) د. يوسف القرضاوي الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ١٠٧ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٧م.

(٣) جابر رزق - المؤامرة على الاسلام مستمرة - ص ١٣٦ دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٧٨.

ويوضح كثير من الكتاب أن هناك اتفاقية بين عبد الناصر والولايات المتحدة سميت اتفاقية «الجنتلمان»، «ففي الفترة ما بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٦م كانت الناصرية ملزمة باتفاق الجنتلمان الذي تم عشية حركة ٢٣ يوليو بين الرئيس جمال عبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في (كرميت روزفلت) ومعاونيه والذي اتفق فيه على أن تتعهد الولايات المتحدة بمنع تدخل القوات البريطانية لضرب الثورة، وتتعهد بدعم النظام الجديد اقتصادياً ودولياً.. مقابل تعهد النظام الجديد بتجميد الموقف مع إسرائيل حتى تتوفر الظروف المناسبة لتحقيق السلام.. وقد نفذ الطرفان اتفاقهما بأمانة كاملة»[1].

مفاوضات الجلاء:

وعلى هذا فقد صرف النظام الحاكم في مصر النظر عن قضية فلسطين والتفت إلى أعداء الاستعمار لكي ينكل بهم حتى يفي باتفاقية «الجنتلمان» ويقدم لهؤلاء ما عجز النظام السابق عن تقديمه وبدأ بالمفاوضات مع الانجليز ليتخذ منها ذريعة ينقض بها على المستنكرين «وفي شهر تموز ـ يوليو ـ من عام ١٩٥٤م استؤنفت المفاوضات بين مصر وبريطانيا حول جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ووافق الطرفان على اتفاقية الجلاء وكانت هذه الاتفاقية تنص على جلاء القوات البريطانية عن قاعدتها في منطقة القناة خلال عشرين شهراً حيث تتولى مصر بعدها حماية القاعدة وصيانة المنشآت الموجودة فيها ويكون لبريطانيا الحق في نقل أي مقدار من المهمات الموجودة في القاعدة حسب تقديرها وأن تستخدم القاعدة من قبل القوات البريطانية في حالة أي هجوم مسلح أو في حالة التهديد بهجوم مسلح من قبل أي دولة أجنبية على مصر أو أي بلد عربي مشترك في معاهدة الضمان الجماعي العربي أو على تركيا على أن تراعى حرية الملاحة في قناة السويس وفقاً للاتفاقية الدولية المعقودة في عام ١٨٨٢ وأن تقدم مصر التسهيلات اللازمة لتهيئة القاعدة للحرب واستخدام

---

(١) عبد المتعال جدي ـ الناصرية في قفص الاتهام ص ١١٨ دار الاعتصام ١٩٧٩م.

الموانىء والمطارات ومنح الطائرات البريطانية الرعاية اللازمة للطيران والنزول وصيانة الطائرات في المطارات المصرية وكان رئيس الوفد المفاوض المصري المقدم الركن جمال عبد الناصر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية»[1].

وحتى يبقى الشعب تحت سلطة العسكر وحتى يتمكن هؤلاء العسكر من سحب وعودهم بالحياة الحرة الكريمة سيروا مظاهرة تطالب ببقاء العسكر وتشجب الحرية.. وهي أغرب مطالب يسمع عنها الانسان.. أناس يرفضون الحرية.. أما المندفعون وراء هذه المطالب فهم المنسوبون لهيئة التحرير التي شكلها النظام الحاكم في ١٦ يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ وقد شكلت لتمتص ذوي الطموح السياسي «وقد اشتركت هذه الهيئة في تنظيم الاضراب العام في ٢٦ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤م ذلك الاضراب المزيف الذي قام به البوليس الحربي في ملابس مدنية لإلغاء قرارات ٢٥ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤ التي كانت تنص على السماح بقيام الأحزاب وإعادة الجيش إلى الثكنات وتشكيل جمعية سياسية بالانتخاب الحر المباشر وإلغاء الحرمان من الحقوق السياسية للمواطنين»[2].

لقد مهد النظام الحاكم لاتفاقية الجلاء بهذه المظاهرة ليكبت كل صوت حر وبعدها يمرر ما يشاء من مخططات وقد كشف هذا الأسلوب شريك الثورة عبد اللطيف بغدادي «عندما دبر ـ عبد الناصر ـ ستة انفجارات حدثت كلها في يوم واحد في أماكن متفرقة واحد منها في مبنى السكة الحديدية واثنان بالجامعة وآخر بمحل جروبي وكان غرضه من هذه الانفجارات هو التدليل على ضرورة إعمال البطش والقهر للشعب لأن هذه الانفجارات حدثت نتيجة الميوعة الظاهرة في موقف الحكومة.. وكشف أيضاً عن الأربعة آلاف جنيه التي اشترى بها عبد الناصر الصاوي محمد الذي قاد مظاهرات مارس التي خرجت تهتف: تسقط الحرية..»[1].

---

(١) عقيد ركن صلاح الدين عبد القادر محمد فائز ـ عشرون عاماً من حربنا مع اسرائيل مطبعة الشعب بغداد.

(٢) عبد المتعال جبري ـ الناصرية في قفص الاتهام ـ ص ١٠٣ دار الاعتصام ١٩٧٩م.

(٣) جابر رزق ـ المؤامرة على الاسلام مستمرة ص ١٢١ دار الأنصار ـ القاهرة ١٩٧٨.

وحتى تكتمل مسيرة الطغاة انتقل للمرحلة التالية وهي تلفيق تهمة للتنظيم النظيف الذي أبى أن يشارك الطاغية في إذلال الشعب بل اشترط إقامة حكم الله على لسان مرشده حسن الهضيبي عندما طلب منه (تقديم بعض الأخوان للاشتراك في الوزارة فرفض الاشتراك إلا أن يكون الحكم إسلامياً ١٠٠٪ مائة بالمائة ورشح لهم بعض الكفاءات من غير الأخوان، المسألة إسلام أو لا إسلام، لسنا طلاب حكم ومن هنا رفضنا أن نشترك في الحكم.. إننا نقوم الصف إذا اعوج ونحتله إذا خلا ونسانده ونمده إذا كان محتاجاً إلى مدد. نحن نحب الجندية ولا نتطلع إلى القيادة..»[1] وفي ٢٦ اكتوبر ـ تشرين الأول عام ١٩٥٤م.. أطلق الرصاص على جمال عبد الناصر في محاولة لاغتياله ولكنه لم يصب بأذى وقد أطلق على هذا الحادث اسم حادث المنشية «وكان مكانه مدينة الاسكندرية اتهم به النظام الحاكم الأخوان المسلمين بتدبيره واتخذوه ذريعة للتنكيل بهم فقتل وسجن وشرد منهم أعداداً كبيرة ولقد نوقش هذا الحادث ودرس كثيراً وطرحت حوله عدة تساؤلات منها.. هل الأخوان المسلمون فعلاً هم الذين قاموا بهذه المحاولة أم إن عبد الناصر هو الذي دبرها ليقوم بتصفيتهم..؟ أما الاخوان فإنهم قادة وأفراداً ينفون تماماً أن يكونوا قد اشتركوا في هذه المحاولة بل يقولون إنها خطة من عبد الناصر لإلصاق التهمة بهم و«سيكشف التاريخ أن الذين اعتقلوا محمود عبد اللطيف إنما اعتقلوه قبل أن يقوموا بالتمثيلية ثم ذهبوا به إلى الاسكندرية مصطحبينه ونفذ التمثيلية واحد منهم وأعدم محمود لتختفي معالم الحقيقة وتدفن معه ثم ليتم التخلص منه شخصياً لأنه من أمهر الرماة «الكوماندوز» الأخوان»[2]. فكيف حدثت هذه المسرحية إذاً: «هيأ الله للحق من أظهره فتقدم للشهادة ـ من ضباط عبد الناصر الكبار ـ من قرر أنه كان قد تأجل حفل المنشية حتى أحضر للرئيس من أمريكا ذلك القميص الواقي من الرصاص وحتى مع التمثيلية احتاج عبد الناصر إلى قميص واق»[3].

(١) عبد المتعال جبري ـ لماذا اغتيل حسن البنا ـ ص ١٧٣ دار الاعتصام طبعة ثانية ١٩٧٨م.
(٢) عبد المتعال جبري ـ لماذا اغتيل حسن البنا ص ١٧٦ دار الاعتصام طبعة ثانية ١٩٧٨م.
(٣) السابق ص ١٧٧.

«وقد روى الأستاذ معروف الحضري.. وهو أحد الذين شاركوا في حركة ٢٣ يوليو ـ تموز ـ وواحد من المجاهدين الذين عرفتهم فلسطين قال: من الثابت أن الذي أطلق الرصاص لم يكن محمود عبد اللطيف كما أدعى جمال عبد الناصر ومجموعته ولكن الأمر كان مدبراً والصاقة بالأخوان المسلمين للتخلص منهم[١] ولا نريد أن نخوض في هذا كثيراً ولكن قبل أن ننهي الحديث في هذا الشأن نكتب شهادة كتبها محمد نجيب رئيس الجمهورية السابق فقال «هناك في مكتبي قرأت الصحف الصادرة في الصباح فإذا بها تزخر بأخبار مختلفة تماماً عن ثبوت اتصالي بمؤامرة الأخوان المسلمين على حياة جمال عبد الناصر.. هنا اقطع سياق كلامي لأعلن لأول مرة في التاريخ سراً من أدق ما يمكن من أسرار ثورة ٢٣ يوليو ـ تموز ـ وهو أن مؤامرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر في الاسكندرية كانت مؤامرة وهمية من أولها لآخرها وكانت مرتبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة في مصر كوفيء على ذلك فيما بعد بمنصب كبير.. واستؤجر في هذه المؤامرة شاب مصاب بجنون العظمة وأغري بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة مالية ضخمة ويسمح له بالهجرة إلى البرازيل وقد كانت المكافأة الوحيدة التي تلقاها هي إعدامه بدلاً من تهريبه كما وعدوه حتى يموت ويموت السر معه»[٢].

إسرائيل تساهم في صنع الأحداث:

لذلك لم يكن اليهود بمعزل عن الأحداث بل ساهموا فيها سواء أكانت عن طريق إذاعتهم في فلسطين المحتلة أو عن طريق دسائسهم في مصر لذلك يربط كثير من المسجلين لأحداث تاريخ هذه الفترة بين إعدام قادة الأخوان المسلمين في السجن الحربي وبين إرسال مبعوث من قبل النظام إلى حاخام اليهود في مصر. «وفي يوم تنفيذ الإعدام أرسل الرئيس جمال عبد الناصر مندوباً عنه

---

(١) جابر رزق ـ المؤامرة على الاسلام مستمرة ص ١٤٦ دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨.
(٢) السابق ص ١٤٠.

(التشريفاتي) صلاح الشاهـد إلى الحاخام الأكبر لليهود ويسأل عن صحته علماً بأن الحاخام هذا هو الذي ساعد كمال أتاتورك على ضرب الاسلام في تركيا وفي القضاء على الخلافة الاسلامية، وهل من قبيل المصادفة أن يكون مبعوث (ناصر) للحاخام «حاييم ناحوم» للتحية في نفس اليوم الذي أعدم فيه أبطال معارك فلسطين وقادة كتائب المتطوعين، ومعهم قادة الفكر؟»[1] لقد كانت لعبد الناصر صلات بالمحفل الماسوني الأكبر في مصر وإذا علمنا أن هذا المحفل لليهود بطل العجب من التأثير اليهودي على عبد الناصر من أجل ضرب الاخوان..

لقد استغل المحفل الماسوني فرصة نجاح عبد الناصر وسيطرته على مجلس قيادة الثورة فبادر إلى إطرائه وتهنئته ليكسبوه واستغل هو الآخر هذه المبادرة فبادلهم الشعور نفسه لمعرفته أنهم قوة عالمية يستفاد منها لتقوية وضعه الداخلي والخارجي وينقل كاتب معاصر نصوص البرقيات المتبادلة التالية «وما كاد يلمع نجم عبد الناصر حتى أرسل له المحفل الماسوني الأكبر الوطني المصري بالبرقية التالية:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر ـ القاهرة.

لقد حققت لنا الثورة العزة والكرامة، وبعثت بمبادئها السليمة القوية الاستقرار في جميع نواحي الحياة، وجمعت حولها جميع من يعيشون معنا على أرض هذا الوطن على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم فحق لنا أن نفخر بالثورة وزعيمها وقادتها الأحرار والماسونية المصرية إذ تشكر للسيد الرئيس ما شملها من عطف تؤكد مناصرتها للثورة ومساهمتها الفعالة معها».

الأستاذ طه مخلوف ـ استاذ المحفل الأكبر الوطني[2]

ثـم أرسل المحفل الماسوني بعد هذا برقية أخرى جاء فيها «البناؤون الأحرار المجتمعون اليوم بالاسكندرية لمناسبة تثبيت أستاذ المحفل الأكبر الوطني لمصر

(١) عبد المتعال جبري لماذا اغتيل حسن البنا ص ١٨١ طبعة ثانية دار الاعتصام ١٩٧٨.
(٢) عبد المتعال جبري الناصرية في قفص الاتهام ص ١٤٦ طبعة أولى دار الاعتصام ١٩٧٩.

والأقطار العربية يعربون عن إخلاصهم للثورة وتأييدهم لقادتهم الأحرار وقد سجلوا هذا الولاء باختيار سيادتكم بالاجماع حامياً أعظم للماسونية المصرية في مصر والأقطار العربية سائلين المولى أن تزدهر الماسونية وترتقي في ظل حمايتكم العظمى لها»[٣].

وقد رد عبد الناصر بما يفيد أن دستور ٥٦ وضع بوحي من تعاليم الماسون فقال:

السيد طه مخلوف أستاذ الماسونية:

تحية طيبة وبعد..

فأشكر لك جزيل الشكر تهنئتك القلبية بالدستور الجديد الذي استلهم من روحك وبكلمتك، وبفضل ايمانك يعلو وتصبح مواده المرجع والغاية.

جمال عبد الناصر[٢]

ظهور حركة القومية العربية:

وبعد الضربة القوية للأخوان المسلمين خلا له الجو. فلبس برقع الوطنية والقومية وأخذ يتغنى بالحرية وينـاهض الاستعمار والصهيونية ويتعرض للمستعمرين على الصعيدين الداخلي والخارجي وذلك ليثبت للعالم العربي أن الأخوان كانوا حجر عثرة أمام طموحاته القومية فلما أزالهم من أمامه انطلق بالثورة لكي يعيد للعرب مجدهم وغدهم..

فناصر ثورة الجزائر وتكلم عن قضية فلسطين ولما اعتدى اليهود على غزة عام ١٩٥٥ لم يجد بداً من شن الحملات الاذاعية ضدهم وقد ذكر هـذه الحملات المزعومة أيزنهاور في يومياته فقال «١٣ آذار ـ مارس ـ ١٩٥٦: عاد مساء اليوم روبرت اندرسون من رحلته إلى الشرق الأوسط التي قام بها كممثل

(١) السابق ص ١٤٧.
(٢) السابق ص ١٤٧.

شخصي لي في محاولة لتحقيق نوع من التقارب بين مصر وإسرائيل وكانت رحلته هذه هي الثانية التي يقوم بها للمنطقة.. إلا أن أندرسون لم يحقق أي تقدم على الاطلاق في مهمته الأساسية وهي ترتيب التقاء بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين، فقد تبين أنَّ عبد الناصر يشكل عقبة كأداء ويبدو أنه يسعى إلى أن ينال مكانة القائد السياسي للعالم العربي وتساور عبد الناصر في محاولته هذه مخاوف شتى فهو يتخوف أولاً من مجموعة الضباط العسكريين التي وصلت به إلى الحكم والتي تتخذ موقفاً متطرفاً تجاه إسرائيل. وهو يخشى كذلك من وجود شعور معاد له في أوساط الشعب المصري. فهو يضرب المثل دائماً بمصير الملك فاروق وبما أن عبد الناصر يريد أن يكون أكثر الناس شعبية في العالم العربي كله فإن عليه أن يأخذ في حسبانه الرأي العام في كل دولة من الدول العربية الأخرى والنتيجة هي أنه يخلص في النهاية إلى أن عليه أن لا يقوم بأي عمل على الاطلاق. وإنما يكتفي بإلقاء الخطابات التي لا بد أن يكون كل خطاب منها طافحاً بالتحدي لاسرائيل»[1] ولكن أمام كثرة الاعتداءات اليهودية كان لا بد للجيش المصري من رد العدوان «ففي يوم ٥ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٥٦.. فتح اليهود نيران أسلحتهم الأتوماتيكية على منطقة دير البلح والمنطقة المجاورة وقصفها بنحو خمسة وعشرين قنبلة حارقة فردت المدفعية المصرية بقصف مستعمرة (كيسوفيم) و(مين هاشلوشا) و(نحال عوز)....»[2]. ونتيجة الرد على اليهود فقط رداً ليناً اعتبر حاكم مصر معتدياً بخرقه لاتفاقية الجنتلمان.. لذلك هدده الغرب باستبداله كان هذا بالاضافة إلى أنه قد اشترى أسلحة من الكتلة الشرقية مستعيضاً بها عن الأسلحة الغربية وأنه يحاول أن يظهر بمظهر الزعيم الحقيقي للعالم العربي.. وقد ذكر هذا أيزنهاور في يومياته:

«ولعل أحد العوامل الأساسية في المشكلة هي تزايد طموح عبد الناصر وما

---

(١) يوميات ايزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط ـ عدد ٨٧٢ تاريخ ١٩٨١/٤/١٨ ص ٨.

(٢) محمد عبد العزيز منصور ـ يا مسلمون اليهود قادمون ـ ص ٤٦ ـ دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

اكتسبه من الإحساس بالقوة من ارتباطه مع الاتحاد السوفياتي وإيمانه بأنه يمكنه أن يبرز كزعيم حقيقي للعالم العربي كله، وبالتالي رفضه لأي اقتراح يقدم على أنه نوع من التوفيق بين العرب وإسرائيل.. لهذا فقد طلبت ـ أي أيزنهاور ـ من وزارة الخارجية ـ أن نبدأ في إظهار شخص آخر كزعيم يمكن أن يقود العالم العربي»[1].

ومن هذه اليوميات ندرك أن الغرب لا يريد نصف عميل أو نصف وطني وإنما يريده عميلاً كاملاً لذلك قرروا الاستغناء عنه.... وكان على عبد الناصر أن يدرك هذه النوايا وأن يتوب ويعود لحظيرة الاسلام.... وأن يعمل لصالح العرب جميعاً لكنه انعطف بصورة خطيرة نحو الشرق وغره منهم أنهم باعوه سلاحاً وأعطوه قرضاً، علماً بأنهم لا يقلون خطراً عن الغرب فنظرتهم إلى إسرائيل متفقة تماماً مع نظرة الغرب حتى السلاح الذي باعوه لمصر لم يكن إلا سلاحاً دفاعياً من مخلفات حربهم العالمية الثانية ويقل جودة عن سلاح الغرب... وكان على الدول العربية المخلصة أو من أراد قيادها أن يفهم هذا الأمر ويعمل على التكتل والتأثير على المجتمع الدولي ويتبنى نهضة علمية قوية تستطيع بعدها الدول العربية أن تؤثر على مراكز القوة في العالم وأن تتصدى لكل من يريدها بسوء...

ولكن هيهات لمن فقد ثقته بالله أن يسعى لمثل هذا. بل كانت كل الثقة منصبة على هؤلاء أو أولئك... ولقد اكتشف الكثيرون من العرب المؤمنين، خط الخدعة السوفياتية الكبيرة وكشفوا الكثير من مواقف روسيا الحقيقية التي لم تخرج ساعة واحدة عن سياستها الرامية إلى تأييد بقاء إسرائيل «كدولة» على أرض فلسطين وأكدوا أن السلاح السوفياتي ليس سلاحاً لحرب إسرائيل بل هو سلاح لحرب العرب وهو وسيلة لعبور النفوذ السوفياتي بمبادئه واقتصاده ووجوده إلى البلاد العربية إلا أن مصر الثورة قد أبت إلا الاسترسال في النوم على أيدي

---

(١) يوميات أيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط ـ عدد ٨٧٤ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٠م.

زعماء الاتحاد السوفياتي رغماً عن أن تجربتها مع حكام موسكو، خلال العدوان الثلاثي على قناة السويس عام ١٩٥٦ م كانت كافية لمعرفة النوايا السوفياتية على حقيقتها إذ أن رئيس تحرير الأهرام... قد كشف بصراحة عام ١٩٥٨ م .. أي حين دب الخلاف بين القاهرة وموسكو بسبب الوحدة السورية ـ المصرية... فقال: «إن الاتحاد السوفياتي لم يؤيدنا إلا بالبيانات والإنذارات الكلامية كما أن عبد الناصر ألقى خطاباً شكر فيه ـ علنياً ـ الرئيس الأمريكي أيزنهاور الذي فرض على فرنسا وبريطانيا وإسرائيل أن تنسحب من قناة السويس»[١] ويقول أحد الباحثين الأجانب «وهناك ما يدل على أن السياسة السوفياتية في موضوع المساعدة العسكرية للأقطار العربية في الشرق الأوسط على الأقل حتى حزيران ـ يونيو ـ ١٩٦٧ م كانت وسيلة سياسية أكثر منها رغبة في بناء قوة عسكرية فعالة في الدول المتلقية للسلاح.... إن سياسة شحنات الأسلحة السوفياتية إلى الدول العربية كان الدافع الأول من ورائها الرغبة في كسب نفوذ كاسح في عدد من الدول (التقدمية) التي لسبب أو لآخر تخلت عن صلات هامة مع الغرب وقد حصل هذا النفوذ بإرسال كميات كبيرة من الأسلحة الحديثة دون اتخاذ وسائل الدعم والتدريب حتى أواخر حزيران ١٩٦٧م وباختصار لم يكن من السياسة السوفياتية أن تزود زبائنها بما يعتبر من وجهة نظر الغرب قوة عسكرية كاملة وكافية»[٢]... والظاهر أن هذا الأمر لم يخف على عبد الناصر أول الأمر فكان يريد أن يبقى على علاقة متوازنة بين الشرق والغرب وهنا أبقى على الخيوط التي تربطه بأمريكا فما كاد يوقع على صفقة الأسلحة الروسية حتى أعلم بذلك الولايات المتحدة... «وقابل شبيلوف ـ رئيس تحرير جريدة برافدا ـ عبد الناصر في ٢٧يوليو/تموز/١٩٥٥ ـ وقال له في معرض الحديث إن ما جئت لأخبرك به هو أن الاتحاد السوفياتي على استعداد لأن يعطيكم كل ما تطلبونه من السلاح وبعد ذلك بشهور تم توقيع الاتفاق

---

(١) بشير العوف ـ لعبة السوفيات بمصر وخروجهم منها ص ٨ ـ ٩ بيروت ١٩٧٣م.

(٢) س. هورويتز ـ الصراع السوفياتي الأمريكي في الشرق الأوسط ص ٧٥ دار النفائس ١٩٧١.

بالفعل سراً في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٥٥ وفي يوم الاثنين اتصل عبد الناصر تليفونياً بالسفير الأمريكي وأخبره بما حدث وفي ذلك اليوم نفسه طلب السفير البريطاني مقابلة عاجلة مع رئيس الوزراء وعندما وصل مرتبكاً قليلاً قال إنه عرف بذلك الخبر من الأمريكيين.

وسأل جمال عبد الناصر قائلاً: هل صحيح حقاً؟

فأجاب عبد الناصر: لقد عقدنا اتفاقاً تجارياً تماماً...»[١].

هكذا حدثت ضجة كبيرة في أمريكا وبريطانيا، ولو لم يكن عبد الناصر صديقاً لهما لما حدثت هذه الضجة وقد نقل أحد الكتاب على لسانه صبيحة انقلاب ٢٣ يوليو ـ تموز ١٩٥٢ قوله «وفي الصباح الباكر أجرينا اتصالاً بالسفارة الأمريكية ثم السفارة البريطانية لابلاغهما أن الضباط الأحرار استولوا على السلطة وأن كل شيء يجري في نظام تام وأن حياة الأجانب وممتلكاتهم ستؤمن ما لم يحدث تدخل خارجي»[٢] وهكذا كان الاتصال منذ الساعات الأولى إن لم يكن قبلها بشهور ـ كما أوضحنا سابقاً لهذا كانت المفاجأة مذهلة حول صفقة الأسلحة الروسية... وسارعت كل من أمريكا وبريطانيا لاسترضائه، بريطانيا عن طريق سفيرها في القاهرة وأمريكا بواسطة «جورج آلن» مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط.

ثم أعادت بريطانيا في أواخر عام ١٩٥٥ الكرة بواسطة وزير خارجيتها ولكن رغم هذا التكثيف الدبلوماسي لم يكن هناك وفاق لأن الغرب لم يتنازل عن ما يريد فقد «كان من نتائج السياسة الغربية في موضوع شحنات الأسلحة أن اقتنع رئيس الوزراء جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ أن الاتحاد السوفياتي هو الطرف الوحيد الذي يزوده بالأسلحة التي يحتاجها لتحدي العراق في دور القيادة السياسية للعالم العربي»[٣].

(١) عبد الله امام ـ حكايات عن عبد الناصر ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ الوطن العربي بلا تاريخ.
(٢) السابق ص ٢٣.
(٣) جـ س. هورويتز ـ الصراع السوفياتي الأمريكي في الشرق الأوسط ص ٥٤ دار النفائس ١٩٧١.

فطلب مصر للأسلحة لم يكن ضد إسرائيل بل كان ضد العرب ـ إلا أن الغرب يخشى مع ذلك من وضع السلاح بيد العرب لئلا يتحول في المستقبل على أيدي زعامة مخلصة ضد إسرائيل. . . فلعب لعبة احتكار السلاح «فلم يحاول الغرب فقط أن يستغل وضعه الاحتكاري برفض إعطاء أكثر من كميات رمزية من الأسلحة للدول الحالية بل ارتكب الغرب كذلك غلطتين آخرتين كما يظن من وجهة النظر العربية فقد أيد العراق ضد مصر وأقنعه بالانضمام إلى حلف بغداد الشائن ودعم إسرائيل علناً وبذلك فشل الغرب إلى حد ما بالاعتراف بقوة القومية العربية وأهميتها وطبيعتها اللاشيوعية أصلاً»[1].

لقد حاول عبد الناصر أن يظهر بمظهر المدلل عند الغرب بعد أن نفذ للغرب ما طلبه منه ـ بضرب القوى المخلصة في مصر ـ ولكن الغرب لم يحتمل دلاله لأنه يريد من التابع كل شيء ولا يعطيه مقابل هذه التبعية، إلا الفتات ـ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2]

لذلك لم يلب الغرب احتياجاته وظل يضغط عله يخرج بما يتصور فأتبع سياسة الإغاظة بالاتصال بموسكو فلم يخرج بشيء سوى العتاب تارة والتهديد تارة أخرى. . . ثم استمر في لعبة الإغاظة فأتبع صفقة الأسلحة الروسية بقرار اعتراف بالصين الشعبية فكان رد أمريكا ليناً تجاه ذلك فهي تريد بقاء صلتها بمصر فقال أيزنهاور «اننا نعتقد أن مصر مخطئة في اعترافها بالصين الشعبية ولكن عملاً واحداً يصدر عن دولة أخرى ولا يقابل منا بالترحاب لا يجب أن يتلف الصداقة مع هذه الدولة فهو ليس أكثر من المناوشات التي تحدث داخل العائلة والتي لا يجب أن تؤ دي إلى محكمة الطلاق»[3] لقد عملت الولايات المتحدة في هذه الفترة على كسب ود مصر وبقية الدول العربية فلبست لهم ثوب الصديق لكنها كانت تعمل في الخفاء على تفريق العرب والإيقاع فيما بينهم لتبقى مسيطرة

---

(١) السابق ص ٥٦.

(٢) سورة البقرة ١٢٠.

(٣) عبد الله امام ـ حكايات عن عبد الناصر ـ ٧٥ الوطن العربي بلا تاريخ

عليهم ولتحتل في الشرق الأوسط على حد زعمها نفوذاً بدل الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا فقد ذكر أيزنهاور في يومياته ما يفيد هذا النوع من التآمر «في ٨ آذار / مارس ١٩٥٦».

«وعلى أية حال فإننا قد بلغنا مرحلة يبدو أن مصر في عهد عبد الناصر لن تقوم بأية خطوة لمقابلة الاسرائيليين في مسعى يهدف إلى تسوية الخلافات القائمة وبالاضافة إلى هذا فإن العرب الذين أصبحوا يستوعبون شحنات كبيرة من الأسلحة السوفياتية يزدادون غطرسة يوماً بعد يوم ولم يعودوا يعبأون بمصالح أوروبا الغربية والولايات المتحدة في الشرق الأوسط... وقد ابتدأ يظهر لنا أن جهودنا ينبغي أن تنصب على التفريق بين السعوديين والمصريين وتركيز جهودنا في هذا الآونة على الأقل على أن نجعل السعوديين يدركون أن مصالحهم الكبرى هي معنا وليست مع المصريين أو الروس... ثم يعمم القول على الدول العربية كلها.

فيقول: وقد بدأت أشعر أن خطوتنا المثلى هي منع الدول العربية من القيام بأي عمل موحد...»[1].

لقد بدأت خطوات عبد الناصر في تزعم العالم العربي بالتغلغل فيه باسم القومية العربية التي كانت رائجة ولم يكن يظهر أي فكر غيرها لأنه إلى ذلك الحين لم يكن واضح الفكر بل كل ما كان يدعو إليه هو «القومية العربية» ومناهضة الاستعمار ليلتقي مع دعاة القومية العربية في الأقطار العربية الأخرى خصوصاً في سورية التي ركز عليها أكثر من غيرها «لقد كان الاتجاه البديل هو القومية العربية العلمانية» التي يتزعم الدعوة اليها حزبان عقائديان، على رأس كل منهما زعيم غير مسلم: حزب البعث العربي وحركة القوميين العرب غير أن هذين الحزبين لم يكونا يحدثا أثراً ودوياً قومياً في المنطقة العربية. لو لم تدخل مصر ـ بمركزها الجغرافي والتاريخي والثقافي والبشري ـ إلى الساحة القومية ولو لم تتخذ القومية العربية شعاراً لها منذ سنة ١٩٥٥ م.

(١) يوميات ايزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٧٢ تاريخ ١٨/٤/١٩٨١.

التأثير على سوريا للوقوف ضد حلف بغداد:

«لكن هذا لم يدم طويلاً (غير أن السيطرة على سورية كانت ضرورية إذا ما أريد لمفهومات مصر في السياسة الخارجية الانتصار في المنطقة وكما أثارت تنحية فارس الخوري في دمشق (شباط ـ فبراير ـ ١٩٥٥) واستبدال حكم موال للمصريين ـ نقطة التحول في نضال مصر ضد حلف بغداد كذلك قضى نزول القوات المصرية في سورية في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٥٧... وعلى ذلك اعتنقت مصر فكرة القومية العربية بروح هادئة وعملية من غير أن يملي سياستها إيمان عميق الجذور بالوحدة السياسية كما هو الأمر بالنسبة لسورية... فبالسيطرة على سورية فقط تستطيع مصر أن تكون على يقين من زعامتها المحلية»[1]. . . . «وسرعان ما أدركت مصر دور سورية في معركة حلف بغداد فأيدت حكومة العظم وحلفائه في كل مراحل استلامها للسلطة وأوكلت أمر اكتساب جانب سورية إلى خبير مصرفي الشؤون العربية»[2]. وقد عمل عبد الناصر من أجل اكتساب سورية على التحالف مع حزب البعث العربي الاشتراكي السوري فقوي جانبه حتى استطاع أن يكسب عدداً من المقاعد النيابية مكنته من اقناع رئيس الجمهورية من الانحياز إلى مصر فكان التقارب المصري السوري وكذلك السعودي و«عقد مؤتمر قمة عربي ثلاثي، الملك سعود، وشكري القوتلي، وجمال عبد الناصر، حيث عقدوا معاهدة الدفاع المشترك ثم وقعوا تعهداً كالتالي:

«وبناء عليه نعلن تصميمنا على حماية العالم العربي من شرور الحرب الباردة بأن نبتعد عن مجاريها المختلفة وأن ننتهج سياسة عدم المحاباة نحوها»[3]

---

(١) السابق ص ٢٨٩.

(٢) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ـ ص ٤٠٨ ترجمة سمير عبده ـ محمود فلاحة دار الأنوار ـ بيروت ١٩٦٨م.

(٣) عبد الله امام ـ حكايات عن عبد الناصر ص ٧٤ الوطن العربي ـ بلا تاريخ..

التقارب بين مصر وسوريا أدى الى الوحدة بينهما عام ١٩٥٨:

ورغم كل هذا التقارب فإن مصر لم تكن تطلب من سورية أكثر من التعاون في الشؤون العسكرية والخارجية لقد «أبدى عبد الناصر لدى وصول بعثة سورية إلى القاهرة بصورة غير متوقعة في أوائل آذار ١٩٥٧ للتفاوض من أجل اتحاد فدرالي تحفظاً خاصاً. . .»

وقال: «انني لا أفكر الآن بشروط الإتحاد الفدرالي أو الكونفدرالي[1] أو أية صيغة دستورية كهذه فهي لن تمنح قضيتنا المساعدة التي تقدمها وحدة الفكر والإيمان الموجود في القومية العربية، فإطارات دستورية كهذه ستخلق فقط العداءات للمثل الأعلى العربي وتصبح أسلحة في أيدي أعدائنا لتحطيم هذا المثل إن أية دراسة للتاريخ ستقنعك كم هما ساميتان وهامتان القومية العربية والوحدة العربية التي تصنعها شعل القومية المنيرة لكل شعب عربي وأنا أشعر أن الوحدة العربية ستعقب فوراً زوال النفوذ الأجنبي والشعوب العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي تقف اليوم متحدة أمام المعتدين وهذا أكثر أهمية لي من أية مشروعات لإقامة اتحاد ـ فدرالي أو كونفدرالي. . . وحين سئل هل

---

(١) (الكونفدرالية) حسب تعريف قانون العلوم السياسية: صيغة أو ميثاق بين دول مستقلة قومية أو تعددية ـ تعدد القوميات ـ تربطها في بعض المجالات المشتركة الاقتصادية أم الدفاعية أم السياسية ويحق لأي طرف أن ينسحب من الكونفدرالية عندما يشاء دونما أي شرط.

فالكونفدرالية لا تضم شعوباً وقوميات مختلفة ضمن دولة واحدة بل تجمع دول متعددة حول ميثاق وقد يظن البعض أن سويسرا هي كونفدرالية ولكنها ليست كذلك بل نظاماً فدرالياً سمي كونفدرالياً ولا يشهد العالم المعاصر نظاماً كونفدرالياً اليوم.

الفدرالية: وهي الصيغة التعددية الأكثر انتشاراً هي النظام الذي يجمع بين شعبين أو قوميتين ضمن دولة واحدة.

فالفدرالية تعطي الاستقلال للوحدات التي تؤلفها في كل المجالات الحيوية والثقافية والحضارية والاقتصادية وتبرز ميزات كل مجموعة ونظام الفيدرالية يعطي الحق للأطراف المتحدة أن تقرر مصيرها بنفسها عندما تريد وأن تستقل منها أو أن تستقل ببعض المجالات.

فالفرق بين الفدرالية والكونفدرالية هي أن الأخيرة نظام يجمع دولاً مستقلة قانونياً أما الثانية فتجمع بين شعوب غير مستقلة قانوناً.

«وليد فارس» ـ التعددية في لبنان ص ١٥٥ م. ب الكسليك ١٩٧٩.

يتصور اتحاداً مثيـــلاً لنظام الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي ويشمل «الوطن المشترك الممتد من الجزائر إلى جنوبي آسيا» أجاب «إنني لم أفكر بنظام فدرالي أو كونفدرالي كهذا... وما أفضله منظمات كالجامعة العربية... مثلاً على أن تصبح قوية وتقيم روابط وثيقة بين الدول العربية»[1].

لقد أراد عبد الناصر أن يبقي نفسه خالياً من المسؤولية، وأن يظهر بمظهر المنقذ من بعيد بالخطب والإذاعة فقط... ليحطم البلاد العربية ويجعلها تتيه فوق تيهها حتى يتخلخل بذلك التماسك بين الشعب الواحد، أما عندما وضع أمام الأمر الواقع بإقامة وحدة خشي من إنكشاف أمره وعدم كفاءته وتطبيقه لما يقول فأظهر تراجعاً ظاهراً حتى أضحى يؤيد نظام جامعة الدول العربية مع بعض التعديل.... ولما قبل الوحدة فيما بعد مع سورية كان قد أعد خطة لذلك فالاعلام والتركيز على الفكرة مهما كانت ستخلق من الجماهير مصفقين لأتفه الأمور...

«أما عن القومية العربية... إن عبد الناصر وأصحابه لم يؤمنوا بشيء اسمه القومية العربية إلا بقصد استغلال هذه الفكرة لأغراض ديماغوجيـة ـ فوضوية ـ ... ولا شك أن المخابرات الأمريكية قد باركت اليوم الذي أعلن فيه عبد الناصر رسمياً اعتبار مصر بلداً عربياً يوم ٢٣ يوليو ـ تموز ١٩٥٤ م.

إن ذلك الإعلان جاء في توقيته متلائماً مع وعود الحكومة الأمريكية بتوسيع نطاق مساعداتها المالية لمصر، شرط أن يكون نفوذ مصر الأدبي في العالم العربي عاملاً على الإعتدال في الشؤون العربية والاعتدال هو القبول بحل سلمي للقضية الفلسطينية والتعايش مع إسرائيل ومع أن عبد الناصر قد غير موقفه من الأمريكان بعد أن تكشفت له نواياهم الخبيثة وحصل على الأسلحة الروسية فكسر بذلك نطاق الحكر الذي طوقوا به المنطقة... فإن أمريكا التي أذهلها ذلك التغيير أجمعت أمرها للإستمرار في اللعبة إلى آخر مداها. فهي من جهة

(١) جوردون هـ. توري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ٣٥٢ ترجمة محمود فلاحة دار الجماهير طبعة ثانية ١٩٦٩ بغداد.

احتفظت بشعرة معاوية مع ناصر، ومن جهة أخرى اتجهت بثقلها كله نحو إسرائيل لتجعل منها نقطة انطلاق ـ أمبريالي ـ في قلب بلادنا ـ وعملت منذئذ على التآمر ضد الحركة العربية الجديدة بدفعها إلى دوامة المساومات والمزايدات والتطرف والعنف حتى تم لها إجهاض الموقف العربي الموحد بتفتيت شمل الأمة إلى تكتلات ومعسكرات وقوى متناقضة متخالفة يعادي بعضها بعضاً أكثر من عدائها لاسرائيل... وقد فطن الرئيس عبد الناصر إلى لعبتهم تلك لكنه واجهها مع الأسف بممارسة شد الحبل بين العملاقين، غير أن ذلك لم ينطل على القوى الكبرى التي تختلف في كل شيء وتتفق على تدمير الحضارة الإسلامية»[1].

الحالة في سورية:

أما في سورية فإن الأمور لم تكن تجري كما أراد المخلصون عندما قاتلوا من أجل طرد المستعمرين الفرنسيين وقدموا الشهداء في كل مكان من سورية... فلما تحقق الجلاء تطلعوا الى الحكام الوطنيين ليروا على أيديهم الحرية والتقدم والعدالة والمساواة... لكن شيئاً من هذا لم يحدث بل إن الأمور كانت تتردى عاماً بعد عام وينكشف الحكام الوطنيون وتنكشف أحزابهم في تواطؤ مرير واختلاس للأموال أكثر مرارة..... «إنَّ النقد الموجه للحكومة السورية تزايد سريعاً مع بدء انقشاع أحلام النصر وبات معروفاً تماماً الفساد الواسع الذي صحب المجهود الحربي فقد تشكلت منذ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٧م لجنة لجمع اشتراكات وتبرعات لفلسطين ولم يمض طويل وقت إلا والشائعات تنتشر عن ذهاب نسبة كبرى من الأموال المجموعة الى جيوب بعض أفراد اللجنة ومنهم رئيس مجلس الوزراء جميل مردم نفسه الذي لم يتصد لنفي هذه الإتهامات وفي عام ١٩٥٠ حوكم وهبي الحريري غيابياً لاختلاس مليون وخمسمائة ألف

---

(١) سعد جمعة ـ الله أو الدمار ـ ص ١٠٦ المختار الاسلامي الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

دولار كان قد خصصها لاستعمال الجيش حين كان وزيراً للمالية في وزارة جميل مردم . . .

إن علة البلد قد وصفتها جيداً مذكرة نشرها حزب الشعب في الحادي عشر من كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٤٨ جاء فيها: «إن سورية في رأينا تخوض أزمة وطنية لم يعر الحكام أسبابها أي اهتمام ـ إن هذه الأزمة قد دفعت بالبلاد الى مأزق حرج سيعرض إذا لم يجر إصلاحه كلاً من الحكم والدولة نفسها للخطر وقبل ذلك كانت الدعوات لإقامة حكومة ديمقراطية في سورية قد ملأت الأسماع. . . وسورية في هذه الفترة الدقيقة من تاريخها كانت بلداً بلا حكومة أو أمل في حكومة تنبثق من زعامة مدنية كفؤة فهو بلد يهيمن عليه مواطنون مكروبون هائجون واقتصاد منهار وجيش أحس أن فئة من الساسة المخططين قد خانته ومن المحقق أن هذه كانت اللحظة المنطقية لظهور «نابليون» بولانجيه على المسرح. .»[1].

ولقد كان أهم ما في وثيقة الإستقلال والجلاء عدم ربط سورية بأي حلف وعدم قبول سورية لأية مساعدات أجنبية لكن الساسة انحرفوا عن ذلك المنهج «وجاءت حكومة جديدة يرأسها خالد العظم في ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٨ ـ وكانت سورية تأبى الدخول في أحلاف مع الدول الأجنبية وإذا به يصرح في مؤتمر صحفي: «من الواضح أن زمننا لا يسمح للدول أن تحيا معزولة عن باقي العالم ولا يقل عن هذه يقيناً أن العالم فعلاً مقسوم الى كتلتين وأن مصلحتنا في الإنضمام الىأحداهما»[2].

وقد ظلت البلاد تعيش في تناقض بين فبينما يذكر بيان الحكومة (أن تحرير فلسطين سيظل الهدف الأساسي للحكومة التي لن ترضى بأي مشروع لتقسيم فلسطين) في حين تبدو الأمور العملية عكس هذا التصريح «وقد أنذرت مناقشة

---

(١) جوردون هـ نوري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ١١٣ ـ ١١٧ ترجمة محمود فلاحة دار الجماهير طبعة ثانية ١٩٦٩.

(٢) السابق ص ١٢٠.

الميزانية بعض أوساط الجيش بالخطر لأن حكومة العظم حسب سياستها الرامية الى إنقاص النفقات اقترحت تخفيض علاوات الضباط وتسريح بضعة آلاف من الضباط والجنود وإنهاء دعوة الجنود. .»[1].

وقد سار على سياسة التبعية رئيس وزراء آخر ففي «أواخر تشرين الأول اكتوبر ـ ١٩٥١ نشبت الخلافات على السياسة الخارجية بين الحكيم ـ رئيس الوزراء ـ وبين وزير خارجيته فالحكيم سراً يحبذ التعاون والإشتراك مع الدول الغربية في مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط بينما كان وزير خارجيته يدافع عن الحياد بين الكتلتين العالميتين. . . وتعقدت القضية حين ألقى وزير الخارجية بياناً عن السياسة الخارجية في مجلس النواب أعلن فيه أن سورية سترفض أية دعوة توجه إليها للإنضمام الى «مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط» الغربي ـ لكن كما يعتقد الحكيم ـ «إن الأقطار العربية سوف تفيد من منهاج الأمن الأمريكي المتبادل والذي سيقوي العرب عسكرياً واقتصادياً أمام إسرائيل»[1][2]

وقد وصلت السذاجة في رئيس وزراء يعتقد أن أمريكا سوف تعينه ضد إسرائيل وكأنه غر جاهل لم يقرأ أو يسمع عن تأييد الولايات المتحدة العلني لإسرائيل والتي وقفت بقوة الى جانبها منذ الأربعينيات ـ كما بينا في فصل سابق ـ فعبد الناصر الذي حاز على رضا أمريكا وإعجابها من حيث تبعيته أولاً ومكانة مصر ثانياً فإن أيزنهاور أراد أن يطرح مشروعاً يعطي فيه أقصى ما يمكن من طاقة وإمكانات ليبعدها عن الإتحاد السوفياتي بعطاياه الوفيرة فقال في يومياته: «وعلينا أن نتأكد من أن كل دولة من الدول الضعيفة تفهم ما يمكن أن يخفيه المستقبل لها إن هي وقعت تحت سيطرة السوفيات ومن وراء ذلك فإن هناك الأشياء البناءة التي نستطيع أن نفعلها عندما تفهم هذه الدول حقيقة الفقرة السابقة تماماً. . .

فيمكننا مثلاً أن نقدم لمصر كمية متفقاً عليها من الأسلحة تكفي لحفظ

---

(١) السابق ص ١٢٢.

(٢) السابق ص ٢٠٧.

الأمن الداخلي والدفاع دفاعاً معقولاً عن حدودها مقابل موافقتها على أن لا تقبل إطلاقاً أي عرض سوفياتي. . . ٨ تشرين الثاني نوفمبر ـ ١٩٥٦».

ويقول في موطن آخر عن إسرائيل «وينبغي علينا أن نعقد في الوقت نفسه معاهدة مع[١] الإسرائيليين توفر الحماية لأرضهم. . . ويقول أيضاً: وفي الجانب الآخر فإن المسؤولين الإسرائيليين حريصون على الدخول في محادثات مع مصر إلّا أنهم متعنتون تماماً في موقفهم بأنهم لن يقدموا أية تنازلات على الإطلاق من أجل الحصول على السلام فشعارهم عموماً هو «لا تنازل عن شبر واحد من الأرض» وطلبهم الدائم الملح هو الحصول على مزيد من السلاح، وطبيعي أنهم يستطيعون الحصول على السلاح بأسعار أقل من أية دولة أوروبية إلا أنهم يريدون الحصول على السلاح منا نظراً لأنهم يشعرون أنهم في هذه الحالة يجعلوننا حليفاً شبه كامل لهم في أية مشكلات يمكن أن تتعرض لها المنطقة»[٢].

وهكذا فإنَّه لم يذكر أو يحدد نوعية الأسلحة ومقدارها بل كانت عباراته تشير الى أنها مطلقة بلا قيد كما تفيد عبارته الأخيرة إلى أنهم يريدون السلاح مجاناً لأنهم يجعلون من الولايات المتحدة حليفاً شبه كامل.

لذلك كان التخبط السياسي في سورية قد بلغ حداً لا يطاق حيث لعبت أهواء السياسيين بمقدرات سورية وكانت كالسفينة التائهة كل فريق يجذبها الى ناحية وهي ضائعة لا تعرف أين تتجه كل ذلك يحدث في غياب الفئة المسلمة التي ضاع نصحها في زحمة هذه الإتجاهات المشبوهة.

---

(١) يوميات إيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط ـ عدد ٤/١٨/٧٨٢ ١٩٨١.

(٢) السابق عدد ٨٧٢ وكان تاريخ يوميته ١٣ آذار ـ مارس ١٩٥٦.

وهذه خلاصة الوضع في سورية:

١ ـ الإنقلاب الأول بقيادة حسني الزعيم الذي انقلب على حكومة شكري القوتلي ووضع رجالات الحكم في سجن المزة الشهير في ٣٠ آذار ـ مارس ١٩٤٩م[١] وقد ظهر فيما بعد أن هذا الإنقلاب كان بتدبير الولايات المتحدة الأمريكية كان انقلاب حسني الزعيم يوم ٣٠ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٩م من إعدادنا وتخطيطنا فقد قام فريق العمل السياسي بإدارة الميجر «ميد» بإنشاء علاقة صداقة منظمة مع حسني الزعيم الذي كان رئيساً لأركان الجيش السوري. ومن خلال هذه الصداقة أوحى الميجر ميد لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري اضطلعنا ـ نحن في السفارة ـ بمهمة وضع كامل خطته وإثبات كافة التفصيلات المعقدة إلا أن تحركاتنا هذه لم تثر أكثر من شكوك عند الساسة السوريين فقد كانت كلها سرية ومتقنة الوضع والتخطيط. وأثارت هذه الشكوك ـ فيما بعد ـ فضول رجال الصحافة القريبين وفئات من الطلبة فقاموا بإجراء مقابلات مع من كان لهم ضلع في العملية، كما قاموا بفحص الوثائق التي لها صلة بالموضوع وكانت نتيجة ذلك أن اعترفوا بصحة شكوك الساسة السوريين ودقتها بيد أن الإنقلاب حافظ على صبغة سورية محضة أمام أنظار العالم الخارجي التي بدأت الروائح تفوح منه وأخذت الألسن تتناقل أن حسني الزعيم ليس أكثر من مجرد صبي من صبيان الأمريكان... مايلز كوبلاند»[٢]. أما الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة للقيام بهذا الدور فالولايات المتحدة «اتبعت منذ سنة ١٩٤٧ في هذه المنطقة وغيرها سياسة ذات وجهين ظاهر وخفي...

أما الظاهر فهو التمسك بمبادىء حرية الشعوب واستقلالها وإيمانها بالنظم الديمقراطية والدستورية...

---

(١) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ص ١٤٧ ـ المكتب الاسلامي ـ ط ٢ ـ ١٩٧١.

(٢) جابر رزق ـ الأخوان المسلمون والمؤامرات على سورية ص ٧ ـ دار الاعتصام بلا تاريخ.

أما الخفي... فهو سياسة التدخل في شؤون الدول الصغيرة خفية دون تقيد بالمثاليات والقيم الأخلاقية... وهذه العملية الخفية لا يمكن أن تتم إلا بتواطؤ بين القائمين على السياسة الأمريكية الخفية التي يمثلها جهاز المخابرات الأمريكية، وبين بعض حكام أو زعماء الشرق الأوسط.

لقد كنا نعتقد أن العرب يخافون من الإتحاد السوفياتي لا منا وعلى هذا كنا نعتقد أنهم سيرحبون بجهودنا لحمايتهم ذلك أن شركاتنا البترولية تجعلهم أغنياء وهم الذين يستفيدون بصفة رئيسية من الحل السلمي للمشكلة الفلسطينية. إن رفض بعض قادتهم أن يفهموا الأمور على هذا النحو كان في نظر مخططي سياستنا كافياً ومبرراً لكي نحطمهم أو على الأصح نمكن مواطنيهم من تغييرهم والتغييرات المطلوبة في القيادات كان غرضها مساعدة القيادات الملائمة للسياسة الأمريكية للوصول الى الحكم ـ وبهذا المفهوم.. الأمريكي، أخذت المخابرات الأمريكية تفتش عن الفريسة الأولى للتدخل في هذه المنطقة فوقع اختيارها على سورية لأنها كانت تتميز بالتطرف في مواجهة الصهيونية والإستعمار، وتقرر المباشرة بالتدخل في البرهة التي تلت إنشاء إسرائيل، لشل القدرات العربية عن معركتها الأساسية وجرها الى معارك جانبية داخلية وهكذا بدأت سلسلة الإنقلابات المشؤومة في المنطقة بحركة حسني الزعيم بعد تسعة أشهر من قيام إسرائيل.

وبعد فشل الإنقلابات المتتالية في سورية قررت دوائر المخابرات الأمريكية القيام بعملية أعمق جذوراً تصبح مركز إشعاع لمثاليات الجماهير العربية، فوقع الإختيار على مصر واتجهت السياسة الميكافيلية ـ الغاية تبرر الواسطة ـ الأمريكية في الشرق الأوسط الى ترويض الشعوب وتدجينها لا الى مجرد تغيير القيادات لأن تلك الشعوب كانت تناقض بالبديهة والفطرة الامبريالية والصهيونية فكان لا بد من فرض زعامة ذات خصائص ومميزات معينة تستطيع عند اللزوم اتخاذ قرارات تعاكس أماني الشعوب.. وتملك القدرة بما

أضفي عليها من هالات أسطورية الى فرض تلك القرارات فرضاً قاهراً. . .»[1].

وقد سارع البعثيون في سورية لاستغلال هذا الإنقلاب لصالحهم والوصول بسرعة الى دفة الحكم «ومن يقرأ الكتب الموجهة من قيادة الحزب الى قائد الإنقلاب يلمس احتراماً وتفاؤلاً كبيرين يقول «ميشيل عفلق»: أيها الأخوان ليس ما حدث في سوريا انقلاباً وهو في الواقع خطوة نحو الإنقلاب إننا نستبشر بهذا الحادث ونعلق عليه الآمال ولكن علينا أن نوسع أفقنا وننظم صفوفنا وأن ننظر دوماً الى الأمام الى العلاء فالإنقلاب الذي يجب أن نسعى إليه دائماً وأن نجعل من انقلابنا الحاضر وسيلة وخطوة نحوه هو الإنقلاب الذي يحقق للشعب العربي في جميع أقطاره الإشتراكية العربية والوحدة العربية. . .

واتخذ الحزب من حسني الزعيم موقف المرشد. . . ولكن حسني الزعيم انقلب على الحزب وقبض على غالبية الأعضاء. .»[2].

٢ ـ الإنقلاب الذي قام به الزعيم سامي الحناوي ـ لحساب الإنجليز والعراق ومقتل حسني الزعيم ورئيس حكومته محسن البرازي على طريق المزة بالقرب من السجن الذي كانوا يعتقلون فيه خصومهم[3].

وكان ذلك بعد الإنقلاب الأول بستة شهور أي في ١٤ آب أغسطس ١٩٤٩ وللعلم فقد كان منسق الإنقلابين العقيد بهيج الكلاسي وهو نصراني ـ وما أرى دوره إلا مشبوهاً من أجل إشعال الفتنة وإضعاف الجيش وتوطئة لما سيكون بعد ذلك من أمر خطير وهو ما ظهر عام ١٩٦٧م.

---

(١) سعد جمعة ـ الله أو الدمار ـ ص ١٠١ ـ ١٠٢ المختار الاسلامي الطبعة الثالثة ١٩٧٦.

(٢) جابر رزق ـ الأخوان المسلمون والمؤامرة على سورية ص ٢٩ ـ ٣٠ دار الاعتصام بلا تاريخ.

(٣) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ص ١٤٨ المكتب الاسلامي الطبعة الثانية ١٩٧١م.

٣ ـ إنقلاب أديب الشيشكلي على حكومة الحناوي وهرب الأخير الى لبنان حيث طارده آل البرازي وقتلوه انتقاماً لزعيمهم محمد البرازي[١] وكانت اللعبة السياسية تجري في سورية بتحريك من العراق فالحناوي يريد الوحدة مع العراق والآخرون يرفضون وهكذا قام الإنقلاب الثالث في ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٩م[٢].

وفي السابع والعشرين من أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٠ اعتقلت الشرطة العسكرية النائب منير العجلاني ـ وسجنته بتهمة التآمر مع الملك ـ عبد الله ـ ملك الأردن ـ لتنفيذ مشروع سورية الكبرى[٣].

وفي هذا الوقت أرادت سورية أن تقوي موقفها بالتقارب مع الدول العربية حيث خافت من مسلسل الإنقلابات العسكرية ومن نوايا الدول العربية فالحكومة التي أعقبت الإنقلاب الثالث كانت حكومة مدنية تخشى عودة العسكر للسلطة.. ففي «النصف الثاني من شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٠ وأوائل كانون الأول ـ ديسمبر قام ناظم القدسي يرافقه وزير الدفاع بزيارة عدد من العواصم العربية كشف في هذه الرحلة مشروعه للوحدة العربية، إن هذا المشروع لم يكن متكاملاً ولكن يستهدف الوحدة إما بشكل «كونفدرالي» أو «فدرالي» أو تحالف أو أي شكل سياسي آخر يوحد العرب خطوة فخطوة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وقد عرض هذا المشروع على اللجنة السياسية التابعة للجامعة حيث قوبل بجفاف ثم مات فالجامعة لا تريد أي مشروع أو خطوات عملية نحو الوحدة العربية الحقيقية فما تريده مجرد ترديد العواطف الوحدوية... وما دفع القدسي أيضاً للقيام برحلته في هذا الوقت عينه المذكرة المشتركة التي قدمتها الدول الغربية الكبرى مجتمعة ـ الولايات المتحدة ـ وبريطانيا ـ وفرنسا ـ طالبة فيها من الدول العربية

(١) السابق ١٤٨.

(٢) هردون هـ. نوري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ١٥٥ ترجمة محمود فلاحة ـ دار الجماهير ـ طبعة ثانية ١٩٦٩.

(٣) السابق ١٩٣.

الإنضمام الى الكتلة الغربية وقبول القروض والمعونات الفنية والحد من الشيوعية في المنطقة كما كان هنالك اقتراحات تؤدي الى تسوية مشكلة اللاجئين العرب»[1].

وفي هذه الفترة تعرضت سورية الى ضغط من الحزب القومي السوري من أجل العمل على عودة سورية الكبرى أي سورية الفينيقية وكان هذا الحزب «فاشياً من الناحية المذهبية أسسه.. أنطون سعادة وهدفه إحياء سورية في حدودها التاريخية وهي حدود رسمها في حرية مطلقة وتتضمن: لبنان ـ سورية ـ الأردن ـ العراق ـ قبرص سيناء.... وكان شعارهم: الموت لكل من يناهض مبادىء الحزب وفي ٦ تموز ـ يوليو ـ اعتقل أنطون سعادة في سورية وأعيد الى لبنان وأعدم رمياً بالرصاص بعد ذلك بيومين وكان لهذا التنفيذ المستعجل نتائج مفجعة إذ ساهم أعضاء الحزب القومي السوري باغتيال رئيس الوزراء ـ اللبناني ـ السيد رياض الصلح في ١٦ تموز ١٩٥١»[2] كما أزعج هذا الحزب سورية ونفذ اغتيال العقيد عدنان المالكي عام ١٩٥٥.

٤ ـ «إنقلاب أديب الشيشكلي على أستاذه الحوراني وتسلم السلطة كاملة وإقصاء المدنيين عن الحكم وشل سلطة القضاء ومد نفوذ المخابرات العسكرية الى جميع مرافق الدولة»[3]. كان ذلك في ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥١ ومع ذلك ظل أديب الشيشكلي في رئاسة الأركان يشكل ضاغطاً قوياً على الحكومات السياسية الى أن استولى على السلطة نهائياً ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية في منتصف تموز ـ يوليو ١٩٥٣... وأسس أديب حزباً «سماه» ـ

---

(١) السابق ١٩٦.

(٢) ابراهيم علوان ـ مشكلات الشرق الأوسط ـ الوطن العربي ـ جـ ٢ ص ١٧ منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٧٠م.

(٣) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ص ١٤٨ المكتب الاسلامي الطبعة الثانية ١٩٧١.

«حركة التحرير العربي» وألغى جميع الأحزاب في سورية ثم مارس حكماً ديكتاتورياً وزج في السجون جميع معارضيه وعلى رأسهم «الأخوان المسلمين» «ثم جاء بعد ذلك انقلاب أديب الشيشكلي وعارضه الأخوان المسلمون معارضتهم لسابقيه وكان نصيبهم الزج في سجون سورية وكان انقلاب الشيشكلي أشد ضراوة على الأخوان من انقلاب حسني الزعيم وسامي الحناوي وقد استطاع الدكتور مصطفى السباعي ـ مراقب على الأخوان في سورية ـ رحمه الله أن يهرب من سورية ويعيش خارجها مطارداً وانتهى ـ حكم ـ انقلاب أديب الشيشكلي في سنة ١٩٥٤، وكان انقلاب ٢٣ يوليو تموز ١٩٥٢ قد وقع في مصر والتقى جمال عبد الناصر ـ بأديب الشيشكلي بقصد اكتساب الخبرة وقد دام اجتماع عبد الناصر بأديب الشيشكلي ست ساعات وهناك علاقة وثيقة بين الإنقلابات العسكرية التي دبرت ونفذت في سورية وانقلاب ٢٣ يوليو الذي دبر ونفذ في مصر فقد كانت انقلابات سورية بمثابة (التجريب) للعبة القذرة التي بدأت تلعبها المخابرات الأمريكية في المنطقة حتى إذا ما وقع انقلاب ٢٣ يوليو ـ ١٩٥٢ في مصر بقيادة جمال عبد الناصر أطلق عليه مايلز كوبلاند ـ عميل المخابرات الأمريكية الضالع في اللعبة القذرة والصديق الحميم لجمال عبد الناصر ـ العملية الكبرى التي صنعت مأساة الشعب المصري بل مأساة الأمة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين»[١].

٥ ـ الإنقلاب الخامس «انقلاب على الشيشكلي قام به جماعة أكرم الحوراني وضباط من حزب البعث ـ الذي يرأسه ميشيل عفلق ـ أعادوا السلطة للمدنيين شكلاً وبقيت بيد المخابرات فعلاً . وفر الشيشكلي متنقلاً بين الأقطار العربية الى أن استقر في امريكا اللاتينية»[٢]. وكان ذلك في ٢٥ شباط فبراير ـ ١٩٥٤م. وقد دخلت البلاد في طريق الخط الإشتراكي بعد

(١) جابر رزق ـ الأخوان المسلمون والمؤامرة على سورية ص ١٢٠ دار الاعتصام.
(٢) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ـ ص ١٤٨ طبعة ثانية المكتب الاسلامي.

أن كانت سورية بيد القوى التي تنتهج الخط الديمقراطي الليبرالي الحر ـ أما تاريخ هذين الحزبين الإشتراكيين فيعود الى الأربعينيات من هذا القرن.

«لقد اعتقد الناس أن الاشتراكية شيء جديد بالإضافة الى أنها العلاج للمشاكل الاقتصادية المتعاظمة في الشرق الأوسط وهكذا ظهرت مجموعة من الأحزاب الاشتراكية في مختلف بلاد المنطقة كان أهمها «الحزب العربي الاشتراكي» الذي أسسه «أكرم الحوراني» في سورية ١٩٥٠ ثم توحد مع حزب «ميشيل عفلق»: «البعث العربي» سنة ١٩٥٣ وسمي «حزب البعث العربي الاشتراكي» والمعرف باسم «البعث» ولقد مزج هذا الحزب فكرة اشتراكية اقتصادية بفكرة قومية غامضة وربح عدداً كبيراً من الأنصار في الشرق العربي وكان هذا الحزب ـ بالإضافة الى الحزب الشيوعي ـ الحزب الوحيد الذي يحمل أيديولوجية ـ فكرة ـ منظمة وأسس شبكة واسعة من الفروع، أما أتباعه فكانوا من المتعلمين ومن الطبقة العاملة ولم تلبث الاشتراكية أن قفزت بسرعة مذهلة الى سدة السلطان وتربعت على عرش الحكم فكيف تم ذلك...؟ فالثورة الاشتراكية مثل الدستورية «الليبرالية» فرضت من فوق، لم تأت تلبية لطلب شعبي أو رغبة جماهيرية، ولا جاءت نتيجة لانتصار الحركة الاشتراكية أو نجاح الطبقة العاملة، بل كانت نتيجة قرار نظام حكم عسكري»[1] وبعد الإطاحة بـأديب الشيشكلي عـادت المناورات الخارجية لتطويق سورية فغداة (رحيل الشيشكلي) ظن العراقيون أنهم بلغوا هدفهم ـ أي تحقق الاتحاد الفدرالي السوري ـ العراقي ـ بأن تصبح سورية مملكة يتربع على عرشها الأمير عبد الاله ـ وتولى السيد هاشم الأتاسي رئاسة الدولة ووجه رسالة سرية للأمير عبد الاله يقول له فيها إنه شخصياً وأصدقـاءه من حزب الشعب مستعـدون لتـأييـد مثـل هـذا المشروع... لكن كان هناك الجيش... وكان يؤيده تأييداً قوياً... خالد

(١) د. يوسف القرضاوي ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ١٦٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧م.

العظم والاشتراكيون برئاسة أكرم الحوراني. وسجلت انتخابات آب ـ أغسطس ـ ١٩٥٤ فشل العراقيين، ذلك أن أنصارهم من حزب الشعب لم يفوزوا إلا بخمسة وثلاثين مقعداً ـ مجموع المقاعد ١٢٩ ـ مائة وتسعة وعشرون ـ مع ذلك أفلح العراقيون بفضل الأموال الطائلة التي صرفوها في سورية في قلب الحالة من جديد وبفضل انقلاب عدد من النواب الوطنيين والمستقلين وكتلة العشائر تألفت حكومة في تشرين الأول ـ اكتوبر ـ تحبذ الإتحاد الفدرالي برئاسة السيد فارس الخوري، ومن ثم أصبحت سورية ميداناً غريباً للدسائس تواجه فيه أنصار وخصوم الاتحاد أولاً وأنصار وخصوم حلف بغداد ثانياً ـ وكان الميدان الأول يضم، الإنجليز والأمريكيين والأتراك والعراقيين والميدان الثاني ـ يضم المصريين والسعوديين والفرنسيين والروس. . . وفي شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٥٥ لحقت بأنصار الاتحاد هزيمة كبيرة واضطر فارس الخوري الى الاستقالة بيد أن الضغط الخارجي نشط وتضاعف وخضعت سورية لتهديدات قلما حدثت في تاريخ الدبلوماسية «تدعو الحكومة التركية سورية الى الانضمام الى حلف بغداد وتؤكد أنه لا مجال هناك للخيار وحشدت تركيا قوات كبيرة على الحدود لاستفزاز سورية»[1].

التدخل الأمريكي والروسي في شؤون سورية:

وفي ٢٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٦ تم اكتشاف مؤامرة بزعامة منير العجلاني وعدنان الأتاسي وميخائيل أليان وأديب الشيشكلي للقيام بانقلاب عسكري لصالح العراق وكان توقيت الإنقلاب مع توقيت العدوان ـ الثلاثي مما يؤكد على أن للانجليز ارتباطاً وثيقاً فيه . . . ولما فشلت بريطانيا من ضرب عصفورين بحجر واحد بعدوانها الثلاثي على مصر وانقلابها المذكور آنفاً تنازلت للولايات المتحدة عن المنطقة. . . وقد جاءت الولايات المتحدة الى المنطقة بلباس

(١) ابراهيم علوان ـ مشكلات الشرق الأوسط ـ الوطن العربي ـ ٢ ص ١٣٨ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٧٠.

الصديق المنقذ حيث وقفت الى جانب مصر عام ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي أما في سورية فقد «قدم السفير «موسى» بياناً من ست نقاط الى الحكومة السورية يوم السادس من كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٦ جاء فيه:

إن الولايات المتحدة تؤيد استقلال الدول جميعها استقلالاً تاماً وتعارض التسلط الأجنبي ـ وهذه إشارة ليست غامضة الى المكاسب الكبرى التي يجنيها الاتحاد السوفياتي والشيوعيون المحليون في سورية آنئذ. . . والنقطة الثانية. . إن على الشرق الأوسط أن يعترف باعتماد أوروبا الغربية على الزيت وقناة السويس وطرق المواصلات الجوية عبر المنطقة. . . فهي تعني أن الصلات الوثيقة بالاتحاد السوفياتي ستكون مبعث خطر.

إن النقطة الخامسة في البيان أعادت ذكر اهتمام الولايات المتحدة التي تبذلها الأمم المتحدة لإقامة سلام وأمن واستقرار في الشرق الأوسط. . وكانت النقطة السادسة تصريحاً عن رغبة الولايات المتحدة في التعاون دون شروط مع شعوب المنطقة لتعزيز تقدمها.

. . . وصرح الرئيس شكري القوتلي بلطف أنه يرى أن البيان «جيد» على حين أحس البيطار ـ صلاح الدين البيطار ـ وزير الخارجية أنه يتضمن في بعض أجزائه «مبدأ أساسياً خطيراً»[١] ولما لم يثمر هذا البيان نتيجة لسيطرة الاشتراكيين عمدت الولايات المتحدة الى التآمر على نظام الحكم فخططت لانقلاب عام ١٩٥٧ بقيادة ضابط مسرح هو العقيد ابراهيم الحسيني حيث دخل الى سورية متنكراً وأقام في السفارة الأمريكية واتصل مع أحد الضباط العاملين وأوضح له «أن الامريكان سيعطونه قرضاً بقيمة ٤٠٠ أربعمائة مليون دولار وسيحتل لبنان لتوسيع الخارطة السورية وأنه سيساعد الجزائريين على إنهاء الحرب. والعودة الى قرار مجلس الأمن القاضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود»[٢].

(١) جوردون هـ. توري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ٣٥٧ ترجمة محمود فلاحة ـ دار الجماهير طبعة ثانية ١٩٦٩.

(٢) إبراهيم علوان ـ مشكلات الشرق الأوسط الوطن العربي ٢ جـ ص ١٤١ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٧٠.

أما قلق أمريكا على نفوذها في الشرق الأوسط ومحاولتها كسبه بشتى الوسائل فإنه يعود الى تدخل الاتحاد السوفياتي بشكل سافر في شؤون سورية وظهور أحزاب اشتراكية وشيوعية نافست الأحزاب التقليدية وشكلت قوة لها في الجيش ثم تقدمت نحو الاتحاد السوفياتي بخطوات سريعة من أجل الارتماء في أحضانه لقد (تجدد اهتمام السوفيات بسورية بعد بضعة أشهر من الإطاحة بحكم الشيشكلي ففي أواخر عام ١٩٥٤م كانت الدعاية السوفياتية في صعود واتخذ عدد كبير من الصحف السورية طابع الولاء ـ للسوفيات وقد عزى هذا في بعضه الى الدعم الذي تلقاه العرب من روسيا في نزاعهم مع اسرائيل كما أن بعض الصحف المرتشية ربما كانت تتلقى أموالاً من عملاء السوفيات.

. . إن الصحف المعادية للشيوعية تقهقرت لتحتل مرتبة ثانية هزيلة وقد صحب المسرحية الصحفية نشاط اجتماعي متزايد قام به أعضاء السفارة السوفياتية واتصالات بالزعماء في كل مستويات الحياة السورية.

. . . وفتح مركز ثقافي بدمشق في حزيران ١٩٥٤م كان يقدم الكتب والمجلات والصحف ويعرض الأفلام الروسية وقد ظهر في صحيفة (البعث) الناطقة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي سبق صحفي خاص هو عرض بارع للسياسة السوفياتية تجاه الدول العربية واسرائيل مبرزاً العدد الكثير من المرات التي استخدم فيها الاتحاد السوفياتي حق النقض ـ الفيتو ـ ضد إجراءات رأى العرب أنها ضارة. . .

وفي أواخر عام ١٩٥٥ كانت الأرض قد هيئت تماماً كي تبدأ الكتلة السوفياتية تجني مكافآتها ففي السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٥٥م وقعت اتفاقية تجارية سوفياتية سورية ـ تصدر سورية بموجبها المحاصيل الزراعية بما فيها القطن الى الاتحاد السوفياتي وتستورد منه السلع الصناعية.

. . . وفي الربيع التالي عقدت اتفاقيات أخرى مماثلة مع ألمانيا الشرقية والمجر وبلغاريا ورومانيا وألبانيا. . . إن الصحف السورية طالبت حين اعترفت

مصر بالصين الشعبية في أواسط أيار ـ مايو ـ ١٩٥٦م أن تحذو سورية حذو مصر. . . وهذا ما فعلته في الأول من تموز. . .[١].

ومع هذا التقارب السريع نحو روسيا إلا أن روسيا ظلت على تأييدها لاسرائيل وعدم إصدار أي بيان مؤيد للعرب ضد إسرائيل. لقد «توقف وزير الخارجية السوفياتية في دمشق يوم الثامن والعشرين من حزيران ١٩٥٦ يونيو ـ ليقوم بزيارة رسمية لسورية وقدم عرضاً كبيراً لمعونة اقتصادية سوفياتية لبناء صوامع لتخزين الحنطة وبناء خط حديدي يصل ميناء اللاذقية بمحافظة الجزيرة. . . ولكن أخفق صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء في انتزاع تصريح علني من شيبيلوف يؤيد فيه سورية على اسرائيل. .»[٢].

لقد كان العسلي ـ رئيس وزراء سورية لهذه الفترة ـ مطية اليساريين وهو الذي مرر كثيراً من مخططاتهم «لقد هوجم العسلي لأنه طلب في أثناء مؤتمر صحفي عدم مهاجمة الاتحاد السوفياتي في المقالات التي تنشرها الصحف:

أعلن أن عملاً كهذا «خيانة صريحة» واتهم العسلي بمساندة النفوذ الشيوعي النامي في البلاد على أن يقوى ويجعل من سورية مركز الاستعمار السوفياتي وعلقت إحدى الصحف ساخرة ـ الوعي ـ: لما كان الاتحاد السوفياتي يزودنا اليوم بالسلاح فينبغي علينا نتيجة لذلك ألا نحارب الشيوعية. . . لا بل يجب تأييد وتهيئة احتمالات انتشارها فلندعها تتسلط علينا. . . ولنتخل عن قوميتنا وديننا ودستورنا ومعتقداتنا إن الشيوعية هي الاستعمار الجديد. .»[٣]

وفي انتخابات ١٩٥٧م ظهر خداع اليساريين وظهر تعاون العسلي معهم خصوصاً عندما كانت المنافسة بين الشيوعي رياض المالكي وبين الدكتور مصطفى السباعي مراقب عام الأخوان المسلمين في سورية لقد «تدخل الحكم

---

(١) جوردون هـ. توري ـ السياسة السورية والعسكريون ص ٣٥٩، ٣٦٠ ترجمة محمود فلاحة دار الجماهير طبعة ثانية ١٩٦٩م.

(٢) السابق ص ٣٦١.

(٣) السابق ص ٣٢٩.

علنا لصالح المالكي كما أن صبري العسلي منحه رسمياً عونه ومن الخدع التي استعملها الحكم،التبديل غير المعلن لإجراءات الإقتراع مما أربك ناخبين كثيرين وحين وصل ناخبو الإئتلاف الى مراكزهم الإقتراعية المعتادة قيل لهم إن أسماؤهم غير موجودة في قوائم الإنتخابات ثم طلب إليهم أن يذهبوا الى مركز اقتراع آخر. . وقد شوهد رجال من الشرطة في بزاتهم الرسمية يوزعون المنشورات المؤيدة للمالكي على حين دعا ضباط الجيش علانية للمالكي وهم يركبون عربات عسكرية. . .»[1].

لقد بدأ الشيوعيون ينتشرون بسرعة في سورية بسبب دعم الانتهازيين لهم فالعسلي ظل يتستر على أعمالهم ونشاطهم مقابل بقائه في رئاسة الحكومة ضارباً مصلحة البلاد وتراثها ومقوماتها بعرض الحائط مما جلب التعاسة والشقاء لهذه البلاد وفي أوائل عام ١٩٥٨م «سيكون العسلي في جناح أولئك الذين ذعروا لمشهد تولي الشيوعيين مقاليد الأمور»[2] ولكن بعد فوات الأوان ولم يكن التيار الاسلامي ضعيفاً في سورية بل كان رصيده الشعبي كبير جداً وكان يتنامى باضطراد إلا أن ضعفه كان بادياً في صفوف الجيش الذي يسيطر عليه اليساريون والقوميون. . . لقد زار الهضيبي سورية عام ١٩٥٤م وشهد بعينه ضخامة الجماهير الإسلامية حتى كتب «محمود رياض سفير مصر في سورية وقتئذ تقريراً أرسله لجمال عبد الناصر يحذر فيه من أنه إذا استمر الوضع في سورية على ما هو عليه سوف يصل الأخوان المسلمون الى الحكم في غضون خمس سنوات!!

وأحست التنظيمات والأحزاب اليسارية والقومية بهذا الخطر الذي يهددهم ويتمثل في جماعة الأخوان المسلمين فأخذوا يتكتلون ضد الأخوان ويحبكون الخطط والمؤامرات ضدهم وبدأت الأيدي الخفية تنسج خيوطها حول سورية فسيقت سوقاً بفعل مسلسل الإنقلابات الرهيب الذي لم تشاهد دولة عربية أخرى مثيلاً له في طريق الاشتراكية وتفريغ الشعب السوري من التيار الإسلامي

(١) السابق ص ٣٧٥.
(٢) السابق ص ٣٥٨.

وإجهاض حميته الإسلامية ووضعت الخطط ودبرت المؤامرات ووزع الجواسيس وهيئت الظروف لتمكين الاشتراكيين من حكم سورية ولعبت الصهيونية دورها وساندتها الصليبية الأمريكية»[1].

وهكذا نجد ما بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٤ قد حدث في سورية خمسة انقلابات عسكرية شغلت سورية عن تنفيذ برامج الاصلاح وبناء الجيش من أجل محو عار النكبة ونريد أن نسجل كلمة لأحد أفراد الجيش السوري الغيور على بلده فيقول: «لعل أكثر البلدان العربية والإسلامية إصابة بالنكبات وتعرضاً للبلايا والمحن خلال العقدين الماضيين هي سورية بعد فلسطين إلا أن الذي يميز محنة سورية عن غيرها، ويجعل نكبتها أشد إيلاماً في النفوس وأبلغ أثراً في قلوب المخلصين المتطلعين لمستقبل أفضل لهذه الأمة هو أنَّ نكبتها لم تكن بأيدي أعداء خارجين وإنما كانت بأيدي أبنائها وبصورة خاصة بأيدي جيشها الذي اقتطعت لقمة العيش من قوت أطفالها وقدمت له في مدى عشرين عاماً ثلثي ميزانيتها وعطلت أهم وأكثر مشاريعها الإنمائية والإنتاجية حيوية من أجل الوصول به الى درجة من القوة والإعداد يستطيع معها وفاء دينه نحوها و ـ على الأقل ـ صون أرضها ومقدساتها ولكن ذلك الجيش لم يكن باراً بالعهد ولا وفياً للأمانة التي تصدى لها فكان دوماً السباق لنكبتها والعامل الأكبر في تشريد أبنائها ومطاردة رجالها وتدمير اقتصادها وتعطيل طاقتها. . . ثم دوس مقدساتها وإهانة حرماتها.

وأخيراً التخلي عن جزء من أرضها للعدو الطامع الغريب. . .»[2].

كما نسجل كلمة لكاتب إسلامي «بعد كارثة فلسطين حدثت الإنقلابات العسكرية في كثير من البلدان العربية وكان المفروض أن يتولى هذا الحكم العسكرية إنقاذ فلسطين إلا أن الذي حدث هو غير ذلك. فإن قضية فلسطين في زمن الحكم العسكري قد تعقدت أكثر من ذي قبل وأن العرب قد بعدوا عن حقهم أضعاف ما كانوا بعيدين عنه في عهود الحكم المدني، وأن قضية فلسطين

(١) جابر رزق ـ الأخوان المسلمون والمؤامرة على سورية ص ١٢٣ دار الاعتصام.

(٢) خليل مصطفى ـ سقوط الجولان ـ ص ١٨ دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

قد تضاءلت في عقول العرب ونفوسهم ولم يعد الجيل الجديد الذي نشأ في فترة الحكم العسكري يعبأ بفلسطين. . إن الحكم المدني كان يستحي أن يعلن عن عجزه في قضية فلسطين وكان لا يعلن عجزه حتى لايفت في عضد الجيل الجديد يأساً في نفوس الشعب بينما الحكم العسكري قد أعلن عن عجزه في إنقاذ فلسطين. ألم يعلن كبير الحكام العسكريين العرب أنه ليس هناك مخطط أو تصميم من أجل فلسطين، وأنه ليس بالإمكان على الأقل في الوقت الحاضر إنقاذ فلسطين فإذا كان الحاكم العسكري القوي الذي يحكم ثلاثين مليوناً من العرب يقول هذا القول فما بالك بالدول الصغيرة. .»[1].

الحالة في الأردن:

بعد توقف الحرب عام ١٩٤٨. . . ضمت الأردن اليها الضفة الغربية، فأثار هذا العمل الفلسطينيين واعتبروا هذا العمل من جملة المساوىء التي عدوها على الملك عبد الله فقد حقق مكاسب من حرب فلسطين وهي ضمه الضفة الغربية للأردن بالإضافة الى ما لمسوه منه من تواطؤ في أثناء الحرب وكذلك مضيه بمشروع سورية الكبرى الذي أثار عليه حفيظة الدول العربية المجاورة. . . ولقد كان أكثر الناقمين عليه هم الفلسطينيون بالإضافة الى القوى الوطنية التي رأت في وجود الضباط الإنجليز على رأس قيادة الجيش الأردني أمراً يهددها ويجعل الأردن مرتبطاً بالسياسة البريطانية التي كانت السبب في ضياع فلسطين. فقد حدثت على الحدود مع العدو حوادث كثيرة وقف الملك وقائده الإنجليزي منها مواقف سلبية «ففي شباط ـ فبراير ـ ١٩٥١ وفي تمام الساعة الثالثة ليلاً تحركت قافلة من السيارات اليهودية مؤلفة من ثلاث فرق وخرجت من المنطقة اليهودية في القدس وعند مركز في الجنوب الغربي من المدينة توقفت وأطفأت الأنوار وترجل ثلاثون جندياً اسرائيلياً واجتازوا الحدود الفاصلة بيننا وبينهم بالتسلل الى قرية شرفات القائمة على هضبة هناك وأخذوا بترويع القرية

(١) د. يوسف القرضاوي الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ص ٢٤٧ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧

ونسف بيوتها. . . وبعد ذلك بيومين. . . قام نفر من اليهود لا يربو عددهم عن الخمسة بالتسلل الى بيت في قرية (فلاما) التي لا تبعد أكثر من اثنين كيلو متر عن الحدود المشتركة وألقوا قنبلة أودت بحياة عائلة آمنة. . . وفي مجلس النواب الأردني صرح نفر من نواب الضفة الغربية بأن المسؤولين عن هذه الحوادث قادة الجيش العربي من الإنجليز. وعلى أثر ذلك قالت جريدة الصدق يوم ٢ آذار ـ مارس ـ ١٩٥١ عندما يفقد أحد المتزلجين في جبال سويسرا وعندما يقتل شخص من جراء هزة أرضية في غينيا الجديدة تكتب الصحف البريطانية هذه الحوادث بخطوط عريضة ولكن نوعاً واحداً من القتل لا تذكره الصحف البريطانية وهو مصرع العرب الأبرياء برصاص اليهود. . .»[١].

لهذا فقد انصبت النقمة في الداخل وفي الوطن العربي على الملك عبد الله والإنجليز خصوصاً بعد أن لجأ الحاكم العسكري للقدس العربية عبد الله التل الى مصر ونشر وثائقاً تدين الملك بالتواطؤ وقد اعترف بصحتها جلوب نفسه «وعندما وصل الى مصر أخذ يوجه انتقاداته لحكومة الأردن وللملك عبد الله متناسياً أنعام جلالة الملك عليه وهو لولا أن أسند اليه منصب حاكم القدس لم يعرف كعبد الله التل وقد اتضح فيما بعد أن القائد عبد الله التل يطلع على جميع رسائل الملك الخاصة التي كان يبعث بها الى بعض اليهود فيقرأها ويصورها ويحتفظ بكل ذلك، لا غرو إن عمل عبد الله التل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على خيانة الثقة التي أولاه إياها جلالة الملك»[٢].

لقد اعتبر جلوب كشف الخيانة خيانة وهذا منطق الإنجليز المقلوب لقد رحب جلوب بالخونة وشجعهم على الخيانة «ففي منطقة جنين تمكن أحد قواد البوليس العربي من إقامة علاقات حسنة مع البوليس الإسرائيلي ونتيجة لهذه الصداقة توقفت موجة المتسللين ولقد شجعنا هذا النجاح على أن نطلب من اليهود إقامة مثل هذا التعاون على طول الجبهة. إلا أن أحداً منهم لم يجب»[٣].

---

(١) جلوب باشا ـ جندي مع العرب ص ١٦٢ ـ دار العلم للجامعيين.

(٢) السابق ص ١٤١.

(٣) السابق ص ١٦١.

وأي تعاون يطلبه جلوب.. إنه يطلب تعاوناً ضد الفلسطينيين الذين أسماهم بالمتسللين وهم الذين يعبرون الحدود ليجلبوا ما تركوه من أموال في أثناء هجمة اليهود الشرسة التي أنستهم كل شيء ولقد كتبت الصحف العربية تهاجم سياسة الملك وقائده الإنجليزي وكتبت إحدى الصحف المصرية تقول: «إنها اكتشفت مؤامرة كبيرة تدين الملك عبد الله وقائد قواته بأنهما أفشيا لليهود الخطط التي رسمتها الجامعة العربية لحرب فلسطين كما نشرت صورتي ـ جلوب ـ مع قائد القوات اليهودية في قطاع القدس موشي ديان وأنا أسلمه هذه الخطط ـ ولم تكن الحملة وقفاً على الصحافة المصرية فقد نشرت صحيفة سورية نبأ تقول فيه: إن أعضاء جمعية سورية أقسموا على قتل الملك عبد الله.. لم يكن الملك عبد الله ليهتم لأمر من هذه الأمور، فقد كان يحرص على توقيع الصلح مع اسرائيل وكان يعلن ذلك بصراحة ولقد برهنت جميع الأحداث التي وقعت في فلسطين سنة ١٩٤٧م وقد خالفه الجميع يومئذ وأصروا على الحرب وعند نهاية الحرب وافقت الجامعة على مشروع التقسيم ولكن كانت موافقتها متأخرة وقد أضاعوا فلسطين»[1].

ونقول صحيح إن توقع الملك قد حدث ولكن الملك كان واحداً من الذين ساهموا في حدوث هذا التوقع فلم تكن النتيجة حتمية لأن عاقلاً لا يصدق أن تهزم سبعة جيوش عربية أمام عصابات إلا إذا ارتكبت جريمة الخيانة بحق هذه الجيوش. ولقد حدث هذا قولاً وفعلاً.

لهذا فقد مر الأردن بأزمات سياسية خطيرة كادت تودي بهذه الدولة الصغيرة.. «لقد توالت الأحداث المفجعة في هذه المملكة بعد توسعها وضم الضفة الغربية اليها ففي شهر يوليو ١٩٥١م توجه السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان لزيارة الملك وفي اليوم المحدد لسفره الى بيروت اغتيل على يد بعض اللاجئين السياسيين اللبنانيين وكان لهذا الحادث وقع مدو في الوطن العربي ولكن

---

(١) السابق ص ١٤٥.

بعد مرور ثلاثة أيام حدث حادث آخر كان دويه أشد ونتائجه أخطر ففي ٢٠ تموز - يوليو - ١٩٥١ اغتيل الملك بدوره وهو داخل الى المسجد الأقصى في القدس بصحبة حفيده الأمير حسين. . .»[١].

ففي ذلك اليوم وبينما كان الملك يدخل المسجد الأقصى في القدس لتأدية صلاة الجمعة اغتاله شخص يدعى (مصطفى عشو). . . ودفن مشروع سورية الكبرى مع الملك الراحل وانتقل مركز الثقل في الشرق العربي من عمان الى القاهرة. وكان الأمير طلال بن عبد الله خارج الأردن عندما اغتيل والده عاد بعد ذلك الى عمان في كانون الأول - ديسمبر - ١٩٥١ بعد صدور قرار من مجلس الوزراء صادق عليه مجلس الأمة بالمناداة به ملكاً على البلاد وكان الملك الجديد يتمتع بشعبية كبيرة فقد كان في نظر الأردنيين رمزاً لمقاومة الإنجليز والدول الغربية ولم يصدق أكثر الناس قصة مرضه بل ظنوا أن ذلك خدعة بريطانية. دام حكم طلال عاماً واحداً.

وفي ١١ آب - اغسطس - ١٩٥٢م أعفي الملك طلال من منصبه ونودي بابنه الأمير حسين ملكاً على الأردن. وتألف مجلس وصاية بسبب صغر سن الملك الجديد، تألف من ثلاثة أشخاص - سليمان طوقان - وعبد الرحمن رشيدات - وإبراهيم هاشم ولما بلغ الحسين سن الرشد أقسم اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة في ٤ أيار - مايو - ١٩٥٣ وتسلم سلطاته كرئيس للدولة[٢].

موقف إسرائيل من الحكم في الأردن:

وانتهجت اسرائيل بعد اغتيال الملك عبد الله سياسة عدوانية ضد الأردن محاولة بذلك استغلال الوضع الداخلي الاردني وضعف النظام الدفاعي فيه

---

(١) ابراهيم علوان - مشكلات الشرق الأوسط - الوطن العربي ص ١٤ جـ ٢ منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٧٠.

(٢) السابق ص ١٩٨.

والخلافات بين الدول العربية ولم يكن لدى الأردن سوى توجيه الإحتجاجات الى السفير البريطاني في عمان وسفيري فرنسا والولايات المتحدة بصفتهم ممثلين للدول الموقعة على البيان الثلاثي. . . واتسع نطاق الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود الاردنية منذ عام ١٩٥٣م. . . وعندها قدمت الحكومة الأردنية احتجاجاً الى السفير البريطاني في عمان وطلبت من حكومته تطبيق أحكام معاهدة التحالف الأردنية ـ البريطانية لسنة ١٩٤٨ فكان جواب الحكومة البريطانية تقديم مذكرة مستعجلة في ٥ شباط ـ فبراير ـ ١٩٥٣ الى الحكومة الاسرائيلية تضمنت اعتراضها على الاعتداءات. . . وهكذا لم يكن لدى الأردن ـ حسب قول الفريق جلوب ـ سوى المحافظة على الهدوء وضبط النفس والاعتماد على الدعم البريطاني في حالة هجوم اسرائيلي عام.

ولما تولى الملك حسين سلطاته الدستورية في الثاني من أيار ـ مايو ـ عام ١٩٥٣م أحب رئيس وزرائه الجديد فوزي الملقي أن يبدأ عهد الملك الشاب بانفتاح على الحركات السياسية في البلاد والتعاون مع الدول العربية الشقيقة. . . فكان دور إسرائيل أن ترغم العاهل الأردني على عدم الإستجابة لأية محاولة للتعاون بين مملكته والدول العربية المجاورة وأن تجبره على التفاوض منفرداً لتسوية القضية الفلسطينية وفي سبيل ذلك ازدادت الاعتداءات الاسرائيلية واتسع نطاقها. . . ففي بحر أسبوعين فقط جرى أربعة عشر اعتداء وارتكبت اسرائيل بين الأول من كانون الثاني ـ يناير ـ والخامس والعشرين من أيار ـ مايو ـ ١٩٥٣م مائتي حادث إعتداء كان مجموع ضحاياه ١٦٥ مائة وخمسة وستين قتيلاً.

مجزرتي قبية ونحالين

وبلغ الضغط الإسرائيلي ذروته في هجوم مدبر. . ليلة ١٤ ـ ١٥ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٣ على قرية «قبية»، كانت ردة الفعل الرسمية والشعبية

على هذا الحادث واسعة المدى إذ قدمت الحكومة الأردنية احتجاجاً فورياً للأمم المتحدة والدول الموقعة على البيان الثلاثي ودعيت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية الى الاجتماع في عمان للتباحث في العدوان الاسرائيلي وعلى المستوى الشعبي قامت مظاهرات في جميع أنحاء البلاد وخاصة في عمان والقدس ونابلس وأريحا ورام الله . . . «وطالب المتظاهرون بعزل الفريق جلوب والضباط الإنجليز وقيادة الجيش الأردني. .»[1] ومع ذلك لم يتغير شيء في الأردن فالملك ما زال جديد العهد وشاباً ومن الصعب أن يقدم على تغيير فعال. . . «إلا أن إسرائيل استمرت في سياستها العدوانية نحو الأردن وكان لموقف بريطانيا ومواقف الدول العربية من الهجوم على قبية التي اتسمت بالعقم والتردد ما شجع اسرائيل على الاستمرار في هذا الاتجاه فبعد خمسة شهور من تدمير «قبيه» واجهت قرية «نحالين» الأردنية المصير نفسه. . . واقترحت العراق وسورية والعربية السعودية تقديم مساعدات عسكرية للأردن وأكد البيان الذي صدر عن جامعة الدول العربية المنعقد في القاهرة في ٦ نيسان تضامن الدول العربية قاطبة مع الأردن وعزمها على اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لمواجهة العدوان الاسرائيلي إلا أن هذا التضامن مع الأردن لم يخرج عن كونه تضامناً لفظياً يقال لإرضاء الرأي العام في كل دولة عربية»[2].

«ولما ازداد الأمر سوءاً وأحس الملك حسين بالخطر وجه في ٥ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٤ رسالة. . الى ملوك ورؤساء الدول العربية طلب المساعدة المعنوية والمالية الفورية لدعم الأردن قبل أن يفوت الأوان ووضع الدول العربية أمام مسؤوليتها عن ضياع أرض الوطن وفي أعقاب هذه الرسالة قررت العربية السعودية والعراق ولبنان ومصر وسورية المساهمة مالياً في زيادة عدد قوات الحرس الوطني الأردني»[3].

---

(١) السابق ص ٢٠٤, ٢٠٥.

(٢) السابق ص ٢٠٧.

(٣) السابق ص ٢٠٨

الأردن وحلف بغداد:

ثم خضعت الأردن لامتحان صعب وذلك في محاولة أطراف حلف بغداد لضمها الى هذا الحلف... ثم ظهر على الساحة العربية رجل فتن الناس بشعاراته البراقة فأدى الى زعزعة الأردن داخلياً فقد كسب أنصاراً ناهضوا الحكومة علناً وأظهروا ولاءهم له بحماسة منقطعة النظير... «فبينما كان العالم العربي منغمساً في الجدل حول جدوى حلف بغداد أعلن عبد الناصر في ٢٧ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٥ عن عقد صفقة الأسلحة التشيكية وبرز منذ ذلك اليوم بطلاً قومياً لأنه كسر طوق احتكار السلاح وغدا القائد المرتجى لسحق اسرائيل وإعادة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم المحتل.. وبعث مجلس النواب بالبرقية التالية الى الرئيس المصري في ٤ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٥: إن مجلس النواب الأردني يحيي فيكم الروح العربية الأبية ويؤيدكم في كل اجراء اتخذتموه وتتخذونه من أجل الحصول على السلاح بدون قيد أو شرط من أية جهة كانت للدفاع عن البلاد العربية... وبينما كان يعلو نجم عبد الناصر بدأت الإنتقادات توجه الى الملك حسين وتركزت حول وجود الفريق جلوب على رأس الجيش الأردني وأصبحت شعارات الأحزاب والمنظمات السياسية...: اطردوا الضباط الإنجليز من الجيش... تخلصوا من الملك الذي حول الأردن الى مجرد أداة في يد الغرب... وأخذت الأسلحة التشيكية تتدفق على مصر في الوقت الذي راحت فيه أجهزة الدعاية المصرية تعزو هزيمة عام ١٩٤٨ الى النقص في الأسلحة عند العرب وبدت صفقة الأسلحة التشيكية الحل السحري لإنقاذ العرب من مآسيهم... وظهر العراق ـ منافس مصر الأول ـ عدواً لقضية العرب»[1].

أما على الصعيد الخارجي فقد «زار رئيس تركيا جلال بايار عمان في ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٥م وحاول أن يخفف من مخاوف الأردنيين من

---

(١) السابق ص ٢٢٧.

الحلف فأعلن في خطاب ألقاه في إحدى الوحدات العسكرية الأردنية في القدس: يجب ألا يندهش الأردنيون إن رأوا الجيش التركي يحارب الى جانب الجيش الأردني إذا ما تعرضت الأردن للعدوان ـ ولم يحدد رئيس تركيا جهة العدوان ربما لا يقصد اسرائيل لكن الملك حسين تخلص منه بطريقة ذكية فهو يعرف نقاط الضعف في تركيا ـ أبدى الملك حسين استجابة الأردن ورغبته في الإنضمام الى الميثاق ولكنه قال: يعيش الأردن في وضع غريب قائم على الخوف الدائم من عدو قوي وشرس كما أننا في ضائقة اقتصادية دائمة بسبب وجود مليون لاجيء دون عمل ونحن بحاجة الى المال لتنفيذ مشاريع التنمية فأجابه الرئيس التركي: بأن بلاده لا تستطيع أن تقدم معونة مالية للأردن واقترح على الحكومة الأردنية أن تجري اتصالات مع لندن لهذا الغرض ووعد بدعم تركيا للمطالب الأردنية وبهذا القدر من تبادل وجهات النظر انتهت المباحثات الأردنية التركية».

. . ومن هذا الحديث يتبين أيضاً اندفاع تركيا وراء مخططات بريطانيا فقد اندفعت تركيا متحمسة تدعو الى الحلف وهي لا تعلم أكثر من مقدمة أنفها فلما وضعت موضع المسؤولية حولت هذه المسؤولية الى صاحبة المشروع الأصلي بريطانيا وظهرت تركيا على حقيقتها وهي لا تعدو أن تكون مجرد دمية متحركة بإرادة غيرها. . . فالدول الغربية الماكرة استطاعت أن تحرك الدول الإسلامية الصغيرة والكبيرة على حد سواء. . وأرادت الأردن أن تختبر قوة حلف بغداد وإمكانية تزويدها بما تحتاجه من أسلحة وأموال «وجاءت المبادرة الرسمية في ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٥ من جانب الحكومة الأردنية إذ قدمت مذكرة الى السفير البريطاني في عمان تحتوي على مطالب الأردن وشروطه للإنضمام الى حلف بغداد وفيما يلي هذه الشروط: ـ

١ ـ المحافظة على ميثاق الضمان الجماعي العربي بحيث يتمكن الأردن من القيام بالتزاماته بموجب نصوص هذا الميثاق.

٢ ـ تأييد الأردن تأييداً مطلقاً في تحقيق المطالب والحقوق العربية في فلسطين ودفع العدوان عن الأردن أياً كان مصدره.

٣ ـ النظر بعين الإعتبار الى الوضع في الداخل والخارج وترك الفرصة للحكومة الأردنية لتهيئة الجو المناسب.

أما المطالب الأردنية فقد تركزت على زيادة القدرة العسكرية وأوردت المذكرة حداً أدنى لهذه المطالب.

١ ـ فرقة مشاة.

٢ ـ فرقة مصفحة.

٣ ـ مدفعية ثقيلة.

٤ ـ لواء من المظليين.

٥ ـ مجموعة كوماندو.

٦ ـ قوة جوية من قاذفات ومقاتلات وتأمين ما يلزم من أجل استلام القواعد اللازمة لها تدريجياً.

٧ ـ قوة بحرية صغيرة في البحر الميت والعقبة.

وبعث الملك حسين رسالة شخصية الى الرئيس جمال عبد الناصر أعرب فيها عن رغبة حكومته في الإنضمام الى حلف بغداد وسلم هذه الرسالة الى الفريق عبد الحكيم عامر ـ القائد العام للجيش المصري الذي كان آنذاك في زيارة رسمية للأردن وكان الفريق عامر قد أعرب عن ترحيبه بالخطوة الأردنية ومباركته لها عندما اطلع على فحوى المذكرة السالفة الذكر»[1].

---

(١) السابق ص ٢٣١, ٢٣٢, ٢٣٣.

obeikandl.com

الميل للصف العربي وعزل جلوب:

«وفي السادس من كانون الأول ديسمبر ـ زار تمبلر رئيس أركان الجيوش البريطانية عمان وقدم مذكرة من الحكومة البريطانية للرد على مطالب الأردن إلا أن هذه المطالب لم تكن كما طلبه الأردن، كما أراد تمبلر استبدال معاهدة عام ١٩٤٨ بمعاهدة اكثر سوءاً ورفض الأردن ذلك وعاد تمبلر خالي الوفاض وأحس الملك حسين نتيجة للزيارة المشؤومة سياسياً التي قام بها الى عمان رئيس اركان حرب الجيوش الامبراطورية في كانون الأول ـ ١٩٥٥ أنه مرغم على طرد الجنرال جلوب من قيادة الجيش العربي الأردني واحلال علي أبو نوار المناصر للبعث محله بعد بضعة أشهر. . . إن هذا العمل وإقالة وزارة الرفاعي مهدا الطريق لتحول السياسة الخارجية الأردنية وانقلابها الى نقيض ما كانت عليه، إذ كانت حتى الآن معارضة لمحور دمشق ـ القاهرة ـ الرياض ـ عقب زيارة قام بها شكري القوتلي لعمان في أواخر أيار ١٩٥٦م، وأعلنت الأردن وسورية تشكيل لجنة عسكرية دائمة من أجل التشاور في حال وقوع حرب مع إسرائيل وفي آب أمَّ أبو نوار دمشق لإجراء ما وصف بالمحادثات العسكرية وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول ـ أكتوبر ـ عقد اتفاق توضع بموجبه القوات المصرية والسورية والأردنية في زمن الحرب تحت قيادة وزير الحربية المصري السيد عبد الحكيم عامر»[1].

«وفي كانون الأول تقاضت حرب السويس ضريبتها السياسية من الأردن التي أخذت تبحث عن بديل للمعونة البريطانية المربكة فأرسلت وفداً الى مصر وسورية والعربية السعودية لتوقيع اتفاقية تحل محل الإتفاقية البريطانية وتتعهد الدول العربية الثلاث فيها بدفع التزام بريطانيا المالي للجيش الأردني ومقداره ٣٥ خمسة وثلاثون مليون دولار ولكن هذا الوفد لم يتوصل في النهاية الى أية

---

(١) جوردون. هـ. توري السياسة السورية والعسكريون ـ ص ٣٥٤ ترجمة محمود فلاحة ـ دار الجماهير ـ طبعة ثانية ١٩٦٩م.

نتيجة ربما لراحة الأطراف المعنية جميعها، إن فرض حسين سلطته التامة ثانية وفرار أبي نوار الى دمشق بعد إقالة النابلسي رئيس مجلس الوزراء الأردني أنهيا شعر العسل القصير بين الأردن من ناحية ومصر وسورية من ناحية أخرى»[1].

المؤامرة على الأردن:

ورغم تشكيل اللجنة العسكرية الدائمة بين مصر وسورية والأردن، فإن إسرائيل ظلت تواصل تحرشاتها بالأردن فقد لاحظت أن الظروف العربية مواتية لاقتطاع أجزاء من الأردن والتوسع على حسابها ويبدو أن بريطانيا لم تكن صادقة تماماً في مساعدة الأردن كما أن الولايات المتحدة كانت مترددة بين المعارضة لسحق الأردن وبين التسليم بالأمر الواقع وقد ذكر هذه الأزمة التي مرت بها الأردن بسلام بعد التآمر الكبير الرئيس أيزنهاور في يومياته فذكر في ١٥ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٥٦م يقول: «جاءني وزير الخارجية ومعه المستر هوفر والمستر رونتري الذي يعمل في مكتبه لبحث الوضع الذي أخذ يتدهور في منطقة الحدود الاسرائيلية ـ الأردنية ويبدو أن المجتمع الدولي قد سلم بأن الأردن أخذ يتصدع وطبيعي أن كل الدول المحيطة به تتلهف على أخذ حصتها من حطام الأردن بما في ذلك إسرائيل والواقع أن هنالك شكوكاً بأن الضربات الوحشية التي شنتها قوات الحدود الاسرائيلية في الآونة الأخيرة ضد المراكز الحصينة داخل أرض الأردن إنما تهدف الى التعجيل في عملية التصدع هذه. وفي الوجه المقابل من الصورة تبدو الدلائل على أن بريطانيا جادة فعلاً في ما أعلنته من عزمها على الوفاء بالتزاماتها التي تترتب عليها بموجب معاهدتها مع الأردن، والتي تتطلب منها أن تساعد في الدفاع عن الأردن في حالة تعرضها لهجوم خارجي. وإذا ما حدث هذا فإن بريطانيا ستجد نفسها في وضع غريب إذ تساعد في الدفاع عن إحدى

---

(١) جوردون هـ. توري: السياسة السورية والعسكريون ـ ص ٣٥٤ ترجمة محمود فلاحة، دار الجماهير ـ طبعة ثانية ١٩٦٩.

الدول العربية بينما تشتبك في الوقت نفسه في خصومه تنذر أحياناً بالتحول الى حرب سافرة مع مصر بشأن قضية قناة السويس. ويبرز هذا كله أمراً معيناً لا بد لنا من أخذه بعين الاعتبار وهو أننا اعتباراً من هذه اللحظة نواجه الوضع الراهن على أساس أن الأردن يتمتع كدولة ذات سيادة. وفي ـ نفس الوقت فنظراً لاحتمال تصدع الحكومة الأردنية لا بد أن نكون على استعداد لمواجهة الوضع الذي ينجم وهو استيعاب دول أخرى لشعب الأردن وأرضها. أما الآن فإننا لا نستطيع أن نواجه غير المشكلة الأولى. يعقد وزير الخارجية اجتماعاً مطولاً مع أبا إيبان سفير إسرائيل في الولايات المتحدة، الذي يوشك أن يعود الى بلاده وأحب أن يزور فوستر دالاس ليبحث معه بعض العوامل المؤثرة في المشكلة وقد قلت لوزير الخارجية إن عليه أن يوضح بجلاء للإسرائيليين أن عليهم أن يوقفوا هجماتهم على الحدود الأردنية. أما إذا واصلت اسرائيل هذه الهجمات وخصوصاً إذا وصلت بها الى حد محاولة الإستيلاء على بعض الأراضي التي تقع الى الغرب من نهر الأردن فإنها ستتعرض حتماً للزجر من قبل الأمم المتحدة وسيضغط الرأي العالم العالمي وليس العربي وحده. على دولتهم الصغيرة وبالاضافة الى هذا فإذا اتخذت الأمم المتحدة قراراً يندد بإسرائيل فإنه لن تكون هناك أية وسيلة لإيقاف أو ردع أية خطوة يقوم بها الاتحاد السوفياتي لدخول المنطقة ومساعدة الدول العربية وفي وسع السوفيات أن يدخلوا بقوات ضخمة تحت ستار كونهم ينفذون تفويضاً من الأمم المتحدة. أما الأثر النهائي لذلك كله فهو جعل المنطقة كلها بما فيها إسرائيل تدور في الفلك السوفياتي.

وقد كان هناك ميل للاعتقاد أن موقف بن غوريون العدواني السافر مبني في هذه اللحظة على ثلاثة عوامل: ـ

١ ـ رغبته في الإستفادة من تدهور الأوضاع المستمر في الأردن بحيث يكون جاهزاً لاحتلال مساحة واسعة من أراضي الأردن والمطالبة بضمها.

٢ ـ إنشغال مصر والدول الغربية في موضوع قناة السويس مما يقلل من احتمال

دخول مصر الحرب ضد بن غوريون فوراً. ويعيق في الوقت نفسه من مقدرة بريطانيا على تعزيز الأردن.

٣ ـ واقتناع بن غوريون بأن الحملة السياسية الراهنة في الولايات المتحدة ستمنع حكومتها من اتخاذ موقف صلب ضد أية خطوة عدوانية يقوم بها.

ويعتزم دالاس، وزير الخارجية أن يحذر السفير الاسرائيلي من أننا إذ نكره أن نثير أي سوء تفاهم وأية عواطف لا ضرورة لها في هذه البلاد حول هذه المسألة بالذات. فإن عليه أن يبلغ حكومته بأن الذين يتبقون له في العالم، مهما أوتوا من قوة. أن يدر أواعنه هذه الكارثة. ويعتزم فوستر دالاس أن يضع هذا الموقف أمام ايبان بكل وضوح وجلاء.

وفي الوقت نفسه فقد وعدني فوستر دالاس أن يجهز سياسة أو خطوة توجه تصرفاتنا في حالة تصدع الأردن فعلاً وانهيارها بحيث تخلق وضعاً جديداً في العالم.

ويعتقد أن إحدى الغارات التي شنتها اسرائيل أخيراً على الأردن شاركت فيها كتيبتان أو ثلاثة من المشاة والمدفعية كما شاركت فيها طائرات نفاثة، وبالمناسبة فإن طائراتنا الإستطلاعية التي تحلق على ارتفاعات عالية أظهرت أن إسرائيل حصلت على نحو ستين طائرة من طائرات مستير الفرنسية بينما ذكرت الأنباء أنها حصلت على أربع وعشرين طائرة فقط أما الأردن فليس لديه سلاح للطيران. . . »[1].

---

(١) يوميات أيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط صفحة ٨ عدد ٨٨١ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٧م.

الفلسطينيون بعد النكبة:

بعد الذي قدمنا عن حرب فلسطين عام ١٩٤٨ لا نجد ما نقول لأولئك الزعماء الذين فرطوا بفلسطين الى حد الضياع وتركونا ننظر الى قوافل اللاجئين من الشيوخ والنساء والأطفال إخواننا في العقيدة والدين وهم يخرجون من ديارهم على وجوههم هائمين فراراً بدينهم وخوفاً على أعراضهم من انتهاكات يهود في حالة تدمي العين وتكلم الفؤاد.

ولا نجد ما نقول للزعماء الا قول الله تعالى: **﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنوا إذا لَقيْتُم الَّذينَ كفَروا زَحفاً فلا تُولُّوهُمُ الأدبارَ. وَمَنْ يُولِّهِمْ يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بِغَضَبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾**[1].

لقد «أصبحت الهزيمة نكبة تحول نحو مليون فلسطيني بعد طردهم من أوطانهم وتجريدهم من أموالهم وأملاكهم «لاجئين مشردين» وبقي نحو مائة وسبعين ألفاً في أوطانهم أشباه أسرى في اسرائيل ونجا السكان الأصليون في قطاع غزة وفي الجزء الشرقي الأوسط الذي ألحق بالاردن وسمي «الضفة الغربية» فأما اللاجئون فقد تفرقوا فكان منهم نحو مائتي ألف في قطاع غزة ونحو ثلاثمائة ألف في سورية ولبنان والباقون وهم الأكثرية في ضفتي الأردن الغربية ـ والشرقية عدا بضعة آلاف في العراق ومثلهم في مصر ونحو مائة ألف منتشرين في السعودية والكويت وسائر إمارات الخليج العربي ـ وقضي على اللاجئين أن يعيشوا في بلاد غير بلادهم ويسكنون الخيام في معسكرات خاصة بهم ويتلقون مساعدات بخسة من الغذاء والكساء والمأوى تقدمها اليهم وكالة غوث اللاجئين هبات وتبرعات دائمة نظراً لكونهم عاطلين عن العمل وأنشئت لهم داخل مخيماتهم إدارات ومرافق خاصة لحفظ الأمن بالدرجة الأولى ولتقديم أقل ما يمكن من الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية بطريقة شكلية فانتشرت

---

(١) الأنفال آية ١٥ ـ ١٦.

بينهم البطالة وفتكت بهم الاقذار والفقر والجهل والمرض وأصبحوا يكونون طبقة اجتماعية جديدة مغايرة لسائر طبقات المجتمع الأخرى بأنها أشد انسحاقاً وأسوأ أحوالاً مادية ومعنوية نتيجة للإغتراب والإعتماد على الصدقات لإمساك الحياة. . . إن هذه الطبقة أضحت تشعر بالغربة داخل أوطانها وفي سائر الأقطار العربية[1].

الفلسطينيون تحت حكم اليهود:

لقد اختلف الإستعمار اليهودي عن غيره من أنواع الإستعمار الأخرى فبينما نجد الإستعمار الاوروبي مثلاً يحتل البلد وأهله ليجندهم أجراء لخدمته ونهب خيراتهم، فإن الاستعمار اليهودي لفلسطين كان استيطاناً مركزاً يقوم على إجلاء السكان من عرب فلسطين بشتى الطرق ومختلف الوسائل ليحل محلهم قادمون من اليهود، فهم يريدون الأرض خالية من أي عنصر بشري لذلك لجأوا الى سن القوانين الجائرة التي تمكنهم من الاستيلاء على أراضي العرب اللاجئين والمقيمين رغماً عن قرارات الأمم المتحدة القاضية بصون أملاك العرب في فلسطين «ففي عام ١٩٤٨م طبقت الحكومة أنظمة الطوارىء لأملاك الغائبين التي استبدلت عام ١٩٥٠ بقانون أملاك الغائبين، والغائب كما يعرفه القانون هو كل من كان مواطناً فلسطينياً وترك مكان سكناه الاعتيادي في فلسطين الى أي مكان خارجها قبل أيلول ١٩٤٨ سبتمبر ـ أو إلى اي مكان في فلسطين كان خاضعاً لقوات كان هدفها منع قيام دولة اسرائيل أو حاربت دولة اسرائيل بعد قيامها وذلك في أي وقت من المدة الواقعة بين يوم ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٧ وبين اليوم الذي يعلن فيه إنهاء حالة الطوارىء التي أعلنها مجلس الدولة المؤقت»[2].

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٥م.

(٢) حبيب قهوجي ـ العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ ص ١٨٧ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٧٢م.

وبهذا القانون سلبت أراضي مئات الآلاف من النازحين خارج فلسطين وداخلها. . .

أما القانون الثاني الذي اعتمدت عليه السلطات في مصادرة الأراضي العربية فهو (قانون الدفاع) حالة الطوارىء ـ عام ١٩٤٥: لقد منحت المادة الحكام العسكريين صلاحية الإعلان عن مناطق معينة بأنها مناطق مغلقة لا يسمح بدخولها أو الخروج منها إلا بتصريح خطي من الحاكم العسكري ولقد استغلت هذه المادة لمنع القرويين من العودة الى قراهم التي طردوا منها أو التي تركوها نتيجة لمعارك ١٩٤٨.

فعندما ترفض قرية ما أن تتنازل عن أملاكها فإن السلطات تضمها الى إحدى المستعمرات المجاورة وتستغل أراضيها بدون دفع أي تعويض لأصحابها الأصليين وعندما يقبل البعض بالتنازل عن أملاكهم فإنها تقدر ثمن الدونم[1] الواحد من تلك الأملاك ببضع عشرات الليرات الاسرائيلية.

والقانون الثالث الذي استندت اليه السلطات لنهب الأرض العربية هو القانون الذي سمي «المواد لساعة الطوارىء» ـ مناطق الأمن ـ ١٩٤٩ هذه المواد منحت وزير الدفاع صلاحية الاعلان عن المنطقة المحمية او جزء منها «كمنطقة أمن» والمنطقة المحمية هذه هي كناية عن قطاع أرض داخل اسرائيل عرضه عشرة كيلو مترات شمال خط العرض ٣١، و٢٥ كيلومتراً جنوب نفس خط العرض وذلك على امتداد الحدود كلها ومنها المادة (٨ ـ ١) التي تقول: من حق السلطة المختصة أن تأمر ساكناً ثابتاً في منطقة أمن أن يخرج من منطقة الأمن هذه وبعد أن تبلغه السلطات بذلك يكون ذلك الساكن مجبراً على الخروج منها خلال أربعة عشر يوماً. . .

والقانون الرابع: «مواد ساعة الطوارىء لاستغلال الأراضي غير المفلوحة» وذلك بإعطاء وزير الزراعة حق الإستيلاء على الأرض غير المفلوحة لتأمين

---

(١) الدونم الواحد يساوي ١٠٠٠م٢.

فلاحتها وفي حالة عدم اقتناع الوزير بأن صاحب الأرض قد بدأ أو يوشك أن يبدأ بفلاحة الأرض أو سيستمر في فلاحتها. . .

القانون الخامس: «الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارىء» ١٩٤٩ منح القانون الحكومة صلاحية تعيين «سلطة ذات صلاحية» من حقها إصدار أمر بالاستيلاء على أرض أو إصدار أمر إسكان في كل حالة تقتنع فيها أن إصدار هذا الأمر مطلوب من أجل الدفاع عن الدولة وأمن الجمهور وتأمين تموين ضروري أو خدمات جماهيرية ضرورية أو استيعاب مهاجرين أو إسكان جنود غير مسرحين أو مشوهي حرب.

والقانون السادس: «استملاك الأراضي» وهو نهب مبرمج ومخطط. . . وذلك بأن تنتقل ملكية تلك الأراضي التي وضعت تحت تصرفها تحت شعار «النقل والاستيلاء والاستعمال» نقلاً قانونياً تملكياً. . . يمنح حسب نصوصه وزير المالية بنقل أرض صودرت حسب القوانين السابقة الى ملكية دولة اسرائيل. . .

والقانون السابع: «تقادم الزمن»، «هو أن على كل مالك لأرض غير ممسوحة ومسجلة في دائرة الطابو أن يبرهن على أنه يملك هذه الأرض ويتصرف بها منذ خمسين سنة بشكل مستمر وهذا الأمر من الصعوبة بمكان إثباته»[1] هذا بالإضافة الى هجمات الإرهاب التي يتعرض لها العرب والقرى العربية بين آونة وأخرى والتي ترغم الأهالي على النزوح وأمثلة هذا كثيرة في قرى أم الفحم والجلمة والريحانية وأقرت. . . . . الخ ونورد برقية رفعها مختار قرية الجلمة الى رئيس دولة إسرائيل يشكو فيها ما واجهته قريته على أيدي الإرهابيين يوم ١١ أغسطس آب ١٩٥٣ رجال كيبوتس لهفات جيب «نسفوا بيوتنا بالديناميت بالجملة وسبق أن قطعوا ألوفاً من أشجارنا المثمرة. المحكمة العليا حكمت لنا وسلطتكم أدخلت المعتدين وساعدتهم شكونا للسلطات وليس من مجيب أنحن في دولة أم بين عصابة. اقتلونا فقد كرهنا البقاء تحت ظلمكم. ها أنذا عمري ثمانون سنة

---

(١) السابق ص ١٩٠ ـ ١٩٤.

ولم أسمع ولم أر أفظع استبداداً وظلماً منكم. إدفعوا ثمن أموالي لأخرج أو اقتلوني لأرتاح أشكوكم الى الله... التوقيع محمد النواف»[٢].

ويقول الإرهابي بيجن: «لقد خلقنا جواً من الرعب المجنون جعل أكثر من ٧٥٠ سبعمائة وخمسين ألف عربي يفرون تاركين وراءهم كل شيء الأمر الذي كان لهم أهمية سياسية واقتصادية لا حدود لها»[٢].

فقد «دأب اليهود على اضطهاد العرب الذين أوقعهم حظهم المنكود في قبضة العصابات اليهودية التي حملت اسم اسرائيل والقصد هو إبادة ما تبقى من العرب عندهم أو إجبارهم على النزوح عن اسرائيل نهائياً. ومن أجل تحقيق أهداف اليهود هذه لجأوا الى وسائل إجرامية همجية لا يستخدمها الا اليهود فبعد أن وضعوا قوانين تؤدي الى نهب الأرض العربية ومصادرتها للصالح اليهودي العام ـ اتجهوا الى الأقلية العربية وجعلوها تحت الحكم العسكري المباشر لشل حركة العرب وعدم السماح لهم بالانتقال من مكان الى آخر إلا بتصريح من البوليس اليهودي ونفذوا سياسة تجويع العرب وإفقارهم ومنعهم من العمل لتزداد البطالة بين الشباب الذين حرموا من زراعة أرضهم وحينما اتجهوا الى كسب العيش بالعمل اليدوي حرموا من هذا الحق ليهيموا في الشوارع والأزقة، تفتك بهم الأمراض الناجمة عن الفقر والجوع واليأس»[٣].

ففي أول سبتمبر ـ أيلول ـ ١٩٥٣ ذكرت جريدة كول هاعام اليهودية «أن السلطات اليهودية أعدمت ستة عشر شاباً من قرية (عيبلون) قضاء الناصرة برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية وأجلت سائر الشباب عن القرية وطردتهم عبر الحدود اللبنانية ولم يبق في القرية غير الشيوخ والعجزة

---

(١) عبد الله التل ـ خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ص ٣١٦ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

(٢) محمد عبد العزيز منصور ـ يا مسلمون اليهود قادمون ص ٣٢ دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٧٩.

(٣) عبد الله التل خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ص ٣٢٢.

وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق من نفس القرية في داخل بيتها إرهاباً لسائر السكان»[1].

«هذا هو البلاء الذي حل بعرب فلسطين ولاسيما أولئك الذين يعيشون اليوم تحت حكم العصابات اليهودية ويتعرضون لأبشع أنواع الظلم والبطش والإبادة ويتحملون بإيمان وصبر وشجاعة عملية الإفناء التي تنفذها ضدهم حكومة العصابات الصهيونية وهم ينقرضون تدريجياً فبينما كان عدد العرب في دولة العصابات بعد الحرب الفلسطينية ٣٠٠ ألف ثلاثمائة ألف أصبحوا اليوم لا يتجاوزون ٢٢٠ ألفاً مائتين وعشرين ألفاً بدلاً عن ٣٥٠ ألفاً ثلاثمائة وخمسين ألفاً، إذا حسبنا الزيادة الطبيعية للسكان ومعنى هذا أن السكان العرب في الأرض المحتلة ينقرضون بمعدل ١٢ ألف اثني عشر ألف نفس في السنة»[2].

فالعرب «في إسرائيل قد فرضت عليهم أنظمة عسكرية تلغي إلغاءً تاماً كل حقوقهم المدنية الأساسية، إنهم محرمون من حرية الانتقال ومحرومون من حرية اختيار الإقامة وهم في النقابات لا يتمتعون بالحقوق التي للأعضاء غير العرب وكذلك الأمر في اكثر المنظمات الأخرى والإدارات العامة حيث يعاملون معاملة يتجلى فيها التمييز العنصري وحياتهم بكليتها بين أيدي الحكام العسكريين ومساعديهم»[3].

فمنذ قيام إسرائيل والحكم العسكري مفروض على المناطق العربية في الجليل والمثلث والنقب وقد أجرى ـ والتر شفارتس ـ مقابلة بينه وبين أحد أبناء الناصرة.

فقال: إنهم يأخذون أراضينا... لماذا...؟ لأسباب تتعلق بالأمن وهم يمنعوننا من العمل لماذا..؟ لأسباب تتعلق بالأمن.. وحين نسألهم كيف يحدث

(١) السابق ص ٣٢٤.

(٢) السابق ص ٣٣١.

(٣) جاك دومال ومارلي بوردا ـ التحدي الصهيوني ص ١٥٩ ترجمة نزيه الحكيم ـ دار العلم للملايين ١٩٦٨م.

أننا نحن وأراضينا ووظائفنا نشكل خطراً على أمن الدولة؟ فإنهم يرفضون الإجابة. . . لماذا؟ لأسباب تتعلق بالأمن»[1].

«ولا يستطيع العربي أن يغير مكان إقامته إلا بموافقة خطية من الحاكم العسكري.

. . إن الأغلبية الساحقة من السكان العرب في اسرائيل تعيش تحت نظام عسكري يسلبهم الحقوق الأساسية للمواطن، إنهم محرومون من حرية التنقل والسكن ولا يقبلون كأعضاء متساوي الحقوق والواجبات في نقابة العمال «الهستدروت» ولا كموظفين في أكثر المؤسسات إن كل أسلوب حياتهم متعلق برغبات الحاكم العسكري ومساعديه إن سنوات التمييز والإضطهاد قد خلقت وأخصبت حالة من اليأس ـ والسوداوية والمرارة بين السكان العرب»[2].

وأما عن العمال في إسرائيل فقد عمل العمال العرب في اسرائيل دون أن يكونوا منظمين في نقابات مهنية حتى عام ١٩٥٥ إذا استمرت (الهستدروت) تقفل أبوابها أمامهم حتى ذلك التاريخ وبعدها قررت لأول مرة أن تمنحهم عضوية غير كاملة في منظة العمال العربية بعد أن كانت قد اكتفت سابقاً بتنظيمهم في «اتحاد عمال فلسطين» وقد سمح للعرب بالإنتساب للهستدروت وتغير اسمها من نقابة العمال العبرية العامة الى نقابة العمال الاسرائيليين العامة عام ١٩٥٩. . . وهناك دائرة خاصة بالعمال تدعى الدائرة العربية في الهستدروت وهذه لا تزال قائمة بالرغم من إلحاح العمال العرب لالغائها اذ أنها تمثل لهم مظهراً من مظاهر التمييز ضدهم. . .

ويقول أحد العمال: نحن عمال مؤقتون بعضنا يشتغل منذ خمس سنوات دون أن يحصل على تثبيت في العمل، ندفع جميع الضرائب النقابية مثل الآخرين

---

(١) محمود السمرة ـ أسعد عبد الرحمن ـ محمود العابدي ـ فلسطين أرضاً وشعباً ص ٢٥٥ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الطبعة الحديثة ـ القاهرة ١٩٧٩.

(٢) السابق ص ٢٥٦.

ولا نتمتع بالأعياد والعطل. . . وحين يكون العمل قليلاً فإنهم يعيدون بعضنا الى بيوتهم لينتظروا عدة أيام حتى يتوفر العمل ولا يدفعون لنا شيئاً مقابل فترة تعطيلنا»[1].

هذا هو حال العرب تحت حكم اليهود، أما عن الكلمة والشعر فحدث ولا حرج فكم من شاعر طرد وكم من كاتب سرح من عمله وكم من مدارس أغلقت لأنهم احتجوا على أسلوب المعاملة اليهودية الغاشمة لذلك جاءت حرب عام ١٩٥٦ والعرب المتبقون في إسرائيل لا حول لهم ولا قوة يشكلون طبقة مسحوقة تجتر آلامها فكانت اسرائيل مطمئنة الى هذا الوضع لذلك عبرت الحدود لتهاجم مصر دون أن تخشى ثورة داخلية أو أعمالاً فدائية في الداخل.

أما ما كان يجري من أعمال فدائية داخل فلسطين فكان مصدره من مجموعات فلسطينية تعبر الحدود لتنفيذ العمليات ثم تعود، لكنها كانت تعمل على بناء قواعد لها في الداخل فجاءت حرب عام ١٩٥٦م لتضع حداً لهذه الأعمال كما سيمر فيما بعد.

---

(١) حبيب قهوجي - العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ ص ٦١، ٦٣، ٧٢ منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٧٢م.

obeikandl.com

موقف المملكة العربية السعودية من قضية فلسطين والحالة العامة فيها:

عاشت المملكة العربية السعودية قضية فلسطين منذ بدايتها وساهمت بما تستطيع من طاقة وجهد ومشورة... واهتم الملك عبد العزيز اهتماماً خاصاً بها... لكن بريطانيا أرادت أن تلعب لعبتها عن طريق المملكة العربية السعودية في تنفيذ مخطط تهويد فلسطين. فعندما شعرت بصعوبة إيجاد «الحل لقضية فلسطين يكون في صالح اليهود ودون استفزاز العرب راحت تبتكر المشاريع المختلفة ومنها الاعتماد على شراء ضمائر بعض قادة العرب وأرادت أن تجرب هذا «المشروع» أولاً بصاحب الكلمة المسموعة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على يدي السير جون فيلبي ـ «أو الحاج عبد الله فيلبي» فحضر الى الرياض وعرض على جلالته سنة ١٩٣٢م ـ وكانت الأزمة المالية والاقتصادية في المملكة على أشدها ـ مشروعاً يقضي بالتخلي عن فلسطين وإجلاء سكانها العرب وإسكانهم في جهة ما بالجزيرة العربية ويتعهد اليهود لقاء ذلك بدفع مبلغ ٢٥٠ مائتين وخمسين مليون ريال الى الملك عبد العزيز وتعترف بريطانيا باستقلال جميع امارات الجزيرة باستثناء عدن... أما جواب الملك الذي طلب الى فيلبي أن يعرضه عليه خطياً ورسمياً فحمله اليه الكولونيل (هوبكنز) البريطاني الى الرياض. لقد كان الجواب: عد الى بلادك وقل لحكومتك إن عبد العزيز لا يبيع حفنة واحدة من تراب فلسطين بكل مال الدنيا»[1].

ومن هذا الموقف المشرف نلاحظ أن المملكة العربية السعودية قد اعتبرت أن قضية فلسطين هي قضيتها تعمل من أجلها ولا تفرط بأي جزء أو حق من حقوقها مهما بلغت التضحيات ومهما ارتفعت المغريات... ولما اجتمع الملك عبد العزيز مع رئيس الولايات المتحدة روزفلت فوق سفينة حربية في البحر

---

(١) صلاح الدين مختار ـ تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ص ٤٧٢ جـ ٢ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

الأحمر بحث معه قضية فلسطين وأفهمه حق العرب المشروع فيها وحصل منه على وعد بعدم دعم اليهود... لكن روزفلت نقض العهد حال وصوله الى بلاده.

واستمرت المملكة تشرح موقفها من فلسطين فقد اجتمعت لجنة انجلو امريكية عام ١٩٤٦ بالملك عبد العزيز وطرحت قضية فلسطين فأجاب بوضوح عن موقف المملكة من فلسطين ومما قاله[١]: نحن يهمنا وجود السلام العالمي ونريد أن نعيش في هذا العالم بسلام ولكن ما دام اليهود يؤتى بهم لبلادنا وعددهم في فلسطين يزيد يوماً بعد يوم فمن المستحيل أن يستريح لنا بال أو يصلح لنا حال وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت عندما اجتمعت به في العام الفائت مطامع اليهود ومقاصدهم وأشار لي في أثناء حديثه الى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها فأجبته ما دام اليهود في بلادنا فلا نريد زراعة ونفضل الموت على الزراعة».

قال أيضاً: «ولي كلمة أخرى أريد أن أقولها لكم يزعم اليهود أن من المستحيل على العرب أن يحاربوا من أجل فلسطين وأنا أقول: إن الحرب لو كانت بين العرب واليهود لما تأخر العرب دقيقة واحدة عن خوضها ولكن دفاع بريطانيا عن اليهود يجعل الحرب بين العرب وبريطانيا والعرب لا يحبون محاربة بريطانيا وأعتقد أن حكومة بريطانيا رشيدة عاقلة... تدرك حقائق الأمور وتعلم أنه ليس من مصلحتها محاربة العرب أيضاً»[٢]من هذه التصريحات وغيرها يتبين أن قضية فلسطين كانت عند الملك عبد العزيز «فوق كل قضاياه المصيرية فوق قضايا بلاده وأمته ولهذا كان موقفه فيها موقفاً فذاً لم يقفه أحد في تاريخ قضية فلسطين الحديثة... ولكن لا رأي لمن لا يطاع... ففلسطين ليست تحت حكمه وشعبها ليس تحت أمره فحكمه غير مقبول وأمره غير نافذ ومن هنا أصاب القضية الفلسطينية ما أصابها وأول رأي رآه فيها أن تكون وقفاً على الفلسطينيين

(١) أحمد عبد الغفور عطار ـ صقر الجزيرة ـ جـ ٦ ص ١٣٠٢ طبعة ثالثة ١٩٧٢ مطبعة الحرية بيروت.
(٢) السابق ص ١٣٠١.

وحدهم وعلى العرب جميعاً حكومات وشعوباً أن تمدهم بالمال والسلاح والرجال والرأي وأن يكون الرجال متطوعين لئلا تقع الحكومات تحت سطوة المسؤولية عندما يتحدون ويشتركون رسمياً في القتال... كما رأى أن تقوم حكومة فلسطينية بمجرد ترك الإنجليز للسلطة في الوقت الذي حددوه وكان يعلم حق العلم أن اسرائيل أعدت العدة لتستلم السلطة من الانجليز وأنهم سيعلنون حكومتهم للحظة التي يترك الانجليز فيها السلطة ويطلبون الى الدول الاعتراف بها... وتنهض هي تجاه اسرائيل ويكون الصراع بينهما وسينتهي بكسب العرب.. ولكن لم يؤخذ برأيه في المسألة الأولى وفي الثانية لم يترك أهل فلسطين يدافعون عن بلادهم ولم يعلن قيام حكومة فلسطين بل أخرج أهلها ليحل مكانهم غيرهم في الدفاع عنهم»[1]. لقد كان رأياً على جانب كبير من الصواب فقد تشتت شعب فلسطين لأنه لم تكن له حكومة تحميه أو تعطيه التعليمات فقد انسحبت الجيوش العربية الى بلادها وتركته يذبح بأيدي عصابات اليهود دون مرشد له أو موجه لأمره ومصيره...

صحيح أنه بدء بتشكيل حكومة ولكن لأسباب كثيرة منها اعتراض ملك الأردن عليها جعلها لا ترى النور... وعندما أرادت الدول العربية دخول فلسطين بجيوشها النظامية أعلن عبد العزيز النفير العام في بلاده «وصمم أن يخوض المعركة بنفسه ويتولى قيادة جيوشه وأن يكون في طليعة قواته كما كان يفعل في حروبه... وأصدر بن سعود أمره على أولئك الشيوخ بتجنيد المقاتلين الراغبين في الجهاد... وجعل الجوف مكاناً لاجتماع الجيوش السعودية من كل المملكة وفي خلال بضعة أسابيع اجتمع في الجوف عشرات الألوف من القادمين الشجعان المتلهفين الى قتال اليهود وبينما المتطوعون يغدون الى الجوف كانت الإدارة البريطانية بفلسطين تتهيأ لمغادرتها وترك اليهود والعرب يحلون مشاكلهم بأنفسهم وقرر ملوك العرب ورؤساهم خوض غمار الحرب وأخذت كل حكومة من الحكومات العربية تستعد ليوم المعركة في فلسطين... أما ابن سعود فقد

---

(١) السابق ص ١٢٢٠ ـ ١٢٢١.

استطاع بكلمة منه أن يحشد في الجوف أكثر من مائتي ألف مقاتل يريدون الموت في فلسطين وصمموا على أن يموتوا وأعدت العدة لسفرهم... وقبيل نشوب القتال بين العرب واليهود طلب السفير البريطاني بجدة مقابلة القائم بشؤون وزارة الخارجية السعودية وكان حينئذ «خير الدين الزركلي» وقابله بعد الثلث الأول من الليل فأبلغه السفير البريطاني أنه تلقى رسالة شفوية من المملكة الأردنية الهاشمية تتضمن أنها أخذت علماً بنبأ الحشود المتجمعة على الحدود الأردنية فإذا كان القصد من زحفها الى فلسطين عن طريق بلاده فسوف يترك قتال اليهود وينثي الى تلك القوات (السعودية) لمقاتلتها.

ونشبت الحرب بين اليهود والعرب في شهر مايو ١٩٤٨ رجب ١٣٦٧ ولم يستطع ابن سعود أن يقود جيشه الذي أعده لدخول فلسطين لأن بين البلاد السعودية وفلسطين تقع المملكة الأردنية الهاشمية التي هددت بالحرب ضد تلك القوات واكتفى بإرسال قوة نظامية لا تعدو بضعة آلاف عن طريق مصر...[١].

... والذي يجعلني أصدق هذا الخبر هو أن الملك عبد الله ملك الأردن كان ما يزال يحلم بالاستيلاء على الحجاز والعودة اليها ملكاً وقد كانت تأخذ عليه اهتمامه وتفكيره ويضعها في المقام الأول من قضاياه ويهتبل الفرص لتحقيقها، فعندما زاره وفد من اليمن عام ١٩٤٩ برئاسة ولي العهد الأمير محمد البدر «وبعد تناول العشاء جلس الملك وضيوفه في إحدى الغرف للراحة.. وسمعنا ـ عبد الله التل ـ في تلك الجلسة القصيرة حديثاً عجباً يوجهه الملك الى ضيوفه ـ فيقول لهم: ما لنا وفلسطين أنتم شفتم ـ رأيتم ـ تعلق الناس بنا وليه ما تيجوا من الجنوب وأنا بجيشي من الشمال وابن اخي من الشرق فنلتقي في مكة..»[٢].

---

(١) السابق ص ١٣٢٩ ـ ذكر عبد الله التل. أن السعودية اشتركت وذكر جلوب انها اشتركت بـ ـ ٧٠٠ ـ محارب.

(٢) عبد الله التل ـ كارثة فلسطين ـ ص ٣٩٦ ـ ط ٢ ـ ١٩٥٩.

. .وقد ساد في السعودية هدوء اختلف تماماً عما كان في الدول العربية الأخرى مما ساعد على التقدم والبناء حيث كانت البلاد في تلك الفترة مفتقرة الى كثير من المرافق العامة. . وسبب هذا الهدوء هو بعد البلاد عن الحزبية المقيتة وعن استيراد القوانين والمبادىء. فقد حكمت شريعة الاسلام التي ضمنت لها هذا الهدوء والاستقرار.

. . وعلى الصعيد الخارجي وقفت المملكة العربية السعودية ضد التكتلات والأحلاف خصوصاً ما صدر منها عن الهاشميين حيث كانوا يتطلعون بين حين وآخر الى استرداد الحجاز بأية وسيلة. .

وحدث الانفراج بين السعودية والأردن عقيب زيارة الملك طلال بن عبد الله الى السعودية عام ١٩٥٢. . . ثم وقفت السعودية بقوة ضد حلف بغداد ويذكر توفيق السويدي السياسي العراقي البارز أن الشيخ يوسف ياسين ـ وزير سعودي ـ قد زاره«وقد ذكرني الشيخ يوسف باليوم الذي زارني فيه بأنه يوم أسود على العرب لأنه اليوم الذي يجتمع فيه مجلس وزراء ميثاق بغداد وقد أطنب في تسويد صحيفة الحكومة العراقية الراهنة التي كان يرأسها نوري السعيد وزاد في مساوئها أنها تبنت فكرة ميثاق بغداد وكان يسميه (حلف بغداد) فأجابه السويدي. . . أسائل نفسي كيف فاتتك حقيقة تاريخية ناصعة عن انتصار رائع حققه العراق في هذا اليوم وهل أن الحقد والحسد قد جعلاك تقلب الحقائق وتجعل الحق باطلاً ولا تنصاع للمنطق. . . . إني اخبرك بأن بغداد لم تر مجداً عظيماً يعدل مجدها في هذا اليوم منذ الدور الذهبي المشهور في زمن هارون الرشيد لقد حضر الى بغداد في هذا اليوم رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها ورئيس وزراء باكستان ووزير خارجيتها ورئيس وزراء تركيا ووزير خارجيتها ورئيس وزراء ايران ووزير خارجيتها ووزير خارجية امريكا صاحب المقام المرموق في بلاده وفي العالم ثم أفهمه عن الميثاق الى أن قال: فبربك يا شيخ يوسف هل من مبرر لهجومكم ولهجوم اخوانكم في العروبة على سياسة العراق

الخارجية والداخلية.. ويقول السويدي أنه أقنع الشيخ يوسف ولكن بصفة شخصية»[1].

هذا الحديث يدل على تمسك العراق في ذلك الوقت بعمالته ويعتبرها نهضة وتقدماً ومكاسباً... وعلى وقوف المملكة ضد حلف بغداد.

* * *

الحالة في لبنان بعد حرب ١٩٤٨م:

اشتركت لبنان بالحرب الفلسطينية بألفي جندي لكن هذه القوة الضعيفة التسليح لم يكن في مقدورها التقدم في فلسطين لذلك اقتصرت أعمالها على الحدود اللبنانية الفلسطينية... ولم يكن متوقعاً من الجيش اللبناني الصغير أن يفعل أكثر مما فعل لأن المشاركة كانت رسمية ولأن لبنان حديث عهد بالاستقلال وكانت لهمشكلاتهالطائفية التي لا تمكنه من القيام بمثل هذه المهمة.

لقد امتاز لبنان عن غيره من الدول العربية بكثرة طوائفه مما يفقده وحدة الهدف والفكرة ومنذ تأسيس لبنان الكبير الذي صنعته فرنسا «حيث إن الفرنسيين طمّعوا مسيحيي لبنان بإلحاق البقاع وطرابلس وصيدة وبيروت العربية الإسلامية بلبنان»[2].

كان هذا التأسيس قائم بشكل مصطنع ومفتقد لكل مقومات ـ التماسك، وقد تنازعته الأهواء وقامت به أحزاب كثيرة لها أهداف متباينة فالحزب القومي السوري الاجتماعي الذي يرأسه أنطوان سعادة «ركز عقيدته على نظرية المدرحية ـ أي المادة والروح ـ وحدد أسس المجتمع الذي يؤلف الأمة الأم ـ وهي الأمة السورية طالب الحزب السوري القومي الاجتماعي بتوحيد الأمة السورية وهي: أمة عظيمة ذات تاريخ مجيد وإعادة سيادتها لأصحابها وطرد الغزاة من أوروبيين ويهود وبما أن التوحيد يشمل العراق وسوريا ـ الشام في

(١) توفيق السويدي ـ مذكراتي ـ ص ٥٤٠ دار الكاتب العربي ١٩٦٩.
(٢) وليد فارس التعددية في لبنان ص ٢١٣ م. الكسليك ١٩٧٩م.

العقيدة ـ والأردن وفلسطين والكويت وجزءاً من تركيا وقبرص ولبنان فقد وجد الحزب الجديد نفسه في موقع متناقض مع الكيان اللبناني، كيان لبنان الكبير، لذا رفض السوريون القوميون أي شكل للبنان»[1].

«وحزب الكتائب أسس عام ١٩٣٦ بهدف رياضي وطني لا سياسي لكن ظروف لبنان حولها إلى عمل سياسي فأيدت الكتائب لبنان الكبير الواحد والتعايش الإسلامي ـ المسيحي ـ وقدسته وطالبت من ناحية ثانية أن تتميز هوية لبنان عن هوية المنطقة المحيطة به بأن يصبح حيادياً لا شرقياً ولا غربياً، فتأمنت إذاً الحدود اللبنانية الواسعة من خلال لبنان الكبير وأمن المسيحيون من الذوبان في دنيا العرب. . . وانتشرت الكتائب في الأوساط المسيحية الشابة حتى أصبحت أحد العناصر الهامة في التركيبة السياسية اللبنانية وقد تطورت المنظمة فيما بعد حتى أصبحت حزباً سياسياً منظماً وقوياً»[2].

أما التجمع الإسلامي في لبنان فقد طالب بالقومية العربية والذوبان في دنيا العرب لكن النصارى في لبنان عارضوا ذلك وأنكروا عليه أن يجر غيره من سكان لبنان إلى ذلك «فالإسلام اللبناني المطالب بالقومية العربية هوية له، تيار طبيعي ولكن المطالبة بعروبة غيره يخرج عن الأوضاع الطبيعية إذا كانت المناطق الإسلامية التي دخلت حدود لبنان الكبير مرتبطة بالعرب عضوياً ويعتبر سكانها أنفسهم عرباً فيطالبون بهوية عربية لهم فلا يعني بالضرورة أن يطالبوا بفرض هذه الهوية على باقي المناطق أي جبل لبنان معتبرين الشعب المسيحي الآرامي اللبناني عربياً. . . المعضلة هذه هي أساس المشاكل الواقعة بين اللبنانيين تاريخياً وآنياً»[3].

هذه هي العناصر الرئيسية في لبنان إلى جانب أحزاب أخرى كثيرة شيوعية وطائفية وقومية. . . لقد عمل السياسيون في لبنان منذ استقلاله على الإتفاق على

---

(١) السابق ص ٢٢٧.
(٢) السابق ص ٢٣٠.
(٣) السابق ص ٢٣٠.

صيغة ميثاق يتفق عليه الجميع في أسلوب الحكم واقتسام المناصب الهامة فتوصلوا إلى ميثاق عام ١٩٤٣ الذي أكد على عروبة لبنان وعلى توزيع المناصب على الشكل التالي: ـ

١ ــ رئاسة الجمهورية للموارنة النصارى.
٢ ــ رئاسة مجلس النواب للشيعة المسلمين.
٣ ــ رئاسة مجلس الوزراء للسنيين المسلمين.
٤ ــ قيادة الجيش للموارنة النصارى.

وجرى هذا الاتفاق أو العرف الوطني عدة سنوات بعد الاستقلال إلا أن النصارى المتعصبين الذين كانوا يحلمون بتسيير لبنان حسب أهوائهم وحسب ما خططت له فرنسا عادوا بعد أن فشلت خطة تغريب لبنان فاتهموا فرنسا والبورجوازية باصطناع لبنان الكبير الذي كانوا هم في غنى عنه «أنشأ الفرنسيون دولة لبنان الكبير بضم أراضي تسكنها مجموعة إسلامية عربية مرتبطة عضوياً بالأمة العربية... أيد تيار مسيحي الدولة الجديدة لعدة أسباب أهمها: العامل الاقتصادي الموافق لمصالح الطبقة البورجوازية العليا المسيحية... وقبل المسلمون بالواقع الجديد مشترطين فرض العروبة على كل الكيان وقد ساهمت البورجوازية الاسلامية في قيام الدولة الجديدة مستهدفة الحفاظ على نفوذها السياسي والاقتصادي... إذاً ـ فالثلاثة نعم ـ البورجوازية المسيحية ـ البورجوازية الإسلامية ـ فرنسا ـ لدولة لبنان الكبير» ثم يعقب الكاتب فيقول: «إذا كانت ولادة لبنان الكبير أهم نتائج مرحلة الانتداب فالبنيان التعددي لهذا الكيان ـ أي هويته ـ ظاهرة هامة وأساسية نشأت مع قيام الدولة الجديدة واستمرت تتفاعل سلباً وإيجاباً ولا تزال...

إن ضم أراضي جديدة إلى الوطن اللبناني قد غير ملامح الوجود اللبناني فبعد أن كان مسيحياً آرامياً فقط أصبح أيضاً عربياً مسلماً»[1].

(١) السابق ص ٢٣٢.

إن إسرائيل بعد أن ثبتت كيانها رغم أنف العرب في فلسطين أصبحت القدوة السيئة للمرجفين والغرباء في بلادنا العربية لكي يطالبوا بكيانات مستقلة تكره العرب وتفتخر علانية بعدائهم والانتماء إلى أعدائهم. . . ولو ردعت إسرائيل لأغلقت جميع الأبواب التي تكاثرت الآن وهي تنادي بالانفصال وكلما تهاون العرب مع اسرائيل وتخاذلوا أمامها كلما كثرت أمامهم التحديات وزادت المشكلات التي تنادي باقتطاع البلاد العربية والانتماء إلى صفوف أعدائها وقد (اتسع الخرق على الراقع). . .

إن لبنان بلد عربي مسلم من حين نشأة الدولة الإسلامية في عهدها الأول وقد ضمنت حقوق الأقلية من النصارى الذين كثروا بعد تسلط الدول الأوروبية على لبنان في بداية القرن التاسع عشر ثم احتلاله من قبل فرنسا وليس لأحد من سكانه أية صلة بالآرامية القديمة التي بادت فيه. . . لقد قلبت فرنسا قبل احتلال لبنان وبعده الأوضاع وأنشأت فئة من صنائعها طالبت لما استقرت بلبنان بفصله عن العروبة وما اختيار الفينيقية أو الآرامية إلا للتغطية ولكي يقال بأن الحركة المطالبة بلبنان الآرامي حركة نظيفة محلية لا ارتباط لها بأي أجنبي طامع وما إن تحصل على ما تريد ـ لا سمح الله ـ سنجدها أصبحت لبنان النصراني الفرنسي والأوروبي ضاربين بالآرامية مرحلة العبور عرض الحائط ومن تتبع كاتب لبناني كبير عاش في المهجر يظهر مقدار تعاطفه أو انتمائه الى الغرب يقول: «ولبنان اقتصادياً وثقافياً أقرب إلى التجارب والتعاطف مع الغرب من جيرانه من البلدان العربية وقد أصبحت بيروت عاصمة نافذة يطل منها أهل البلاد الداخلية والخارجية إلى الغرب كما أنها أصبحت بمثابة بوابة مشرعة يمر الشرق عبرها إلى الغرب والغرب إلى الشرق للمقايضة والاتجار والتفاعل الفكري. ويعتمد ويعتمد لبنان على الخدمات الاقتصادية أكثر من الزراعة والصناعة. . . أما من الناحية السياسية فإن الجمهورية اللبنانية تتبع النظام الديمقراطي في حكم البلاد ولذا فإنها كانت تنظر بقلق إلى قيام الدول العسكرية الدكتاتورية حولها ولاسيما إلى فكرة سورية الكبرى مشروع الملك عبد الله أو إلى فكرة الهلال الخصيب

الذي كان يقول به زعماء العراق السياسيون ذلك أن لبنان كان يخشى فقدان الذاتية في اتحادات كهذه..

.... وعلى الرغم من أن لبنان قائم وسط عالم عربي إسلامي فإنه لا يشعر شعوراً تاماً أنه جزء منه غير أنه في سياسته مع سائر الدول العربية يتبع سياسة تعاون صادق مخلص ولكنه لا يقبل الذوبان فيه.

وفي حرب سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل اشترك لبنان فيها إلى جانب الدول العربية بمقدار إمكاناته.... أما الصراع العنيف بين الشرق والغرب فإن حكومة لبنان كانت تتخذ مواقف مخالفة لمواقف كل من سورية ومصر الأمر الذي كان يخلق جفاء وتباعداً بينهما ففي حرب السويس التي وقعت عام ١٩٥٦ م اتخذ لبنان موقفاً مناصراً لمصر ولكن رفض أن يقطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا وفي السنة التالية عندما أعلن عن مشروع أيزنهاور الرامي إلى تقديم المساعدات المالية والعسكرية لدول الشرق الأدنى لوقف تيار الشيوعية في المنطقة كان لبنان البلد الوحيد الذي قبل به»[1].

... ولقد تعرض كيان لبنان بسبب هذا التباين في الإنتماء وبسبب سوء نوايا الطرف الذي يريد فصل لبنان عن واقعه العربي المسلم تعرض لبنان إلى فتن طائفية كثيرة ومروعة رغم ما كان يبدو عليه من الهدوء الظاهري المصطنع فقد كانت القوى المعادية تسعى لجره إلى ما تريد أو إحراقه فكانت فتنة عام ١٩٥٨ بين المسلمين والنصارى ثم ما لحقه من فتن متعددة آخرها الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ م التي تدخلت فيها دول كثيرة ظاهرة ومخفية ولا تزال قائمة حتى هذا التاريخ.

* * *

... وهكذا فقد أبرزنا جهد الإمكان أحوال الدول العربية الرئيسية التي حاربت في فلسطين عام ١٩٤٨ في الفترة ما بين حرب النكبة والعدوان الثلاثي

(١) د. فيليب حتى ـ موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ترجمة أنيس فريحة دار الثقافة بيروت ١٩٦٥.

على مصر في أواخر عام ١٩٥٦ م فقد تبين لنا مدى الإنهيار الداخلي والخارجي لهذه الدول ومدى تفككها وعدم قناعة الشعب بالحاكمين ثم ابتعاد الحكام عن العمل لصالح البلاد بل كان كل منهم يفكر بمصلحته الشخصية وباستمراره على رأس الحكم ومن أجل ذلك مد كل منهم يده إلى جهة خارجية صانعين بذلك بينهم وبين شعبهم آلاف الحواجز التي تبعدهم بعضهم عن بعض لذلك ظلت الهزائم تتوالى على بلادنا وظل العدو وفقاً لهذه الظروف ينعم بالتوسع والامتداد في وطننا الكبير. بعد هذا لا بد من كتابة حالة العدو اليهودي في فلسطين خلال هذه الفترة السالفة لتتوضح المقارنة بين الدول العربية المتقهقرة التي وعدت بعد النكبة بالاستعداد لاسترجاع الأرض وبين العدو اليهودي المتيقظ المتوثب. . فبالمقارنة بين من يعمل وبين من يلهو ويتكلم يظهر الخطأ الكبير في نهج حكامنا الفاشل.

حالة دولة اليهود في فلسطين ما بين حربي ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦:

لقد أوضحت الحالة في عدد من البلدان العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي فظهر لنا بشكل جلي واضح أن حكومات هذه البلدان لم تكن تعيش حالة المواجهة والتهديد المنبعثة من دولة العدوان ـ اليهودي. . . والآن أجد من اللازم علي أن أبين حالة اليهود في فلسطين المحتلة وكيف يمارس اليهود تسيير أمور دولتهم التي أوجدوها رغماً عن أنوف الحكومات العربية.

لا أريد الافاضة في هذا الموضوع بل المهم أن أضع نقاطاً هامة في بيان حالة اليهود من الناحيتين الداخلية والخارجية. . .

أ ـ **فمن الناحية الداخلية** يبدو للعيان أن اليهود قد أقاموا حكومة على أساس ديمقراطي مكين سمحوا من خلال هذا النظام بتعدد الأحزاب وتنافسهم فيما بينهم للوصول إلى الحكم بطريق حر فقلدوا بذلك النظام البريطاني ولكن على أساس جمهوري. . . فتجري انتخاباتهم دونما عنف أو مواجهة مسلحة بين الأحزاب. . . ومن العجب أن هؤلاء العصابات

المجتمعين من عديد من الدول ذات النزعات المختلفة قد تفاهموا فيما بينهم على اتباع الأساليب الديمقراطية ـ الحرة ـ في الحكم فلم تحدث عندهم انقلابات عسكرية مثل جيرانهم رغم أن دولتهم عسكرية السمات يتقن جميع أفرادها استعمال السلاح... إننا لم نسمع عن تمرد الجيش أو ضغط منه لعزل حكومة أو تصرف رئيس دولة بما يوحي بذلك...

إن المواطن اليهودي مصان الحرية ومسموع الكلمة ولقد سأل أحد الصحفيين يهودياً من يهود إيران نزح إلى فلسطين المحتلة «كيف تقارن حياتك في إسرائيل بحياتك في إيران... أجاب: هناك كنت ملكاً.. هناك عندما كنت أتحدث يصغي إلي الجميع هناك عندماكنتآمر أبنائي يخضعون... هناك عندما كنت أتخذ قراراً فلا موضع للمناقشة ولا للاحتجاج... وعندما يُسأل: وهنا يجيب: هنا نحن نملك الديمقراطية...»[1]

ولقد هُيىء لها قواد بذلوا ما استطاعوا من جهد لكي يوفروا لليهود مقومات الدولة العصرية ولكي يردوا عنها توقعات الغزو المحتمل من العرب لأنهم علموا من قرارة أنفسهم أنهم غزاة غاصبون لهذا لم يلتفتوا إلى شغل أوقاتهم بالخطب والكلام بل ملأوا وقتهم بالبناء والتدعيم العسكري... ومدوا أيديهم لكل الدول لا ليعطوا بل ليأخذوا ما افتقدوه من المال والصناعة... فخلافاتهم الكثيرة في المجالس النيابية توهم المتتبع لمشكلاتهم بأن هذه الدولة المسخ سوف تنهار سريعاً وأنهم سرعان ما يختلفون لتهوي دولتهم الوليدة ولكن يعجب ويخيب ظنه عندما يرى أن هذا الخلاف لإتباع الطريق الأفضل وهذا الجدال ليس إلا علامة الحرية كي يدلي كل برأيه للوصول إلى الهدف المنشود إذ الهدف متفق عليه من الجميع وليس أدل على ذلك من اجتماع كلمتهم في الأزمات والحروب لقد شكلوا الائتلاف الحكومي عند الاحساس بالخطر قبل ثلاثة أيام من عدوان حزيران ١٩٦٧ وأسندوا فيه منصب وزير الدفاع للمجرب موشي ديان رغم

---

(١) د. حامد عبد الله ربيع ـ من يحكم في تل أبيب ص ١٨٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥.

خلافه الحاد مع رئيس الوزراء ليفي أشكول.. وهذا يظهر لنا أن خلافهم ليس من أجل العمالة للأجنبي... أو الانضمام إلى معسكر شرقي أو غربي... إننا لم نسمع مثلاً عن كبار قادتهم أنهم سرحوا الضباط بالجملة لمجرد اعتناقهم أفكاراً تخالف أفكار الحزب الحاكم ولا سمعنا عن الاعدامات بالجملة أيضاً لمثل هذه الأسباب، إن شيئاً من هذا لم يحدث بالتأكيد لقد قال أحد اليهود: «ولم أكن من كبار المعجبين بموشي ديان قبل حرب الأيام الستة ولكنني رأيت ماذا فعل في الأرض المحتلة ورأيت كيف استطاع أن يخلق جماعات متجانسة في الجيش وفي وزارة الدفاع دون أن يعنيه أي انتماء حزبي»[1].

دور الجيش في حماية إسرائيل:

لقد عرف القادة مهامهم كما عرف الجيش مهمته... فلم يحدث أن تدخل الجيش في الأمور السياسية وقمع المعارضين أو توزيع نشرات في الانتخابات لصالح مرشح ضد آخر وعندما فهم بعض الضباط أن عليهم أن يعملوا في السياسة للصالح العام (وقف بن جوريون وقفته الصلبة مصمماً على ضرورة إبعاد الجيش عن السياسة تفجر الموقف واستقال عديد من الضباط احتجاجاً على هذه السياسة إذ كانوا يعتقدون أن عزلة ضباط الجيش ستقضي على روح «الكيبوتز» ـ المزارع الاشتراكية ـ الرائدة التي تلزم الفرد بخدمة المجتمع الذي يعيش فيه ... ولم يتردد بن جوروين في قبول استقالاتهم على الفور لأنه اعتقد أن مهمة الجيش الأساسية هي العمل في ميدان القتال كوحدة مقاتلة على درجة عالية من الاحتراف وعلى العسكريين أن يتفرغوا لإعداد أنفسهم لحماية الدولة ضد أي عدوان وخوض الحرب فلو أن الجيش تعدى التزاماته العسكرية كما يحدث في كثير من البلاد النامية لأدى ذلك إلى هبوط مستواه وفشله في استيعاب الأساليب الحديثة علاوة على أن ذلك قد يخلق مواقف تسمح بتدخل الجيش في إدارة الدولة... ولما كان يعتقد أن مصير الأمة بل مصير يهود العالم يتوقف على الجيش والذي يتوقف مصيره بدوره على قيادته

(١) السابق ص ٢٢٧.

فإنه كان يصر على أن تكون للجيش قيادة شابة محترفة متاح فيها الترقية للأصلح وبسرعة حتى يسمح للمواهب الجديدة بالظهور»[1].

فالعسكري الذي يرى أن خدمته في الجيش أضحت لا تناسبه ويميل للعمل السياسي مثلاً يقدم استقالته ويمارس هذه الرغبة من خلال الأحزاب السياسية وقد فعل هذا كثير من قادتهم... كما أننا لم نسمع عن لاجئين سياسيين من الإسرائيليين يملؤون الأقطار... وهذه مؤشرات ذات ميزة فريدة إذا ما قورنت بالبلاد العربية حيث ينعدم الاستقرار ويكثر اللاجئون السياسيون... لقد ضرب لهم زعماؤهم المثل الأعلى في الاحترام والتقدير والعمل وبذل الجهد وتقدير العاملين المخلصين وتشجيعهم من أجل المحافظة على كيانهم... كما يقدمون الحقائق لشعبهم دون التغرير بهم... قال ابن جوريون: «إننا دولة صغيرة لا يزيد عدد سكانها اليهود عن مليون ونصف المليون نسمة نزل في جزء من فلسطين ليس فيه من مقومات الحياة إلا أقلها فالمواد الأولية تنقصنا والأنهر قليلة عندنا وكل شيء في هذه الأرض بحاجة إلى البناء والإعمار والتجديد وهذه أمور تحتاج إلى أموال طائلة وجهود عظيمة... ويوجد خمسة وثمانون في المائة من اليهود توزعوا في أرض العالم وبعضهم وهم الذين في روسيا وما وراء الستار الحديدي لا نستطيع الاتصال بهم ولا الافادة منهم وأمامنا عدو من الشعوب العربية يقدر بأربعة وأربعين مليوناً يقف في وجهنا ويعمل على مقاطعتنا ويعتبر نفسه في حالة حرب معنا وإذا أضفنا هذا العدد إلى الشعوب العربية الأخرى التي تجاهد لنيل استقلالها في السودان وتونس والجزائر ومراكش والتي ستحصل عليه إن آجلاً أو عاجلاً أدركنا أننا أمام عدو يفوقنا بمعدل واحد أمام خمسة وثلاثين في الوقت الحاضر وواحد امام خمسين في المستقبل أو أكثر.. وإذن فليس هناك من أمل أبداً في التكافؤ في حال من الأحوال بل أننا في العدد نساوي لبنان في عدده وهو أصغر الدول العربية عدداً وليس أمامنا والحالة هذه إلا أن نعمل بجد لمواجهة هذا الخطر الداهم الذي سيظل يهددنا أبد وداثماً»[2].

---

(١) أمين هويدي - كيف يفكر زعماء الصهيونية ص ١٤٧ - ١٤٨ دار المعارف مصر ١٩٧٤م.

(٢) عمر أبو النصر نهاية اسرائيل ص ١٥٠ منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٥.

هذه حقيقة وإن كانت مرة قد تثبط الهمم لكنه يضعها أمام شعبه لكي يبنوا مستقبلهم على أساسها ويعدوا أنفسهم لمواجهتها إنه يسعى لتجميع يهود العالم ما استطاع ليجعل منهم كياناً كبيراً ونحن نفصل بين إخواننا بحدود مصطنعة كي لا نجتمع على كلمة سواء وقد يقول قائل إنه يزايد أو يبيع كلاماً فكثير من زعماء العرب ينادون بالوحدة. . . ولكن لماذا لم تقم الوحدة. . .؟ إن البلدان العربية تتجزأ بدل الوحدة وهذا ما يناقض أقوالهم.

مصلحة إسرائيل فوق كل اعتبار:

أما ما يثبت قول زعماء اليهود أنهم يجعلون قضية يهود فوق مصالحهم الشخصية فها هوذا يستقيل من منصبه لأنه وجد أنه لم يقدم لشعبه مزيداً من النفع بل عاقب نفسه وروضها حيث انتقل إلى قرية أو مستعمرة نائية فقيرة في النقب وأخذ يعمل هناك وتنحى عن رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع بنفسه في أواخر عام ١٩٥٣ وقال: «لم يعد في إمكاني الاستمرار في تحمل أعباء مناصبي بعد الآن فعلى مدى امتداد ست سنوات وأنا أقوم بواجبي في ظروف صعبة. . . ثم رفع استقالته بصورة رسمية إلى رئيس الدولة وجاء فيها: لم تكن إسرائيل في يوم من الأيام عقيمة من الرجال فكل انسان أيا كان منصبه ومركزه إلى زوال أما المواطن فإنه خالد لا يزول ولن يتوقف مصير الأمة على مجرد وجود رئيس وزراء بعينه في منصبه إني آمل في ألا يتسبب عن استقالتي أي نوع من المتاعب. . . لقد حاولت جهدي أن أؤدي الرسالة ولن أدعي أنني كنت معصوماً من الخطأ. .»[1].

انه يعتبر نفسه لا شيء رغم ما قدم لليهود من خدمات كما يعتز باسرائيل أيما اعتزاز. . . ولا يجد نفسه الزعيم الأوحد. . أو الزعيم الخالد. . . بل إنه يمتدح من هو أصغر منه يمتدح مرؤوسيه لكي يعدهم لقيادة الأمة لا

---

(١) أمين هويدي ـ كيف يفكر زعماء الصهيونيين ص ١٥١ دار المعارف مصر ١٩٧٤م.

ليصفيهم... حتى يبقى الزعيم القائد... فقد رأى دايان أن يعتزل الجيش ليعمل في السياسة فقدم استقالته لبن جوريون فكتب اليه بن جوريون شهادة ترفعه وتساعده في شق طريقه السياسي «لقد وهبك الله ميزتين، القدرة الفائقة على القيادة والذهن المتفتح الذي لا يتوقف عن الحركة مما جعلك تصمد بجدارة خلال السنوات الماضية في مواجهة الموقف المتوتر والخطير في كل من الجبهة السياسية والميدان العسكري ولقد أمكنك أن ترتفع بالقدرة القتالية لقوات الدفاع الإسرائيلية إلى القمة وكانت حملة سيناء هي ثمرة جهودك في النهاية»[1].

لقد علم القادة شعبهم الجرأة والقتال رغم ما وصفوا به من جبن فهذا دايان يصرح عام ١٩٥٦ بشكل علني: «نحن أحفاد المستوطنين لا نستطيع بدون الخوذات الفولاذية والمدافع أن نزرع شجرة أو نبني منزلاً ولن نتراجع ونحن نرى كيف يتجول الحقد ويملأ حياة مئات الآلاف من العرب الذين يحيطون بنا ولن نغضي الطرف لكي لا ترتجف يدنا هذا مصير جيلنا واختيارنا أن نكون على استعداد ومسلحين أقوياء صامدين وإلا وقع السيف من قبضتنا وانطفأت جذوة حياتنا»[2].

ولقد قرن ما قال عندما هاجم مصر في ٢٩ تشرين الأول اكتوبر ـ ١٩٥٦ م كما أن الأحزاب السياسية عند اليهود موجهة نحو أهداف يهودية بحتة وذلك بغض النظر عن مسمياتها فالتسمية ليست إلا للتصدير أما الأفكار الصهيونية فهي معششة في أفكار الجميع «فدولة تاريخية حضارية ـ هذا يعني أنها دولة دينية فالتاريخ والحضارة بالنسبة للدولة العبرية لا يمكن أن يعنيا سوى التراث اليهودي هذه الصفة تفسر مدى سيطرة القوى الدينية على الدولة العبرية فالدولة التي أنشأت في عام ١٩٤٨ م أي في النصف الثاني من القرن العشرين رغم ذلك تؤسس سلطاتها المعنوية على تلك المجموعة من المفاهيم والتقاليد والأساطير التي

---

(١) السابق ص ١٩٥.

(٢) ف. ب لاديكين ـ مصدر الأزمة الخطيرة ـ ص ٣٩٠ ترجمة هاشم حمادي منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ١٩٧٥م.

تعود إلى تقاليد التوراة وما يرتبط بها من تعاليم دينية وقد يبدو لأول وهلة أن هذا مرده قوة الاحزاب الدينية على أن هذا مفهوم غير صحيح فالأحزاب الدينية في المجتمع الاسرائيلي لا تمثل أكثر من ١٥ خمسة عشر بالمائة من جمهور الناخبين ومعنى ذلك أقل من نسبة الناخبين في الديمقراطيات الكاثوليكية في غرب أوروبا كايطاليا وفرنسا. ومع ذلك فإن تأثير القوى الدينية تغلغل في جميع أجزاء المجتمع الاسرائيلي بدرجة لا تعبر عنها أية دولة أخرى معاصرة، هذا التغلغل لا يحمل لواءه فقط ممثلو الأحزاب الدنيية بل جميع القوى السياسية دون استثناء. فبن جوريون الذي يمثل اتجاه الوسط المعتدل والأقرب إلى اليسارية منه إلى اليمينية هو الذي فرض الدراسة الدينية وجعل منها الزاماً في جميع المدارس العبرية. والمفكر الإسرائيلي (رانان) الذي يصف نفسه بأنه ماركسي شيوعي هو الذي دافع عن حماية التقاليد اليهودية كوسيلة حاسمة وأداة أساسية لمواجهة المخاطر العسكرية والسياسية التي تهدد وجود الدولة الجديدة. وكيبوتزات ـ المزارع الاشتراكية ـ حزب المابام ـ حزب صهيوني يعلن عن إنتماءاته اللينينية ـ تحترم احتراماً مطلقاً التقاليد الدينية إلى حد التعصب والمبالغة»[1].

ولهذا فإن الأحزاب الدينية ـ رغم تعنتها وتمسكها بالجذور الباطلة فإنها لا تلقى أية معارضة من الدولة والأحزاب الأخرى، ولا تتهم بالرجعية بل أن الجميع مؤمنون بما تؤمن به، أما يساريو العرب فالدين خرافة ابتدعها الاقطاع. .

ولو قارنا الاحزاب اليسارية اليهودية التي ينبغي حسب مبادئها أن تسير في خط الأممية وترفض القومية مع الأحزاب اليسارية العربية لوجدنا أن العرب قد انطلت عليهم الحيلة فتنكروا لعروبتهم وارتموا في أحضان الروس. . . «فحزب المابام وكذلك حزب ماكي أي الحزب الشيوعي الإسرائيلي. . . . فإن كلا الحزبين الأول والثاني يرفضان الانصياع لتعاليم موسكو بل يؤكد كل منهما في

(١) د. حامد عبد الله ربيع ـ من يحكم في تل أبيب ص ١٨٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥م.

بعض الأحيان المبالغة والتطرف للتعصب القومي. فإذا انتقلنا الى الحزب الشيوعي لهالنا مدى تأكيد هذه الملاحظة فزعيم الحزب الشيوعي عام ١٩٤٩ وهو عربي فلسطيني باسم «توفيق طوبي» لم يتردد في أن يتخذ موقف التعصب العنيف الذي وصل إلى حد أن يصفه بعض اليهود بأنه مبالغ فيه بخصوص مبدأ القومية اليهودية.. ويقول بن جوريون ـ لم يكن هناك عضو آخر يستطيع أن يتسابق مع توفيق طوبي من الحزب الشيوعي في تأكيد إيمانه بالصهيونية[١]. أما يساريو العرب فإنهم لا يعارضون دولة اليهود إلا لأنها كما يزعمون أمبريالية وفي بيان أصدره المثقفون العرب المقيمون في باريس جاء فيه «إن دولة إسرائيل وليدة الاستعمار وعميلة الامبريالية لا يمكن أن تلقي من قبل حركات التحرر والحركات الثورية العربية أي مصير سوى الازالة ورفضنا هذا المبدأ قيام أو وجود دولة اسرائيل ـ يتطلب بعض الايضاحات نحن نؤمن بأن إسرائيل تمثل ظاهرة من ظواهر الاستعمار وعدواً من أعداء الشرق الأوسط للثورة العالمية وعلى هدا الأساس لا بد لنا من إثبات القول بالبرهان فنقول إن مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تكون موضع مساومة أي كان ولكن نحن نتكلم هنا عن دولة اسرائيل لا عن المجتمع البشري التي تتكلم وتعمل تلك الدولة باسمه فبرغم الطبيعة الاستعمارية لسكان اسرائيل فنحن لا نطالب ـ بناء على المبدأ الذي أشرنا إليه ـ إلا بإزالة البنيان السياسي العسكري الذي يجعل من اسرائيل ظلماً وخطراً وكوننا من اليساريين العرب نستطيع القول: بأننا مستعدون لبذل كل الجهود الممكنة بهدف التوصل مع يهود فلسطين إلى الوسيلة الأكثر شرفاً وتقدمية التي من شأنها أن تتيح لهم الاندماج الحقيقي بمصير العالم العربي»[٢].

العنوان الدائم للتفوق والتوسع:

لقد عرف اليهود نقاط ضعفهم وهو قلة أعدادهم أمام جموع العرب

(١) السابق ص ٢٢٨.

(٢) بقلم ١٥ كاتباً فرنسياً ـ عاجلاً أو آجلاً ستزول إسرائيل ص ١٤٦ ترجمة ريمون نشاطي منشورات دار الآداب دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨م.

وضعف مواردهم الاقتصادية والمائية. . . فلم يقفوا أمام هذا الضعف موقف الحائرين بل سعوا في كل اتجاه من أجل تلافي هذا الضعف فكان من هذه الاجراءات: ـ

١ ــ «مضاعفة سكان إسرائيل خلال الخمسة عشر عاماً القادمة بعودة يهود البلاد الشيوعية والإسلامية الى وطنهم مع تشجيع عودة اليهود من البلاد الأخرى.

٢ ــ تعمير المناطق عير الآهلة بالسكان في الشمال والجنوب واستغلالها في الزراعة والصناعة، ويمكن للنقب استيعاب مليوني يهودي بسهولة فيستطيع العلم والتكنولوجيا الحديثة والطاقة الذرية والجهود الرائدة للشباب الإسرائيلي تحويل هذه الأراضي المقفرة إلى أراض مأهولة بالسكان»[١].

كما حدد العدو الصهيوني علاقة الجيش بالقطاع المدني ومدى ـ التطوير اللازم بالأمور التالية: ـ

١ ــ إنشاء صناعة حربية كبيرة تعتمد على البحث العلمي المتطور لإمداد جيش إسرائيل بأحدث أنواع الأسلحة والمعدات.

٢ ــ يقوم كل من القطاعين المدني والعسكري بإمداد الآخر بما يحتاج اليه من القوى البشرية المدربة أحسن تدريب.

٣ ــ ازدياد سرعة معدل التغيير التكنولوجي وتنويع التكنولوجيا العسكرية أطال فترة التدريب اللازمة لحصول الفرد على التفوق التكنولوجي مما يحتم الاهتمام بإنشاء الجيوش المتخصصة.

٤ ــ ازدياد تعقيد جهاز الحرب والحاجة الدائمة للبحث والتطوير يحتم المزج بين الجهود المدنية والعسكرية فالفصل بين المدني والعسكري أصبح أمراً عسيراً»[٢].

---

(١) أمين هويدي ـ كيف يفكر زعماء الصهيونية ص ١٦٢ دار المعارف مصر ١٩٧٤.
(٢) السابق ص ١٤٩.

العمل في المجال النووي:

ولما أعلن الرئيس الأمريكي أيزنهاور عام ١٩٥٣ في خطابه الشهير «الذرة من أجل السلم» وأن الولايات المتحدة مستعدة لوضع بعض ما لديها من المعلومات والمنشآت الذرية فكان نتيجة ذلك «أن تم في السنتين التاليتين توقيع نحو ثلاثين إتفاقية ثنائية للتعاون النووي بين الولايات المتحدة وبين دول أخرى من ضمنها إسرائيل ومصر ـ ولكن كان توقيع مصر للتظاهر أمام الجماهير العربية لأنها لم تتابع الموضوع ولم يظهر عندها أية مفاعلات ذرية ـ عقدت الإتفاقية مع إسرائيل في ١٢ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٥ م إثر اتصالات قام بها في أوائل صيف السنة نفسها سفير إسرائيل في واشنطن أبا إيبان مع مورهد باترسن كبير المفاوضين الأمريكيين في شأن برنامج «الذرة من أجل السلم» وقد تضمنت الإتفاقية على تبادل واسع للمعلومات المتعلقة بمفاعلات البحث الذري واستعمالها وعلى مد إسرائيل بستة كيلوغرامات من اليورانيوم ٢٣٥ المخصب. . . وأعطيت إسرائيل في الوقت نفسه حق شراء مفاعل صغير للبحث الذري من صنع الولايات المتحدة مع مساهمة أمريكية بمبلغ ٣٥٠,٠٠٠ ثلاثمائة وخمسين ألف دولار من ثمنه وقدمت إلى إسرائيل مكتبة فنية تحتوي على ٦٥٠٠ ستة آلاف وخمسمائة تقرير عن البحث والتطوير الذريين من تقارير لجنة الطاقة الذرية الأمريكية.

كانت سنة ١٩٥٥ من وجوه عديدة سنة حافلة بالنسبة إلى أنصار برنامج إسرائيل النووي ومشجعة فالمؤتمر الدولي للإستعمالات السلمية للطاقة الذرية الذي عقد في جنيف في شهر آب ـ أغسطس ـ تحت رعاية الأمم المتحدة هيأ لإسرائيل فرصة اطلاع عالم العلم على تقدمها في الحقل الذري فقد كشف وفد إسرائيل إلى المؤتمر أن إنتاج اليورانيوم من الفوسفات كمنتوج جانبي سائر في طريقه وأذاع مسؤولون إسرائيليون كبار طوال السنة عدة بيانات أكدوا فيها تقدم بلدهم في البحث النووي وأعلن بن جوريون مراراً عن اعتقاده بأن القوة الذرية

ستصبح خلال بضع سنوات مصدر البلد الرئيسي للطاقة وأن في مقدور إسرائيل أن تبني مفاعلها الخاص بما تحت تصرفها من اليورانيوم والماء الثقيل المنتجين محلياً[1].

وهكذا سعت إسرائيل لهذا الغرض حثيثاً وهي ترمي من ورائه إلى غرضين هامين:

الأول: للإعمار وتأمين الطاقة اللازمة لذلك.

والثاني: تهديد الدول العربية بالقنابل الذرية و«وضع المهندسون الإسرائيليون الخطط لهذا المفاعل بالتعاون مع العلماء الأمريكيين وبدأ إنشاءه في تشرين الثاني ١٩٥٨ م في ناحال سوريك إلى الجنوب من تل أبيب قرب مركز وايزمن للبحث النووي... وانتهى العمل في أيار ١٩٦٠ م وبدأ المفاعل عمله في حزيران من نفس السنة»[2]. ثم أقدموا على إنشاء مفاعل أكثر عطاء من الأول فقد جاء مفاعل «ديمونا» نتيجة لحملة السويس ذلك بأن أزمة ١٩٥٦ م وموقف أمريكا الحاسم خاصة أقنعت فرنسا بأن السلاح النووي ضروري إذا ما أرادت أن تكون قادرة على ممارسة امتيازات قوة عالمية مستقلة حقاً وكذلك أديا إلى تعاون وثيق جداً بين فرنسا وإسرائيل وطدته المغامرة العسكرية المشتركة ضد مصر... لقد تم التوصل إلى اتفاق بناء المفاعل في سنة ١٩٥٧ م وقد بقيت بنوده التي تتعلق بمصادر الوقود والتفاصيل الأخرى سراً من الأسرار حتى يومنا هذا... ويبدو أن الإستقالة الجماعية التي قدمها أعضاء لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية في سنة ١٩٥٧ م باستثناء رئيسها بيرجمان إنما كان سببها قرار بناء هذا المفاعل على يد وزارة الدفاع، لقد عارض العلماء بشدة هذا القرار لأسباب توحي ـ وإن كانت لا تزال غامضة ـ بأن استعمالات المفاعل العسكرية كانت

---

(١) فؤاد جابه ـ الأسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ص ٣٣ ـ ٣٤ نقله إلى العربية زهدي جار الله ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧١م.

(٢) السابق ص ٣٨.

تطغى على تفكير واضعي القرار»[1]. وهذا المفاعل الذي يخشى العلماء أن تكون إسرائيل قد استخدمته لصنع قنابل ذرية، «إن مفاعل ديمونا ـ الذي هو في النقب الشمالي ـ ينتج منذ سنة ١٩٦٦ م كمية من البلوتونيوم تكفي لصنع قنبلة واحدة في السنة طاقتها ٢٠ كيلو طن... لن يكون عند إسرائيل في سنة ١٩٧٠ م سوى أربع أو خمس قنابل»[2].

والبلاد العربية بما لديها من مال وفير وعلماء يستخدمهم الغرب على كره منهم لا يفكرون إلا بالصراعات الداخلية والتهديدات الجوفاء التي لا تستند إلى رصيد من القوة الحقيقية وقد انكشف حالهم عام ١٩٦٧ م...

استغلال الموارد الطبيعية:

ولقد التفت اليهود إلى استغلال الموارد الطبيعية في فلسطين فوقعوا على كنز ثمين وجدوه في البحر الميت.. ويعد البحر الميت أغنى بقعة في العالم لأن مياهه تحتوي على كميات هائلة من الأملاح قدرها الخبراء بما يلي:

كلوريد البوتاس	٢٠٠٠	مليون طن
كلوريد المغنسيوم	٢٢٠٠	مليون طن
كلوريد الكلس	٦٠٠٠	مليون طن
كلوريد الصوديوم (الملح)	١١٠٠٠	مليون طن
بروميد المغنسيوم	٩٨٠	مليون طن

وقدر الخبراء الإنجليز قيمة أملاح البحر الميت بما يتراوح بين ٢٧٣ ـ ٢٤٠ ألف مليون جنيه استرليني.. وهذه الأملاح تستعمل في الصناعات المختلفة مثل صناعة السماد وملح البارود والعقاقير الطبية والدهان والزجاج والورق والمتفجرات والتصوير والكبريت والصابون.

---

(١) السابق ص ٤٤.

(٢) السابق ص ٩٨.

وقيل إن كمية البوتاس في البحر الميت تكفي لتزويد العالم بهذه المادة بمعدل مليون طن سنوياً لمدة ألفي سنة. . . وبنى اليهود منشآت الشركة في موقعين على البحر الميت: الأول في شمال البحر والثاني في جنوبه. وبنوا في القسم الشمالي مدينة سياحية ومشتى عالمياً ثم شرعوا في استخراج البوتاس والأملاح الأخرى وتصديرها إلى أوروبا بمساعدة الإنجليز. . . وفي أوائل سنة ١٩٤٨ دمر المشروع الشمالي وانسحب اليهود إلى المشروع الجنوبي من البحر الميت ليواصلوا استخراج الأملاح وشحنها إلى أوروبا حتى يومنا هذا. . .

أما في الجانب العربي من البحر الميت اليوم فقد ألفت الدول العربية شركة البوتاس العربية برأس مال قدره ٤,٥ مليون دينار أردني يسهم المؤسسون ـ بقسم منها ـ وهم الحكومة الأردنية، الحكومة السورية، حكومة العراق، المملكة العربية السعودية، لبنان، الجمهورية العربية المتحدة والبنك العربي في عمان..

وجدير بالذكر «أنه قد مضى على تأسيس هذه الشركة عدة سنوات ولم تبدأ العمل بعد. . .»[1] وعرف اليهود حاجتهم للمياه فلجأوا إلى مشاريع الإحتيال. . . ولم ييأسوا حتى تم لهم ما أرادوا وسحبوا مياه الأردن إلى صحراء النقب. . . أما أهم المشاريع فكانت:

١ ــ مشروع لورد ملك. . . وضعه مهندس أمريكي يهودي. . وكان مشروعه يدور حول الإستيلاء على مياه نهر الأردن من منابعه إلى مصبه بما في ذلك روافده وأهمها نهر اليرموك لحساب يهود فلسطين ثم تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات التي تحيط بها، ثم الإستيلاء على نهر الليطاني في لبنان وتحويل مياهه إلى فلسطين وتخزينها في بحيرة إصطناعية قرب الناصرة لنقلها من هناك إلى أراضي النقب.

٢ ــ مشروع هيز. . وهو مهندس يهودي أمريكي. . . وخلاصة مشروعه تقوم

---

(١) عبد الله التل ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ المكتب الإسلامي ١٩٧٩.

على تحويل الفائض من أنهار الحاصباني وبانياس واليرموك بقنوات وخزانات لمرج بن عامر والنقب، ومرج بن عامر كان بأيدي اليهود اشتروه من أسر غير فلسطينية والنقب كان أمل اليهود في التوسع وحشد الملايين من يهود العالم فيه... ومن أهداف المشروع كذلك حفر قناة تصل ماء البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت فتعوض النقص في ماء الأخير وتستغل في توليد الطاقة الكهربائية.

٣ ــ مشروع أريك جونستون: كان هذا المشروع يرمي إلى استغلال ١,٣٠٥ مليون متر مكعب من مياه حوض الأردن، خصص منها للدول العربية ٨٧٩ مليون متر مكعب بنسبة ٦٧٪ وخصص لإسرائيل ٤٢٦ مليون متر مكعب بنسبة ٣٣٪ وقدر أن الأراضي التي ترويها هذه المياه هي ٩٣٦ ألف دونم منها ٤٩٠ ألف دونم في الأردن ٣٠ ألف دونم في سورية فيكون المجموع للعرب ٥٢٠ ألف دونم بنسبة ٥٥٪ والأرض التي تروي في إسرائيل ٤١٦ ألف دونم بنسبة ٤٤,٥٪ وتضمن المشروع توليد ٢١٨ مليون كيلووات ساعة من الكهرباء منها ١٣٤ مليون للأردن بنسبة ٦١,٥٪، ٨٤ مليون كيلووات من الحاصباني لإسرائيل بنسبة ٣٨,٥٪ وقد رفضه العرب.

«إن إسرائيل ومن ورائها دول الغرب المستعمرة بقيادة أمريكا تستميت اليوم من أجل إحياء صحراء النقب وتحويلها إلى أرض زراعية قابلة للعيش فيها...»[1].

ب ــ **أما على الصعيد الخارجي** فإن إسرائيل قد أوجدت تحالفاً وثيقاً مع دول الغرب الرأسمالية وعلى الأخص بريطانيا التي أوجدتها في فلسطين وكذلك أمريكا التي تعهدت لها بالعون والحفظ والدعم المادي ثم تأتي بعد ذلك الدول الأخرى مثل فرنسا وألمانيا الغربية وغيرهم من دول الغرب... ولا أدل على

---

(١) السابق ملخص عن الصفحات من ٣٣٨ ـ ٣٦٥.

التعاون الوثيق بين إسرائيل وهذه الدول من اتفاق بريطانيا وفرنسا مع إسرائيل للعدوان على مصر عام ١٩٥٦ م ـ لقد أصبح ارتباط إسرائيل بدول الغرب حقيقة مسلم بها لا تحتاج إلى البراهين إن إسرائيل كانت بين واحد من احتمالات ثلاثة: أن تربط نفسها بالسياسة السوفياتية أو أن تحاول تنمية علاقاتها التقليدية مع غرب أوروبا أو أن تتجه إلى العملاق الأمريكي كل من هذه الإحتمالات كانت له دوافعه الإيجابية والسلبية فالتعانق الروسي تفسره علاقات الإنسجام الطبيعية بسبب الحضارة السلافية التي يمثلها جيل الهجرة الثانية وهو الذي كان يمثل الطبقة القيادية في الدولة الجديدة أضف إلى ذلك أن ستالين هو الذي تبنى الدفاع عن إسرائيل في لحظة كان لكلمته فيها وزن مخيف... على أن السبب الحقيقي للتردد كان يعود إلى متغير آخر أساسه أن إسرائيل كانت تعلم جيداً أن استراتيجيتها يجب أن تسير في خط مضاد للدول المحيطة بها... والتي لم تكن في تلك اللحظة تعني سوى مصر...

والواقع أنه منذ عام ١٩٥٥ وعقب صفقة السلاح لمصر بدأت السياسة الخارجية الإسرائيلية تتضح أبعادها:

«الإتجاه نحو الإرتباط بالمصالح الرأسمالية في السياسة الخارجية وتأكيد الأبعاد الإقتصادية لهذا الإتجاه في الحياة اليومية... عام ١٩٥٧ م يعلن بوضوح الإندفاع الإسرائيلي نحو التشابك مع المصالح الأمريكية.. سياسة الدفاع النشط كانت قد بدأتها إسرائيل منذ عام ١٩٥٦ م بحرب وقائية أبرزت بوضوح استعدادها للمغامرة كما أكدت عدم قدرة البلاد العربية على مواجهة عملية التحرك في النطاق الدولي واستطاعت ببراعة أن تنطلق في حملة عسكرية متحالفة مع بريطانيا العظمى وفرنسا، وقد هيأ لها ذلك عدم القدرة العربية على التخطيط السياسي الناجح في نطاق العلاقات الدولية فتأميم قناة السويس بذلك الأسلوب المعروف كان خطأ تكتيكياً استطاعت من خلاله إسرائيل أن تنفذ إلى التحالف الوثيق مع القوى الرأسمالية في غرب أوروبا وعدم الإعداد المسبق للرأي العام العالمي أو على الأقل عدم إعداد حملة إعلامية سريعة لاحقة لعملية التأميم سمح

لإسرائيل بدورها أن تستقطب قوى الرأي العام... واضطرار إسرائيل إلى الإنسحاب من سيناء لا يعني إخفاقاً لسياستها الخارجية: إنه مقدمة للربط العضوي بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الأمريكية توج ذلك اتفاق يونيو- حزيران - ١٩٥٩ م الذي يقضي بتصدير الأسلحة من ألمانيا الغربية إلى إسرائيل»[١].

نفوذ إسرائيل في الدول النامية وبعض الدول الإسلامية:

ولم تنس إسرائيل أن تلج إلى الدول النامية والدول الإسلامية غير العربية مستغلة تناقض الحكام وما أحدثته القومية العربية من تباعد بين الدول العربية والإسلامية «لقد اعترفت إيران بإسرائيل على أساس الإعتراف بالأمر الواقع في آذار ١٩٥٠ م وحضر دبلوماسي إيراني إلى إسرائيل تحت اسم غريب دعي أولاً: مبعوثاً فوق العادة إلى فلسطين وسمي بعد ذلك: ممثلاً خاصاً في دولة إسرائيل.. وعندما تسلم مصدق السلطة بعد ذلك بعام أغلقت إيران قنصليتها العامة في القدس وسحبت الإعتراف بالأمر الواقع وأعلنت بأن جميع اليهود الموجودين في إيران سوف يعادون جبراً، واستؤنفت العلاقات بسرعة بعد إسقاط مصدق وجرت منذ عام ١٩٥٣ سلسلة كاملة من الإتفاقات بين إسرائيل وإيران، فإيران تزود إسرائيل بكل ما تحتاجه من النفط وتقوم إسرائيل في إيران مقابل ذلك بشق الطرق وتشييد الأبنية وزيادة محاصيل الشمندر والقطن وإصلاح المناطق .

هذا وتمر الطرق الجوية غير المباشرة والشديدة الإلتفاف بين إسرائيل وجنوبي أفريقية عبر طهران - فقد أعلن الشاه في عام ١٩٦٠ م أن إيران لم تتوقف أبداً

---

(١) د. حامد عبد الله ربيع - من يحكم تل أبيب ص ٢٣٦/٢٣٧ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥م.

عن الإعتراف بإسرائيل[1] وقد أفلحت إسرائيل في إغراء تركيا لتتعاون معها على تخفيف حدة الحصار الإقتصادي فتبادلت معها التجارة على أوسع نطاق فتركيا تغذيها باللحوم والحبوب والفواكه المجففة وتستورد منها الإسمنت. . . وبلغ من قوة التعاون مع تركيا كما تقول بعض التقارير أنك لا تدخل أصغر بيت فلاح تركي إلا وتجده يستعمل أدوات المطبخ البسيطة والأثاث المصنوع في إسرائيل. . كما نجحت في جر بعض الدول مثل اليابان. . . وكذلك كينيا وروديسيا»[2].

نفوذ اليهود في أوروبا وأمريكا:

لقد عمل الإعلام اليهودي عمله في الخارج وخصوصاً في دول غربأوروبا فكسب أنصاراً على حساب البلاد العربية التي أهملت هذه الناحية أو قصرت في أدائها، إن اليهود في معظم بلدان العالم منبوذون ومع ذلك فقد استطاعوا أن يحولوا هذه الكراهية إلى البلدان العربية وذلك بامتلاك أجهزة النشر ووسائل الإعلام ولنأخذ على ذلك مثلاً في الولايات المتحدة حيث زارت في أواسط الخمسينيات وفود من الدول الشرقية والعربية الولايات المتحدة الأمريكية فكتبت أمينة السعيد: «ولما كان الوفد في نيويورك خلا برنامج المندوبين العرب من أي أثر واقتصرت تحركاتهم على تلبية دعوات للغداء والعشاء في بيوت أمريكية خاصة لم يعط أحد منهم فيها الفرصة للتحدث عن بلاده أبداً. . . وهرب الصحفيون منا هروب السليم من الأجرب وكنا نراهم يتهافتون على الإجتماع بزملائنا الآسيويين فإذا ظهرنا في الميدان أمامهم أشاحوا بوجوههم عنا، وولوا لنا ظهورهم مشمئزين إلا مرة واحدة أقبلوا فيها على أخينا العراقي يستدرجونه لانتقاد مصر فلما ردهم خائبين هجروه كما هجرونا. . . وقد حدث في مؤتمر صحفي بعد ذلك أن تهافت مندوبو الصحف ووكالات الأنباء على إخواننا

---

(١) جـ خـ. جانسن الصهيونية واسرائيل وآسيا ـ ترجمة راشد حميد ص ١٦٨ ١٩٧٢. منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث.

(٢) عمر أبو النصر ـ نهاية إسرائيل ص ١٧٤ منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٥م.

الآسيويين وتجاهلوا وجودنا فلما لفت نظرهم إلينا ممثل الهيئة المنظمة لرحلتنا قالوا له على مسمع منا: ليس لدينا ما نود أن نعرفه عن العرب... ولم ننسحب من الجلسة وبقينا في مجلسنا حتى النهاية وعندما انقضى الإجتماع تبعني أحد الصحفيين إلى بهو الفندق وهمس في أذني قائلاً: إننا في غاية الأسف لسلوكنا نحوكم ولكننا مجبرون على تجاهلكم وإلا عرضنا أرزاقنا للخطر فالجرائد في نيويورك والتلفزيون والراديو كلها ملك لليهود وهم كما تعرفون يكرهونكم كراهية التحريم... ثم تستدرك فتقول: ومن أعجب ما لمسته بنفسي أن الشعب الأمريكي الذي خلقت حكومته دولة إسرائيل يكره اليهود ولا يترك فرصة دون إظهار شعوره حتى أن معظم الأندية الراقية تحرم اشتراكهم فيها بنص القانون... وكنا نلمس هذه الحقيقة في الجموع التي نخاطبها ومن ذلك ما حدث في بلدة (ليك فورست) عندما قام أحد كبار العسكريين المتقاعدين وقال بأعلى صوته: بلغي قومك أيتها المصرية أننا نحبكم ونكره الصهيونيين وأكدي لهم أننا براء من سياستنا الخارجية التي ظلمتكم وأساءت إليكم..»[1].

ومع مرور السنوات هل استطاع العرب أن يغيروا شيئاً من سياسة الولايات المتحدة ومن نظرة الشعب الأمريكي للعرب... لقد ازدادت الهوة وسيطر اليهود أكثر فأكثر على السياسة الأمريكية والشعب الأمريكي معاً... وهذا ما ظهر واضحاً فيما بعد في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ م.

فرية نرد عليها:

لقد ظهر كتاب كثيرون في هذه الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ م وكتبوا بتفاؤل كبير من أن إسرائيل لا تستطيع أن تعيش في هذه البقعة من الأرض الفقيرة وحولها جارات عربيات يشددن عليها المقاطعة وأن إسرائيل لن تستمر أكثر من سنوات ثم تتهاوى من نفسها وما ذلك إلا ليثبطوا الهمم لتستمر إسرائيل في البناء والقوة ونحن ننتظر مضي هذه السنين لنشهد ونحن نتثاءب سقوط إسرائيل... لقد

---

(١) السابق ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

كانت العملية خدعة ماكرة إذ كيف نصدق أن تسقط إسرائيل بهذه السرعة وهي ماضية في العمل والبناء وقد وضع الشعب فيها يده مع زعمائه للنهوض بها مع ملايين الدولارات والجنيهات لتقويتها ثم نصدق أنها ستسقط ولا نقارن بينها وبين دول أفقر منها بعشرات المرات وأقل تماسكاً وحرية كسورية مثلاً والأردن ولبنان وكثير من دول أفريقيا من أنها دول باقية لم يشر إليها أحد بالسقوط.

يقول أحد الكتاب: «وفي الأنباء الأخيرة ما يؤكد كل ما قدمناه في الفصول التي سلفت، فإسرائيل تعاني اضطراباً داخلياً خطيراً ومن مظاهر هذا الإضطراب الإضراب الأخير الذي شمل موظفي الحكومة فيها أواخر حزيران عام ١٩٥٥ م والذي يهدد الإدارة بالشلل وهذا الإضراب الداخلي وثيق الصلة بالحالة الإقتصادية السيئة التي تعانيها إسرائيل من جراء دأبها على استنزاف معظم الأموال التي تحصل عليها بالتسول في الإنفاق على التسلح ولكي تبرر هذا السفه أمام شعبها الذي يعاني مساوىء هذه السياسة العدوانية نراها تفتعل الحوادث لتسكين جبهتها الداخلية وتحويل الأنظار صوب الحدود..

... فهذه إسرائيل يهزها القلق الداخلي كما يخنقها الحصار الإقتصادي وسيرى العالم أن إسرائيل وجدت لتموت.. لا لتعيش»[1].

... فإذا كانت الدول تسقط بما ذكر الكاتب من أمور فإن دولاً كثيرة يجب أن تتهاوى قبل إسرائيل... لقد تصور الكاتب أموراً غريبة لنهاية إسرائيل علماً بأنها أفضل مناخ لاستمرارها فاضراب موظفي الحكومة إن دل على شيء فإنما يدل على وجود الحرية الممنوحة للشعب اليهودي وهي ظاهرة صحية تتم في أرقى الدول وأكثرها قوة وتماسكاً وحرية.. إن الكبت هو الذي يدل على ضعف الدولة واهترائها وعدم تلاحم أفرادها مع الدولة...

وحرب عام ١٩٦٧ أكبر شاهد ـ كما سيأتي في حينه ـ إن إسرائيل لا تزول أو تموت بمثل هذه الأمور التافهة... إن زوالها لا يكون إلا ببناء الدول المحيطة

---

(١) السابق ص ١٩٦.

أولاً والدول العربية والإسلامية ثانياً بناء قوياً متماسكاً من الناحيتين المادية والمعنوية، فإذا ما تم البناء واستكملنا أسبابه وأعلنا الجهاد في سبيل الله معتمدين عليه وحده.. سيكون النصر بإذن الله وهذا وحده كفيل بإعادة حقوقنا في فلسطين المغتصبة..

العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر ـ تشرين الأول ـ ١٩٥٦ م:

كان على البلدان العربية أن تعرف أن إسرائيل لا تريد السلام مطلقاً وأن ما تدعيه في هذا الخصوص محض افتراء وكذب من أجل كسب الوقت لتستطيع اكتساب المزيد من الأراضي العربية ولكن على مراحل حتى تستطيع أن تهضم ما تأخذه وبعدها تكون قد خططت للإستيلاء على المزيد...

لقد خدعت إسرائيل الدول الكبرى والعالم أجمع وذلك بترديد عبارات السلام البراقة في الوقت الذي تزيد فيه من عدوانها السافر وتطلق فيه التصريحات القاتلة التي تحدث ردة فعل معاكسة لدى العرب فتظهرهم بمظهر المعتدي الرافض للسلام لتغنم وتنعم بما خططت له لقد اقتنعت كل من بريطانيا والولايات المتحدة بدعوى سلام اليهود الزائف فقامت كل منهما بالتدخل في الشؤون العربية والضغط على زعماء العرب بعدم القيام بما من شأنه أن يعرض السلام للخطر في المنطقة وقد كانت شروط أمريكا دائماً موجهة نحو هذا السبيل.. ولكن أين السلام؟ فهذا زعيم يهودي متطرف يقول: «مناحيم بيغن عام ١٩٥١، لن يكون هناك من سلام لا لإسرائيل ولا للعرب حتى في حال توقيع معاهدة قبل أن تتحرر كل بلادنا ـ وهي بزعمهم من الفرات إلى النيل ـ بن جوريون عام ١٩٥٢. إن الدولة اليهودية لا تحتل الآن سوى قسم ضئيل من وطننا الحقيقي... بن جوريون أيضاً في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٦ إن من

بين الأهداف التي جعلت إسرائيل تشترك في العدوان الثلاثي كانت تحرير مناطق وطننا التي لا تزال بعد تحت سيطرة العدو»[1].

إن أطماع إسرائيل كبيرة جداً فهي تأبى أن تحد ما اغتصبته بحدود لأنها تريد المزيد لقد قال ايدن رئيس وزراء بريطانيا في ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٥ م: «إذا قبلت إسرائيل والدول العربية الترتيبات الخاصة بمشاكل الحدود فإننا نعتقد أن الولايات المتحدة وربما بعض الدول الأخرى ستكون على استعداد لإعطاء ضمانات كافية للطرفين المتنازعين وربما أدى ذلك إلى تعزيز الثقة والأمن بينهما وستقدم دولتانا معونة مالية كبيرة أو أية معونات أخرى لحل مشكلة اللاجئين المؤلمة... كل هذا ستفعله ولكن ألا يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك... هناك العرب من جهة يبنون موقفهم على مقررات الأمم المتحدة لعام ١٩٤٨ وغيرها فهذه وجهة نظرهم ويقولون أيضاً بأنهم على استعداد للدخول في مفاوضات مع إسرائيل على هذا الأساس أما الإسرائيليون فيتمسكون باتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ م وبالأراضي التي احتلوها في حينها... بين هذين الموقفين هوة واسعة... ولكن هل هي حقاً من الإتساع بحيث لا تستطيع المفاوضات اجتيازها.. وإنني مقتنع بإمكان التوصل إلى ذلك فإذا نجحنا بلغنا الإنفراج وحققنا السعادة والرفاه لآلاف البشر»[2].

«استقبل هذا الخطاب بشيء من التفاؤل في البلاد العربية وقال عبد الناصر: إنه لأول مرة يحاول رئيس وزراء غربي مسؤول أن يكون عادلاً ـ ويذكر قرارات الأمم المتحدة وأن السيد ايدن اتخذ مسلكاً إيجابياً إنشائياً إزاء مشكلة أهملت أمداً طويلاً ويمكن أن تؤدي مقترحاته إلى منع التوتر والتخفيف من حدته وإنني لا أقول إن كل عربي سيوافقني على هذا..»[3] وعلق الناطق الأردني

---

(١) ف ـ ب لاديكين ـ مصدر الأزمة الخطيرة ص ٢٥٤ ترجمة هاشم حمادي منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٧٥م.

(٢) العلاقات الأردنية البريطانية ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ دار النهار للطباعة والنشر ١٩٧٣ م.

(٣) السابق ص ٢٣١.

فقال: «هذه هي المرة الأولى التي تقترب فيها مقترحات غربية من وجهة النظر العربية التي تطالب بتنفيذ مشروع الأمم المتحدة في التقسيم».

«أما إسرائيل فقد رفضت رفضاً باتاً مقترحات ايدن وقال رئيس وزرائها دافيد بن جوريون معلقاً على مقترحات ايدن: إن هذه المقترحات لا يبررها القانون ولا الأخلاق ولا المنطق»[1].

وهكذا رفض اليهود مقترحات ايدن الذي سيضع كفه بكفهم للتآمر على مصر ضارباً بما صرح به قبلاً عرض الحائط وعائداً لطبيعته العدوانية علماً بأن هذه المقترحات وحتى العودة إلى قرار الأمم المتحدة للتقسيم كل ذلك مرفوض من وجهة النظر الإسلامية... لأنه لا يجوز التفريط بأي شبر من أرض الأمة الإسلامية...

«لقد أبت إسرائيل أن تحد بحدود وهي طامعة شرهة ففي عام ١٩٥٥ م وافقت مصر على مشروع الوسط الذي تقدمت بـه الحكومة البريطانية وهو المنبثق من خطاب ايدن السالف الذكر ـ والذي ينص على وضع حدود نهائية لإسرائيل بين خط هدنة ١٩٤٩ م وبين الحدود المحدودة على الخارطة الملحقة بقرار ١٩٤٧ ولو أن إسرائيل قبلت به لحصلت عند ذاك على حدود آمنة ومعترف بها ولكن الدولة الصهيونية لم ترغب في ذلك بل كـانت تخطط لتـوسعات جديدة..»[2].

أسباب العدوان الثلاثي:

أما أسباب العدوان فترجع بالدرجة الأولى إلى تأميم قناة السويس ففي «صبيحة ٢٧ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٦ ألقى الرئيس المصري جمال عبد الناصر خطاباً لاهباً أعلن فيه تأميم قناة السويس، وكان هذا يعني أن الحكومة المصرية

(١) السابق ص ٢٣١.

(٢) ف. ب لاديكين ـ مصدر الأزمة الخطيرة ص ١٩٩ ترجمة هاشم حمادي منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥م.

استولت على كل ممتلكات شركة قناة السويس حيثما كانت. وأصدر الرئيس عبد الناصر كذلك أمراً استثنائياً يقضي بأن كل الأشخاص العاملين في القناة مطالبون بالبقاء في أعمالهم الراهنة وإلا فإنهم يعرضون ـ أنفسهم لطائلة السجن. وبين الرئيس المصري في بيان آخر أنه يتوقع أن يحقق ربحاً من القناة يبلغ حوالي مائة مليون دولار سنوياً وكان هذا يعني زيادة كبيرة جداً في عائدات القناة إذ أن أرباحها الحالية لا تزيد عن خمسة وثلاثين مليون دولار سنوياً بعد دفع حوالي سبعة عشر مليوناً إلى مصر كأجرة عادية لأرض القناة. .»وقال عبد الناصر انه اتخذ هذه الإجراءات بسبب رفض الولايات المتحدة مساعدته في بناء سد أسوان، وعندما تقدمنا قبل أكثر من سنة على ما أظن بعرضنا الأول للمساعدة في بناء سد أسوان كانت الفكرة أن المشروع سيكون مشروعاً مشتركاً نقوم بتنفيذه مع بريطانيا وعندما يتحقق فإنه يعطي البنك الدولي فرصة للمشاركة ولمساعدة عبد الناصر على إنجاز العمل. وكان تفكيرنا أن المشروع ممكن التحقيق على هذا الأساس إلا أنه يتطلب كل الإمكانات التي يمكن أن تخصصها مصر للنفقات العامة. غير أن مصر قامت بأمرين اثنين معاً وهما:

١ ــ أنها أرسلت إلينا قائمة مطولة من الشروط التي اشترطت أن نلبيها قبل أن توافق على أخذ هذا القرض. وكانت بعض هذه الشروط غير مقبولة.

٢ ــ وبدأت بتعزيز قواتها العسكرية بالحصول على معدات من الإتحاد السوفياتي وقطعت مصر في هذا الصدد شوطاً كبيراً حيث أننا أصبحنا مقتنعين أنها لن يتبقى لديها رصيد من الإمكانات المالية يكفي للإسهام بحصتها من بناء السد. . .

لذا لم يعد لدينا أي اهتمام في الأمر ولم نقل فيه شيئاً إلا أن عبد الناصر أرسل إلينا فجأة قبل حوالي شهر رسالة مفادها أنه سحب كل شروطه وأنه مستعد لقبول عرضنا الأول. ونظراً لتغير الظروف تغييراً واضحاً ولكوننا تصورنا

أن المشروع كله قد مات فقد أرسلنا ردنا بأنه لم يعد لدينا تفكير في الأمر»[1].

لقد طار صواب كل من بريطانيا وفرنسا عندما علمتا بتأميم قناة السويس فقد كانت مرتكزاً لهما للتآمر والسيطرة على دول المنطقة... لذلك سارعت الدولتان للتفكير في عملية تعيد لهما السيطرة على قناة السويس فلجأتا إلى التسوية السياسية أولاً حيث «عقد في لندن مؤتمر سمي بمؤتمر الدول ـ المنتفعة بقناة السويس حضره ممثلون من (٢٢) اثنين وعشرين دولة بحرية وامتنعت عن حضوره كل من مصر واليونان وانبثق عن المؤتمر لجنة خماسية... وأرسلت هذه اللجنة إلى مصر للمفاوضة حول مشروع للإشراف الدولي على القناة ورفضت مصر هذا المشروع وفشلت المفاوضات... وفي شهر أيلول ـ سبتمبر ـ كانت شركة القناة قد أمرت موظفيها من غير المصريين بالتوقف عن العمل في القناة والعودة إلى بلادهم فوراً وتداركت مصر المرشدين من رعايا الدول المؤيدة لها وسار العمل في القناة بصورة جيدة وثبت للرأي العالمي بطلان حجة الدول الغربية القائلة بأن مصر غير قادرة على إدارة القناة بمفردها... وفي أوائل شهر تشرين الأول ـ قدمت كل من بريطانيا وفرنسا شكوى إلى مجلس الأمن الدولي ضد مصر بسبب تأميمها القناة وكانت الولايات المتحدة قد اقترحت جعل القناة تحت الإشراف الدولي ولكن روسيا نقضت هذا الإقتراح بموجب الفيتو وعجز مجلس الأمن عن اتخاذ قرار في هذه الشكوى»[2].

توقيت الهجوم وحبك التآمر واستخدام إسرائيل رأس حربة:

عندها قررت الدولتان سلوك طريق القوة «وحينما عرضت كل من بريطانية وفرنسا على الولايات المتحدة الإشتراك معهما في العدوان على مصر رفضت الولايات المتحدة ذلك ونصحت الدولتين المذكورتين بأن تسلكا سياسة معتدلة في

---

(١) يوميات أيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٧٤ صفحة ٨ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٠م.

(٢) العقيد الركن المتقاعد صلاح الدين عبد القادر محمد فائز ـ عشرون عاماً من حربنا مع إسرائيل ص ١٥٦ ـ ١٥٧ مطبعة الشعب بغداد.

معالجة مشكلة تأميم القناة ولكنها في الوقت نفسه كانت قد تعهدت لهما بالحماية الذرية في حالة تدخل روسية في القضية وتهديدها لهما بالقصف الذري، كما وعدتهما بتقديم البترول إليهما في حالة نسف خطوط الأنابيب الممتدة عبر البلاد العربية. .»[1].

ولما نفضتا يديهما من الولايات المتحدة مالتا إلى أعداء العرب المجاورين لفتح باب الشر. . . فعندما «حل خريف عام ١٩٥٦ م كان البريطانيون والفرنسيون يتآمرون مع الإسرائيليين في خطة ذات طابع ميكافلي ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ في كونها مخاتلة ومخادعة وكانت خطة لا يمكن أن تنجح في النصف الثاني من القرن العشرين وقد تم وضع الخطة سراً دون اطلاع الولايات المتحدة عليها. ويبدو أن الخطة كانت ضرورية بسبب الظروف العسكرية الخاصة التي تحدد طبيعة الهجوم الذي كانت كل من الدول الثلاث تحب أن تشنه على مصر، وكان البريطانيون مستائين من مصادرة عبد الناصر شركة قناة السويس، أما الفرنسيون فكانوا يحبون أن يوجهوا ضربة لعبد الناصر نظراً لأنه كان يأوي رجال الثورة الجزائرية، أما الإسرائيليون فوجدوا أمامهم فرصة لتوسيع رقعة بلادهم بالإستيلاء على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء. وكان ضرورياً من أجل تحقيق هذه الأهداف أن يشن الإسرائيليون هجوماً إلى الغرب والجنوب فيدخلوا قطاع غزة وسيناء بينما تهاجم الطائرات البريطانية المطارات المصرية إذا كان ضرورياً شل حركة سلاح الطيران المصري، الذي كان يمكن أن يهاجم المدن الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه تقوم قوة بريطانية فرنسية مهاجمة، ترابط بحكم الضرورة في جزيرة مالطة البعيدة بدلاً من أن ترابط في جزيرة كريت لعدم وجود موانىء مناسبة في كريت فتتجه بحراً إلى الشرق نحو بورسعيد التي تقع في الطرف الشمالي من القناة أما الحيلة الدبلوماسية المكشوفة التي استخدمتها الدول الثلاث المتواطئة من أجل تحقيق أغراضها العسكرية فهي أن تقوم إسرائيل بشن الهجوم أولاً ثم تطلب بريطانيا وفرنسا من الجانبين ـ أي من إسرائيل ومصر ـ

(١) السابق ص ١٥٦.

إيقاف إطلاق النار والإنسحاب مسافة عشرة أميال عن جانبي القناة وعندما يرفض الإسرائيليون أو المصريون أو كلاهما الإبتعاد عن القناة على اعتبار أن الإسرائيليين لن يكونوا في الغالب قد وصلوها، وأن المصريين يمتلكونها فتعلن بريطانيا وفرنسا عندها ضرورة كون القناة محايدة وتستخدم قواتهما لهذا الغرض فتبدأ القوات البريطانية بقصف المطارات المصرية»[1] ولقد زودت إسرائيل بما تحتاجه من سلاح وخبرات للقيام بدورها على أكمل وجه «وفي إطار الإستعدادات لحرب السويس عام ١٩٥٦ م وفي نفس الشهر وعشية العدوان الثلاثي على مصر حصلت إسرائيل من فرنسا على مائة دبابة وثلاثمائة عربة مجنزرة وخمسين ناقلة دبابات وثلاثمائة شاحنة وألف مدفع بازوكا وسرب من طائرات النقل وست وثلاثين طائرة مستير»[2] ولكن أيزنهاور في يومياته كشف أنها ستون طائرة فقد اكتشفت ذلك وسائل الإستكشاف الأمريكية وقد ذكرناه من قبل.

خطة إسرائيل في الحرب:

لقد بدأت إسرائيل تستعد لتوجيه ضربة مباغتة إلى مصر فحشدت كل طاقاتها الحربية لذلك ولقد كان يرأس أركان حرب الجيش الإسرائيلي موشي ديان فكتب عن تلك الفترة يقول: «إنني أقوم بكل هذه الإجراءات لكي أحقق المفاجأة إذ بالحصول عليها سنحقق نصراً عسكرياً كبيراً إن لم ننجح في مفاجأة المصريين وضرب طائراتهم وهي رابضة على الأرض ستفشل خطتنا... إنني أرى أن مفتاح النجاح بعد تحقيق المفاجأة هو السرعة علينا أن ننهي المعركة في أقصر وقت ممكن حتى نتفادى التعقيدات السياسية مثل الضغط المنتظر من جانب الولايات المتحدة الأمريكية أو وصول متطوعين لمساعدة مصر علاوة على أننا من

---

(١) يوميات أيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٧٤ ص ٨ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٠م.

(٢) جيب مهتوجي ـ إسرائيل خنجر امريكا ـ ص ١٧١ منشورات الأرض للدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٧٩م.

الناحية الواقعية لا نستطيع أن نواصل الحرب لأكثر من أسبوعين يجب خلالهما أن ننتهي من احتلال سيناء... ويعمل المصريون داخل إطار جامد... وقياداتهم رابضة في المؤخرة بعيداً عن الجبهة... ويحتاج كل إجراء يقدمون عليه سواء أكان ذلك إنشاء خط دفاعي جديد أو تغيير أغراض الهجوم أو تعديل محاور التقدم إلى موافقة القيادات العليا مما يضيع كثيراً من الوقت... ثم تبدأ مرحلة إعطاء الأوامر خلال سلسلة القيادة الطويلة ولا تكون قد وصلت إلى القوات الأمامية إلا بعد ضياع وقت آخر سوف نندفع في القتال بصورة لا تعطيهم فرصة للإنتظام لأننا لن نتوقف بعد بدء القتال إلا عند أغراضنا النهائية»[1]. وبعد هذه الخطة قامت إسرائيل بالهجوم على قطاع غزة والقرى العربية الآمنة وتعرضت كفر قاسم إلى مذبحة جماعية مروعة كما قتل اليهود عدداً من الفدائيين وقامت القوات المصرية بصد المهاجمين ولكنها لم تفلح وقد كانت الخطة الإسرائيلية موضوعة لحرب شاملة وليس كما يتوقع لاعتداء محلي مما أربك القيادة المصرية و«استطاعت القوات الإسرائيلية في الفترة بين ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ و٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٦ م أن تجهز على كل القوات المصرية الموجودة في شبه جزيرة سيناء وكان في استطاعتها أن تسير مباشرة إلى القاهرة وأن تستولي على مصر كلها لولا أنها توقفت بموجب ترتيباتها التي عقدتها مع بريطانيا وفرنسا ووجهت الدولتان الغربيتان إنذاراً إلى الإسرائيليين والمصريين في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وعندما تجاهل المصريون هذا الإنذار ـ كما كان متوقعاً بدأت بريطانيا وفرنسا إرسال قواتها إلى منطقة القناة فقصفت مدينة بورسعيد واحتلتها، فعمد المصريون إلى سد القناة بحطام السفن ونتج عن ذلك أزمة دبلوماسية وعسكرية وإقتصادية في السويس إلى أن شكلت الأمم المتحدة بناء على اقتراح كندا قوة دولية بدأت تصل إلى الشرق الأوسط في منتصف تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وعندما حل عيد الميلاد كانت هذه القوات قد حلت محل القوات البريطانية والفرنسية... وفي خلال هذه الأزمة الشديدة التعقيد

(١) أمين هويدي ـ كيف يفكر زعماء الصهيونية ـ ص ١٩١ دار المعارف مصر ١٩٧٤.

انضمت الولايات المتحدة إلى روسيا في الأمم المتحدة في معارضة بريطانيا وفرنسا ـ وهدد الروس بإطلاق صواريخهم على العواصم الغربية وبإرسال «المتطوعين» أي القوات المسلحة ـ إلى الشرق الأوسط ونسف خط أنابيب النفط العراقي الذي يمر بسورية واهتز الجنيه الإسترليني إلى حد جعل الحكومة البريطانية توشك أن تخفض قيمته واستقال وزيران بريطانيان واستشاط البريطانيون والفرنسيون والإسرائيليون غضباً من موقف الولايات المتحدة[1].

حرب السويس وأثرها على المنطقة العربية:

لقد كانت الحرب عام ١٩٥٦ حرباً خاسرة بالنسبة لمصر إذ دحرتها القوات الإسرائيلية في سيناء كما أن القوات المصرية انسحبت من سيناء بشكل سريع خوف التطويق وعليه فإنه لم يحدث مواجهة حقيقية تذكر بين القوات المصرية والقوات اليهودية وهذا ما صرح به عبد الناصر «لم تكن هناك إلا معركة حقيقية واحدة هي معركة أبو عجيلة وكان القصد منها تغطية عملية الإنسحاب كلها»[2] لقد كان المفروض أن تهب سورية والأردن لنجدة مصر حسب إتفاقيات الدفاع المشترك إلا أن القيادة المصرية منعت ذلك «وما إن تقدمت القوات الإسرائيلية في سيناء يوم التاسع والعشرين من تشرين الأول ـ أكتوبر ـ حتى تأهبت القوات السورية للدخول في فجر اليوم التالي غير أن القائد العام المصري اللواء عبد الحكيم عامر أمرها بالتوقف واجتمعت الوزارة السورية لكي تناقش هذه التعليمات التي وجدت أنها تنطوي على بعض الغرابة حتى أنها أبرقت بأن كل شيء جاهز للبدء بهجوم كبير... وفي اليوم التالي علم السوريون بخبر الإنسحاب المصري بسبب التدخل الأنجلو ـ فرنسي فلو أن القوات السورية والأردنية دخلتا إسرائيل كما كان متفقاً عليه من قبل لكانت هي القوات الوحيدة التي تحارب اليهود»[3].

---

(١) يوميات إيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٧٩ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٥.

(٢) عبد الله امام ـ حكايات عن عبد الناصر ص ١٣٣ الوطن العربي بلا تاريخ..

(٣) باتريك سيل ـ الصراع على سورية ترجمة سمير عبده محمود فلاحة دار الأنوار بيروت ١٩٦٨ م.

ومع ذلك فقد كان الرد العربي على العدوان مستكيناً رغم وحدة القيادات العسكريـة وتلت حرب ١٩٤٨ حرب العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ وكانت الظروف قد تغيرت آنذاك عما كانت عليه عام ١٩٤٨ وتوفرت عوامل جديدة لدى بعض الحكومات العربية وفي وعي الجماهير التي لا تزال الهزيمة الأولى تؤثر فيها وتدفعها في سبيل محاولة تحرير فلسطين المحتلة وكان من نتيجة ذلك أن نشأت عدة قيادات مشتركة كانت مصر محورها ومقرها وحينما بدأ العدوان بهجوم إسرائيلي على قطاع غزة وسيناء دافع الجيش المصري ثم واجه العدوان الفرنسي الإنجليزي وحده بالرغم من أن حرب ١٩٥٦ م كانت ذات أبعاد ومضاعفات دولية فإن التعاون العسكري العربي وقف عاجزاً عن مواجهة المعركة ولم يستطع التحرك بشكل كاف لكي يضرب مصالح الإستعمار الفرنسي والإنجليزي في الوطن العربي ضربة قاصمة تردعه عن عدوانه. . . وهناك ملاحظة تسترعي الإنتباه، وهي أن الإمبريالية والصهيونية كانتا وما تزالان حينما تخططان لنفوذهما ووجودهما في الوطن العربي فإنهما تضعان تلك الخطط على أساس تفرق العرب وعدم وجود وحدة عسكرية أو سياسية بين دولهم توحد الجيوش من حيث التخطيط والقيادة في العمليات الحربية ولهذا فإن تمزق العرب يبقى هدفاً استراتيجياً دائماً تتجه إليه وتتمحور حوله جميع الخطط التي تنظمها والجهود التي تبذلها الإمبريالية والصهيونية في الوطن العربي في جميع المجالات السياسيـة والإقتصادية والفكرية والدعائية والعسكرية.

لقد نجحت الصهيونية والإمبريالية في إقامة إسرائيل وفي حياتها واستمرارها ودفعها إلى العدوان لتوافر عدة أسباب يأتي في مقدمتها سبب رئيس هو فقدان الوحدة العسكرية العربية. لقد وفر هذا السبب لإسرائيل حريـة الإعتداء والتوسع وحرية العمل وراء حاجز من الأمن الإستراتيجي ناجم عن:

١ ــ تأكدها من انعدام التفاهم العربي ومن عدم وجود خطط استراتيجية وعمليات عسكرية عربية موحدة.

٢ ــ ثقتها بانعدام إرادة المجابهة العسكرية لدى القيادات العربية وشعورها بضعف هذه القيادات نتيجة تفرقها واختلافها فيما بينها.

٣ ــ وجود هامش حيطة زماني كاف لديها قبل قيام العرب بأي عمل سياسي أو عسكري موحد نظراً لما يسبقه من اجتماعات وتحضيرات ولجان زيارات ومشاورات ومجادلات علنية في الصحف والإذاعات وخطب المسؤولين[١].

نتائج الحرب...

هدد الإتحاد السوفياتي بالتدخل فربح نفوذاً كبيراً في المنطقة وكذلك سعت الولايات المتحدة لدى الدول المعتدية بوقف الحرب فكان لها نفوذ في مصر... «وقد حصلت اسرائيل على قرار من مجلس الأمن بوضع مراقبين دوليين في شرم الشيخ تأميناً للملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة وكذلك على طول خطوط الهدنة داخل الأراضي المصرية»[٢].

لقد كان الرابح الوحيد في هذه الحرب دولة العصابات اليهودية أما مصر فقد خسرت المعركة ولكنها حولت هزيمتها العسكرية الى نصر سياسي ظلت تذيعه وسائل الاعلام الى أن اقتنع الناس بالنصر على الدول الثلاث ـ أما الناقدون فقد تكلموا عن خطأ الاسلوب الذي اتبعه جمال عبد الناصر في تأميم قناة السويس «فعندما أممت مصر قناة السويس كانت الدول العربية غير متفقة على هذه العملية من حيث الطريقة التي اتبعت فيها ومن حيث الهدف الذي أرادت مصر تحقيقه بواسطتها وقد شاءت الظروف أن تحتاج مصر الى مؤازرة الدول العربية وتأييدها في هذه الأزمة العاصفة التي أقدمت على افتعالها وحدها وبدون استشارة أي من الدول العربية... والظاهر أن حكومة مصر الديكتاتورية

---

(١) د. هيثم الكيلاني ـ الجانب العسكري في النضال من أجل الوحدة العربي ص ١٧٨ ـ ١٨٠ دار الطليعة بيروت ١٩٧٣ م.

(٢) د. أحمد عزت عبد الكريم ـ دراسات في تاريخ العرب الحديث ص ٤٧٩ دار النهضة بيروت ١٩٧٠م.

شعرت بضرورة تقوية مركزها أكثر من أي شعور بالنفع المادي الذي قد تحققه بعملية التأميم.. ولا ننسى شعور التحدي الذي كان يلازمها بعد فشلها في الحصول على ما كانت تحتاجه من مبالغ تقدر بمئات الملايين من الدولارات لصرفها على إنشاء السد العالي والدول العربية أصبحت بحكم الظروف التي اختارتها حكومة القاهرة ضحية لنزوة أرادت مصر أن تثبت بها قدرتها على تحدي الغرب مهما كانت نتيجة ذلك»[1].

من هذا القول يبدو أن حكومة مصر كانت في موقف داخلي صعب فأرادت أن توجه غضبة الشعب في الداخل الى افتعال أزمة قناة السويس فكان إعلان تأميم القناة الذي يحتم المواجهة مع دول الغرب ثم تتدخل أمريكا بواسطة الأمم المتحدة لحل القضية حلاً سياسياً توحي بإخفاق الدول المعتدية... لقد خفي على الشعب العربي أن إسرائيل تمتعت نتيجة هذه الحرب بالمرور بحرية في مضائق تيران ووضع البوليس الدولي في الأراضي المصرية الذي منع كل عمل للفدائيين حتى عام ١٩٦٧م عندما انكشف الأمر للشعب على حقيقته.

يقول توفيق السويدي مظهراً سبب تأميم القناة «لقد فهمت ممن كان على اتصال بالزعيم المصري أنه كان يضمر منذ زمن بعيد أثر نجاح ثورة يوليو - تموز - ١٩٥٢م تأميم قناة السويس لا لمقصد اقتصادي بحت كما ظهر به عند التأميم بل لإتيان عمل بطولي يثبت به قوته وتحديه لدول الغرب وبالاخص بريطانيا... أما الأضرار التي لحقت بمصر من جراء الحرب فكثيرة، بقي على مصر لكي تمتلك القناة دون أن تدفع أي تعويض إحدى عشرة سنة - فلو قدرت مصاريف الحرب وإصلاح القناة بعد الحرب لفاقت كلفتها هذا التعجيل في التأميم ولكان الأجدى في هذه الحالة الإنتظار لاستلامها دون خسائر.

لقد تركت مصر للعدو الإسرائيلي مقداراً كبيراً من الأسلحة والمعدات

---

(١) توفيق السويدي - مذكراتي - ص ٥٤٣ نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية دار الكاتب العربي ١٩٦٩.

وعدداً لا يستهان به من الأسرى في سيناء كما صرفت مبالغ جسيمة للدفاع عن نفسها في نفس القناة وبورسعيد.

. . أما الأضرار السياسية العامة التي لحقت بمصر والبلاد العربية بسبب تحرر إسرائيل من القيود التي كانت تعرقل ملاحتها في خليج العقبة وفي شرم الشيخ والجزر الكائنة على مدخل الخليج والتي كان المصريون يمنعون ـ بواسطتها أي دخول للسفن الاسرائيلية ورسوها في إيلات»[1].

وبعد انسحاب المعتدين أرادت أمريكا أن تحقق مكاسب في المنطقة فخططت لذلك «بتقديم الفنيين في إصلاح الأضرار التي تعرضت لها مصر في الأحداث الأخيرة، بل يمكننا كذلك أن نقدم لها قرضاً اقتصادياً للمساعدة في التغلب على هذه الآثار، أما في إسرائيل فيمكننا تجديد الإتفاق (مشروع إيريك جونستون)ونقدم القرض الإقتصادي الذي يريده الاسرائيليون بقيمة ٧٥ خمسة وسبعين مليون دولار. . . بل قد يمكننا كذلك أن نترجم التصريح الثلاثي الصادر في آيار ١٩٥٠ الى معاهدة ثنائية نعقدها مع كل دولة من دول المنطقة ونستطيع الدخول في اتفاق مع اسرائيل بشأن السلاح خصوصاً بشأن الصيانة والتدريب ـ على نفس الأسس التي نعقد فيها اتفاقا بهذا الصدد مع مصر ونستطيع دراسة السبل الأخرى لمساعدة العراق والأردن ـ والمملكة العربية السعودية ولبنان ونتبين الوسائل والسبل الكفيلة بتقوية صلاتنا الاقتصادية والودية مع كل من هذه الدول إما على أساس ثنائي أو جماعي»[2].

وقد نفذت أمريكا الى هذه الدول فأصبحت معها العلاقات وطيدة على الرغم من ادعاء الأنظمة العربية الثورية عداءها وكراهيتها لأنها تمد اسرائيل بأسباب العدوان والتحدي. والدول الثورية التي تملأ الدنيا صياحاً حول استرداد فلسطين هي أولى من غيرها لتحقيق ما تدعيه من نصرة لفلسطين لكي

---

(١) السابق ص ٥٤٨.

(٢) يوميات أيزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٨١ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٧. ص ٨.

تتخذ من الولايات المتحدة موقف الحزم والمقاطعة التامة لكنها كانت تنادي بالمقاطعة وتشتم عملاء الامبريالية وهي تمد يدها وتتعامل معها «ويجب أن نقول للحقيقة والتاريخ لا . . لا . . لم يعاملوا أمريكا بما يجب أن يعاملوها بل كانوا أصدقاء لها من وراء حجاب أي ـ أن معظمهم كان يشتمها في العلن ويتعامل معها في الخفاء . . .

وكانت أمريكا ترضى بشتيمتها العلنية أمام الجماهير العربية وتروض نفسها على قبولها والتغاضي عنها إكراماً لمشروعاتها الأمريكية التي تسير سيرها الطبيعي في معظم البلاد العربية الثورية.

كانت أمريكا تعرف أن سياستها الاسرائيلية ليست مقبولة عند الشعوب العربية ولهذا كانت تشتري سكوت معظم الحكام الثوريين العرب بالقروض والمساعدات والقمح والأغذية وفائض التموين. . ويكفي للتدليل على هذا الواقع أن نذكر بأن بلداً عربياً ثورياً واحداً (وهو مصر) قد حصل على قروض أمريكية لغاية عام ١٩٦٣م فقط بما يعادل ٢٤٤٣ مليون دولار»[1].

تسجيل الشعر لهذه الأحداث:

ذكرنا سابقاً نماذج من الشعر الإسلامي الذي قيل في نكبة فلسطين وسنذكر الآن الشعر الذي قيل في أعقاب العدوان الثلاثي أو في الأوضاع التي سبقت ذلك بقليل والتي تتعلق بأحداث تلك الفترة لنلاحظ وظيفة الشعر الاسلامي في رصد تلك الاحداث ونستقرىء من خلالها ما عمله الشعراء المسلمون في تلك الفترة، وهل استطاعوا رصد الأحداث بوعي إسلامي أم أنهم كانوا بعيدين عنها ومشغولين بتوافه الأمور ومنساقين مع التيار دون بروز موقف محدد لهم. . .؟

إذا ما نظرنا نظرة فاحصة لشعر تلك الفترة بشكل عام فإننا نلاحظ تغييراً في مضمون الشعر إذا ما قيس بالشعر السابق، فقد ركز الشعراء على شد الهمم

(١) بشير العوف ـ لعبة السوفيات بمصر وخروجهم منها ص ٤٩ بيروت ١٩٧٣م.

لاسترجاع الأرض وشددوا هجومهم على المقصرين والداعين الى الاحلاف الاستعمارية وطالبوا بإنقاذ القدس وتخليص شعب فلسطين من وطأة حكم اليهود الذين طغوا وبغوا. كما ذكر الشعراء كثرة السجون وما يلاقيه السجناء من اضطهاد وتعذيب تقشعر له الأبدان ولقد كثر هذا النوع من الشعر حتى أصبح سمة هذه الفترة ولو تتبعنا مختلف العصور الاسلامية السالفة لما وجدنا شعراً يذكر السجون وأهوالها أكثر من هذه الفترة ـ لقد سجن الحطيئة بحق لكنه ما ذكر تعذيباً وسُجن عدد من الشعراء الزنادقة وما ذكروا ما لا يطاق من تعذيب وسجن أبو فراس الحمداني يوم أسره الروم فذكر ما لاقاه من أعدائه وكان أقسى ما شكا منه حين أرسل قصيدة لسيف الدولة يستعطفه بها ليخلصه من الأسر فقال:

يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدلها

أما شعراء فترة العدوان الثلاثي والدعاة المخلصون فقد لاقوا في السجون كل ضروب الأذى والهوان والقتل العشوائي.. تساوى في ذلك من وقع في سجون اسرائيل أو في سجون بعض البلدان العربية... فقد أصبحت أخبار تعذيبهم روايات تحكى وأشعار تروى. لقد كان أمل الأمة بعد أن تتحرر البلاد العربية من ربقة الاستعمار الحديث أن يتنسم سكانها الحرية الحقة، فإذا بالحرية تقتل لكيلا تعود وتفسر عند الحكام الديكتاتوريين بحرية الحاكم المطلقة في مصير شعبه وبلده.. فازداد عدد السجون وكثرت المعتقلات والصراخ والأنين والقتل وسفك الدماء، وكثر بالتالي شعر السجون.

لقد غاب عن كثير من الشعراء بما فيهم بعض الشعراء الاسلاميين نتائج العدوان الثلاثي على مصر، لأنهم استقوا معلوماتهم من إذاعة صوت العرب ومن سار في ركابها... فَجَعَلتْ من انسحاب المعتدين نصراً مبيناً، فأشادت بالحاكم وجهاده وكفاحه وجعلت منه بطلاً أسطورياً قهر ببطولته وصموده ثلاث دول تفوقه عداً وعتاداً دون أن يعرف الشعب العربي أن الحرب كانت خاسرة وأن اليهود وحدهم قد تقدموا فاحتلوا سيناء بكاملها لقد «استطاعت القوات الإسرائيلية في الفترة بين ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ و٢ تشرين الثاني أن تجهز على

القوات المصرية الموجودة في شبه جزيرة سيناء وكان في استطاعتها أن تسير مباشرة إلى القاهرة وأن تستولي على مصر كلها لولا أنها توقفت بموجب ترتيباتها التي عقدتها مع بريطانيا وفرنسا ووجهت الدولتان الغربيتان إنذاراً إلى الإسرائيليين والمصريين في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ولما تجاهل المصريون هذا الإنذار كما كان متوقعاً بدأت بريطانيا وفرنسا إرسال قواتها إلى منطقة القناة فقصفت مدينة بورسعيد واحتلتها»[1].

ولسنا بهذا ننكر جهاد ودفاع المخلصين فقد شهدت بورسعيد حرباً حقيقية صمد فيها الأبطال المخلصون كما حصل عام ١٩٤٨م عندما صمد المقاتلون المخلصون، ولكن نتائج الحرب لم تكن كما ذكرها الاعلام العربي وعليه فلا ينبغي أن تقام أقواس نصر زائفة فضلاً عن التماثيل المحرمة لتخليد ذكر النصر الكبير. . .

لقد أجمع المراقبون الحياديون على هزيمة مصر العسكرية وليس في هذا ما يدعو الى خفض الرأس طالما أننا قاتلنا ولم نلق السلاح وطالما أننا صمدنا ولم نعط الدنية. . . وعليه فلا خوف أن نقول لشعبنا الحقيقة ليأخذ أهبته وحذره ويستعد أكثر فأكثر. أما أن نقول إننا هزمنا ثلاثَ دول فيهما دولتان عظيمتان فهذا معناه أن يداخلنا الغرور وأن نخلد للدنيا ونقول يكفي ثلث ما قدمنا عام ستة وخمسين لنلقي باسرائيل في البحر وكانت نتيجته هزيمة عام سبعة وستين.

لقد حاولت كل من أمريكا وروسيا تحقيق مكاسب سياسية لعبد الناصر فعملتا على استصدار قرار في الأمم المتحدة يقضي بانسحاب المعتدين وحلت محلهم قوات الأمم المتحدة أقول تحقيق مكاسب سياسية لعبد الناصر وذلك من أجل إبرازه كزعيم قوي في منطقة الشرق الأوسط ليكون لهما يد عليه. . وإلا كيف أجبرتا بهذه السرعة ثلاث دول على الانسحاب وهما اليوم عاجزتان عن ارجاع اسرائيل الى حدود ما قبل حرب حزيران ـ يونيو ـ وهو ليس عجزاً كما يبدو ولكنه إقرار وموافقة لفعل الصهاينة.

(١) يوميات ايزنهاور ـ جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٧٩ ص ٨ تاريخ ١٩٨١/٤/٢٥.

ومع ذلك فلم يكن انسحاب المعتدين دون شروط. لقد كان من ضمن شروطه فتح مضائق تيران وشرم الشيخ أمام الملاحة الاسرائيلية ووضع مراقبين دوليين فوق الأراضي المصرية على حدود مصر مع اسرائيل وفي قطاع غزة لمنع الفدائيين من التسلل الى فلسطين وترويع العدو... وكان هذا نصراً كبيراً مرحلياً لاسرائيل. واذا قيل لنا لماذا...؟ بسطنا ما كان يجري قبل العدوان من عمليات للفدائيين «في ليلة ٢٩ آب ـ أغسطس سنة ١٩٥٥م كانت طلائع شعبنا الحي... تدفن اليأس وتودع التواكل من بين الجموع الحائرة... وفي نفس الوقت تزرع الموت بين جنود العدو وتعيد للحشود اليهودية المخدوعة القدرة على التفكير في المستقبل الرهيب الذي ينتظر خرافة الدولة اليهودية في فلسطين.

وانقلب الكلام من العرب الى ألغام... وتحول الخطاب الى هدير الرشاش. واستبدل الهتاف والصراخ بالقنابل... وتحول الظلام بين العرب الى نور أشد وضوحاً من نور الشمس في رابعة النهار... وقطعنا خطوات في طريق العودة الى الربوع... الى الأرض الخضراء قبل منتصف ليلة ١٩٥٥/٧/٢٩م شنت مفرزة فدائية هجوماً صاعقاً على سيارة نقل عسكرية يهودية قرب قرية بيت جبرين... وفي لحظات قتل جميع ركاب السيارة وتم الاستيلاء على أسلحتهم وحرق السيارة... وفي نفس الليلة قامت مفرزة ثانية بوضع لغم أرضي قرب مستعمرة تل رعيم القريبة من حدود قطاع غزة وراحت تطلق النار على المستعمرة... فخرجت سيارة عسكرية يهودية لتطويق الفدائيين فانفجر اللغم وتحطمت السيارة واعترف العدو بمقتل ضابط وثلاث جنود... وفي نفس الليلة أيضاً هاجمت مفرزة ثالثة من الفدائيين دورية عسكرية كانت تسير بالسيارات على طريق الفالوجة ـ مستعمرة ديبو ـ وقتل عدد من جنود العدو... هاجمت مفرزة رابعة مستعمرة آرث وقتلت عدداً كبيراً من السكان.. توغلت مفرزة خامسة أكثر من أربعين ميلاً في قلب الأرض المحتلة وقامت بهجوم جرى في رابعة النهار يوم ١٩٥٥/٨/٣١م على سيارة عسكرية يهودية قرب مستعمرة رجوت قرب تل أبيب. وكانت مفاجأة مذهلة للضباط اليهود وجنوده أفقدتهم القدرة على استعمال السلاح فاستسلموا للموت.. قامت عدة مفارز يوم الأول من أيلول ـ

سبتمبر ـ ١٩٥٥م بعدة هجمات في آن واحد... مفرزة دمرت سيارة عسكرية... مفرزة ثانية نسفت محطة توريد المياه لمستعمرة «يدمردخاي» وثالثة زرعت الطرقات بالألغام... وفي اليوم الثاني خارت أعصاب صحافة الصهاينة ونشرت جريدة «جيروزاليم بوست» يوم ١٩٥٥/٩/٢م مقالاً خطيراً اعترفت فيه بخطر العمليات الفدائية على الوجود الصهيوني كله في فلسطين وقدمت العصابة الصهيونية شكوى الى مجلس الأمن تستجدي هيئة الأمم المتحدة حمايتها من الهجوم الفدائي الفلسطيني... ويوم ١٩٥٥/٩/٨م عقد مجلس الأمن الدولي جلسة خاصة لبحث شكوى اسرائيل ووقف مندوبها يذرف الدموع ويقول بالحرف الواحد: «إن حوادث العنف التي وقعت أخيراً بلغت الذروة وإن إسرائيل لم تذق طعم الأمن والسلام طيلة اسبوع كامل».

ويوم ١٩٥٥/٩/١١م طالبت إسرائيل الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل مع مصر لتسريح الفدائيين ومما جاء في الطلب الصهيوني:

أولاً : الفدائيون لا يهتمون بسلامة أو حماية أرواحهم أثناء هجومهم على إسرائيل.

ثانياً : لا يعرف أحد من حكام اليهود أين ستكون الضربة الثانية[1].

«ولما استمر العمل الفدائي وازدادت شدته فكرت اسرائيل بضربة انتقامية فوجهت في ١٩٥٦/٤/٥م نيران مدافعها على مستشفى الشفاء في غزة... مدة خمس ساعات متواصلة قتل خلالها أكثر من مائة مريض وفي المساء وضعت خطة الهجوم الشامل على أوكار العدو، وبدأ الهجوم الثأري العنيف قبل منتصف ليلة الخامس من نيسان.. وعاشت اسرائيل أحلك لياليها... في ليلة ١٩٥٦/٤/٦م دخلت الى اسرائيل أكبر مجموعة فدائية من الذين تدربوا في قطاع غزة، أرضنا المحتلة وعدد أفرادها ٣٠٠ ثلاثمائة فدائي وتوغلت عشرات

(١) معين أحمد محمود ـ فتح والثورة الفلسطينية عن صفحات ٣٨, ٣٩و٤٠: دار الكاتب العربي ـ بيروت.

الأميال داخل الأرض المغتصبة وقامت كل مفرزة بدورها على أحسن ما يمكن من الشجاعة وإصابة الأهداف.

١ ـ بلغ عدد الغارات في ليلة ١٩٥٦/٤/٦م حسب اعتراف راديو اسرائيل تسع غارات.

٢ ـ بلغ عدد الغارات ليلة ١٩٥٦/٨/٧م ست عشرة غارة.

٣ ـ بلغ عدد الغارات ليلة ١٩٥٦/٩/٨ م أربع عشرة غارة[١].

... فهذه العمليات المشرفة التي رد فيه المجاهدون عدوان قصف مستشفى غزة مباشرة عند حلول المساء والتي جعلت اسرائيل تشتكي للأمم المتحدة والولايات المتحدة مما يفعله بها الفدائيون... هذه العمليات أوقفت بعد القبول بانتشار قوات الأمم المتحدة على حدود مصر وقطاع غزة ولم يعلم بذلك الإجراء المهين إلا الفدائيون والسكان الذين شهدوا تلك العمليات ثم افتقدوها فاحتجوا وصرخوا ليعلم بذلك الآخرون من شعب الوطن العربي... لكن صوتهم خفت وضاع تحت وطأة القهر والشدة لأن ذلك الصوت كان سيؤثر على احتفالات النصر ويكشف زيفها وخداعها. وفي جولة لكاتبة أجنبية مرت بقطاع غزة وخلال الحديث عن الحرب «أعرب الشبان منهم عن اعتقادهم بأن عبد الناصر يستعد لتحرير فلسطين وأبدى بعض الكهول تحفظاً قائلين: إنهم يخشون وقوع العرب في الخطأ الذي وقعوا فيه عام ١٩٤٨م وهنا ارتفع صوت شاب فقد إحدى ساقيه عام ١٩٥٥م خلال قصف الاسرائيليين مدينة غزة رداً على إحدى الإغارات الفدائية...: أما أنا فلست أتوقع من عبد الناصر القيام بأية خطوة... وإلا كيف تفسرون موافقته على وجود ذوي الخوذ الزرقاء الذين يمنعوننا من اجتياز الحدود ويحمون اسرائيل المعتدية... وقال الشاب: نحن

---

(١) السابق ص ٤١, ٤٢, ٤٣.

نريد سلاحاً لأننا مستعدون للقتال لكن كلما تظاهرنا داخل المخيم اتهمونا بالشغب وأرسلوا البعض منا الى السجن»[1].

لقد اشتط كثير من الشعراء في المديح مسايرين ما تردده أجهزة الاعلام. . . وآخرون كانوا بين بين وقلة نطقت بالحقيقة: ـ

قال الشاعر عدنان النحوي:

[2]

أخي في الجزائرِ يا ابنَ البطو ... لةِ أو في القنالِ وفي بورسعيدْ
أخي في فلسطينَ كم أشرقتْ ... بكَ الداجياتُ فنعمَ الشهيد
هو الدَّهرُ مرَّ بأحداثِه ... تُلَقِّنهُ أنتَ معنى الخلودْ
تروي الثرى بطهورِ الدماءِ ... وتبعثُ في الأفقِ فجراً جديد
أخي لا تبالي إذا ما افترقنا ... فبيني وبينكَ عهد وثيق
تشدُّ الضحايا عُراهُ وثكلى ... وطفلٌ مع الدَّمِ ملقىً غريق
فقل لِبْريطانيا وأحلافِها ... وَمَنْ ظَنَّنَا سلعةً أو رقيق
هنا أمةٌ دفعَتْها الحياةُ ... وخط لها اللهُ هذا الطريق

وقال الشاعر هاشم الرفاعي[3] يصف معارك بورسعيد:

بمِدْفَعِهِ المغرورِ صالَ واعتدى ... وراح علينا بالقذائف واغتدى
وأغرى بنا عند الحدودِ كلابَهُ ... وأرسل للعدوان يضرب موعدا
يحاولُ بالتهديد اذلالَ أمةٍ ... والقاء شعبٍ في القيود وفي الردى
تَخَاذُلُنَا ولى مع الأمس لم نعدْ ... عبيداً وكم ذا يصنعُ الخوفُ سيدا
سلو أيدنَ الموتورَ ماذا أثاره ... علينا فأرغى بالحديد وأزبدا

---

(١) أنافرنكوس ـ الفلسطينيون ص ٣٥ مكتبة انطوان ـ دار النهار بيروت ١٩٦٩.

(٢) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ص ٩٨ المكتب الاسلامي ١٩٧٦م.

(٣) ولد الشاعر هاشم محمد جامع الرفاعي في بلدة انشاص بمحافظة الشرقية بمصر عام ١٩٣٥م التحق بدار العلوم وقبل أن يكمل دراسته مات شهيداً بطعنة حمقاء عام ١٩٥٩م.

لئن ساءه أنْ يأخُذَ الحقَّ أهلُهُ فمنطقُ الاستعمار ما زال مُقْعَدا
قناتي، وفي أرضي، وجدي لحفرها أكبَّ على الصحراء بالفأس مجهدا
وقاومهم شعبٌ إذا سيم خطة من الذلِّ لا يُلقي الى الذُّلِّ مقودا
مؤامرة كانت أُعدت فأُحكمت ولكنَّها ضاعت على بابنا سدى
وما قدَّروا إقدامنا حق قدره فأحبط ما قد دبروه وأفسدا
كتائب إن طالَعْتها يوم زحفها تروعك من إيمانها النارُ والمدى
وفي الساحل المخضوب قامتْ مدينةٌ تسطر أمجاداً وترفع سؤددا
فلم تخشَ نسرَ الجو يرسلُ فوقها شُواظاً بها شبَّ الصرام وأوقدا
ولم ترهب الأسطول والحتفُ جائمٌ على ظهرِهِ يسعى اليها مهددا
فكم هابطٍ في كفِّه الموتُ مذ هوى تَلَقَّفَهُ رامٍ له وتصيدا
وكانت لهم (دنكرك) أخرى ولم تكنْ كباريس للألمان صيداً معبدا
ألا إننا نهوى السلامَ فلم نجدْ مجالاً لكي يبقى لنا السيف مغمدا[1]

وقال أيضاً في قصيدة (بور سعيد):

كانَ الخريفُ يُظلُّ أحلامَ الرياضِ النائمة[2]
والبحر يدركُ أنَّ أحداثاً ستجري حاسمة
وَتحرَّكَ الاسطولُ يزهو بالحشودِ الآثمة
بالعارِ عارِ المعتدين وبالحُقُودِ العارمة
وتصفِّقُ الآمالُ في صدرِ الجموعِ القادمة
النصرُ والفتح المبينُ وأمنياتٌ حالمة
وغرورها المجنونُ يحدوها سترجع سالمة
للرقصِ عند السينِ والتاميزِ كانت واهمة

(١) ديوان هاشم الرفاعي ـ تحقيق محمد حسن بريغش ـ ص ٣٣٣ مكتبة الحرمين ـ ١٩٨٠م.
(٢) السابق ص ٣٨٥.

فالشَّط ما وجدوه مصطافا جميلاً، كانَ جمراً
والشعب لم يركع كما عهدُوهُ بل وجدوه حرا
فليرسلوا بجنودهم وَعَتادِهم جوَّاً وبحراً
إنِّي هنا في شاطىء البارود قد أعددت قبراً

وقال الشاعر محمد العدناني مظهراً الهزيمة الساحقة الماحقة التي حلت بالدولتين بريطانيا وفرنسا وببطولة جمال وصموده...

وبدتْ لي إنجلترا وفرنسا كالفقاقيعِ في خضم بلادي
مزَّقتها انتفاضةٌ من جمالٍ جَعَلَتْهَا أُسطورةَ الأزبادِ
لم تكنْ مصرُ بالحديدِ تَحَدَّى من لدى الدولتين من أجنادِ
وتحيط القناةَ بالنَّارِ حتى كَفَّتَا رهبةً عن الارعاد
فإذا ذلك الدوي هباءٌ وإذا جمرُ غيظه من رمادِ[1]

ثم أتبعها بقصيدة هدد فيها يهود وتوعدهم بالسحق.. ولكن..؟ أمنيات.. فقد اغتر عن غير دراسة واقعية بتصريحات بعض الزعماء للشارع والمظاهرات المحتشدة فيه... فقال:

فما كفَّ اليهودُ عن اعتداءٍ له اتخذوا من الغدرِ القرابا
سنفجؤهم غداً بليوثِ حربٍ على الأقدارِ أشرعت الحربا
ونقتحم النجودَ مع الصياصي ونكتسحُ الربى أسداً غضابا
ونمشي تحت بند الثأر حتى يَخُطَّ من السنى عنا كتابسا
ونجعل من مساكنهم رموساً وننشر في ربوعهم التبايا
فليسوا عندنا إلا نعاجاً بماء عروقها نسقي الترابا
فصبراً يا بني صهيونَ صبراً على حرب ستمحَقُكم شبابا[2]

(١) الشاعر محمد العدناني ـ فجر العروبة ـ ص ٨ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت.
(٢) محمد العدناني ـ الوثوب ـ ص ١٩٥ المكتبة العصرية صيدا بيروت.

أما الذي اغتر وانخدع أكثر بصور البطولات الملونة فهو الشاعر مصطفى حمام[1] فقال:

ثبوا عليهم وصولوا قبل أن يثبوا ... لا تُغْمِدوا السيفَ بعد اليومِ يا عربُ
ما زال سيفُ صلاحِ الدينِ في يدكمْ ... لم يَعْلُهُ صدأٌ لم يَعْرُهُ عَطَبُ
لقد ثوى في ترابِ الدهر منتظراً ... هيجاءَ بلقاءَ فيها الجحفلُ اللجبُ
هيجاءَ يُمحَقُ فيها البغيُ محتشداً ... ما تنمحي عُصَبٌ إلا أتَتْ عُصبُ
حتى استقرَّ على كفٍ مباركة ... عروقُها الحقُ والرجحانُ والقلبُ
كفٌ نمتْ في (بني مُرٍّ) فصاحبها ... مُرٌّ وقد ذاقَهُ الأعداءُ بل شربوا
كف إذا صافحتْ أعطتْ مُصَافِحَهَا ... بِرّاً وقربى وعهداً ليس ينقضبُ
وفي بني السينِ والتاميزِ قاطبةً ... اللؤمُ والبغي والبهتان والكذبُ
وإن بحثتَ لإسرائيلَ عن حسب ... فما لها دون ما أحصيتَهُ حَسَبُ
إنّا ابْتُلينا بقومٍ لا حياءَ لهم ... إلا إذا نهبوا في الأرض أو غصبوا
سل بورسعيد تحدثْ كيف أَدَّبَهم ... شعبٌ صناعَتُهُ التأديبُ والأدبُ[2]

وقد قصد (ببني مر) جمال عبد الناصر الذي يرجع إلى هذه القبيلة لكن الشاعر في السنة الثانية يكتب قصيدة ذكرى العدوان بعد عام يقصرها على ذم اليهود والمستعمرين دون مدح «الزعيم». ولعله بهذا قد تبين شيئاً من الحقيقة التي غابت عنه في القصيدة السابقة..

فقال:

ما زال باطنهم غدراً وعدواناً ... ولم يزل دأبنا صبراً وإيمانا
خذلانهم لم يهذّبْ من شراستهم ... شيئاً ولم يزل الثعبان ثعبان
لا تطمعوا أن يكون الشوكُ في غده ... ورداً ولا أن يكون الذئب إنسانا

(١) ولد الشاعر في بلدة فارسكور بمحافظة الدقهلية بمصر عام ١٩٠٦ عمل في الصحف والمجلات ـ اشترك بندوات شعرية وأدبية توفي في الكويت عام ١٩٦٤م.
(٢) مصطفى همام ـ ديوان حمام ـ ص ٣٥ ـ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م.

لو استطاعوا أحالوا أرضكم حدثاً وصيروا ماء هذا النيل نيرانا[1]

. . وتأتي كلها على هذه الشاكلة تذكر العدوان وصمود بور سعيد.

وعلى قدر البعد عن مكان العدوان ومساحته وعلى قدر التلقي من الإذاعات فقد كان تيه الشعراء أكثر وأكبر. . . فهذا محمد علي السنوسي[2] يصور أموراً لم تحدث إلا في خيال الشاعر فقال:

أجل إنها الحربُ الصليبيةُ الكبرى وإن جعلوا حوض القناة لها سترا
ولم تكُ إسرائيلُ إلا ذريعةً قد اتخذوا منها لأهدافهم جسرا
فجنّد لها الأرواحَ والمالَ والقوى وجرد لها الإيمانَ والعزمَ والصبرا
رأوا في سماءِ الضادِ فجراً فراعهم فكيف بهم لو أبصروا الشمس والظهرا
تلفت «أنطوني» و«موليهُ» رهبةً وقد صَكَّتِ الآذانَ خِطبتُكَ البترا
أثرها على المستعمرين وشنّها لظىً تُشْعِلُ الأجواء والبرَ والبحرا
فقد أصلَتَتْ منك الكنانةُ صارماً وأطلقَ منْكَ النيلُ في جوه نسرا
وَهَبَّتْ أعاصيرُ العروبةِ والردى على الماردِ الجبار تَعْصُره عصرا
ورتلٍ من الأسطولِ تحميه قوةٌ من القاذفات النار تستهدف الثغرا
قذفنا به عرض المحيط وأشعلت سواعدنا فيه الذخائرَ والخمرا
وسربٍ من الفولاذ حتى كأنها سحاب يغطي الشمس والنجم والبدرا
صببنا عليها النارَ صبّاً فأجفلت تهاوىٰ ورحنا نحصد الشوك والكفرا
بيوم أقمناه على الثغر نشوةً ببور سعيد نصنعُ النور والفجرا[3]

---

(١) السابق ص ٣٧.

(٢) محمد علي السنوسي ولد بجازان عام ١٣٤٢ هـ عمل في الجمارك السعودية له عدة دواوين منها (القلائد) و (الأزاهير) وله كتاب شعراء الجنوب.

(٣) محمد علي السنوسي ـ القلائد ـ ص ١١٥ دار الكتاب العربي بمصر. .

يلاحظ من هذه القصيدة أن فيها خطاباً لزعيم مصر لكنه لم يصرح باسمه وهذا يبدو من (فجند لها الأرواح) و(أثرها على المستعمرين) و(فقد أصلتت منك الكنانة صارماً).

وإني أرى أنه كان في القصيدة وقت كتابتها ذكر لاسم عبد الناصر صراحة ولكنه أثناء طبع الديوان رفع هذا الإسم... حيث تبين الشاعر الحقيقة فقد كانت بلدته جازان ضحية عدوانه في أثناء حربه مع اليمن.. ولا بد أن الشاعر قد شاهد القتلى نتيجة هذا العدوان... فأين النصر عام ١٩٥٦ م وهذا الشاعر يبث خلجات نفسه ويصور واقع أمته وما تعانيه فلسطين من وطأة الإحتلال قال أحمد فرح عقيلان عام ١٩٥٨:

قالوا نسيتَ فقلتُ وأثكل العلا ... إني إذن لأَذَلُّ من وَطِيءَ الثرى
أنسى وقطعانُ الذئاب بموطني ... والفيلُ يَصْرُخُ أينَ آسادُ الشرى
أنسى وأقداسي يُدَنِّسُ طهرَها ... وكَرَامَةُ الإسلام فيها تُزدَرى
ومساجِدي عادت مجالسَ للطلا ... فيها الندامى يَقْرُفُونَ المنكرا
تبكي مآذِنُها على داعي الهدى ... ودمُ المؤذنِ لا يزال على الذرا
أنسى وحقلي نصبَ عيني ماثلاً ... واللصُّ يقطفُ سادراً متبخترا
أنسى دمَ الشهداءِ عطّر قدسنا ... لهفي عليه مقدساً ومعطرا
عارٌ على الأبطالِ كهفُ مشردٍ ... فطبيعةُ الدوراتِ تأبى الأجحرا
ما نفع عيشِك واللصوصُ تعيثُ في ... غالي حماكَ وأنتَ عن كثب ترى
احرص على الموت الشريف فإنه ... يَهدِي لطالبه الخلود الأكبرا
واربأ بسعيك أن يظل دعايةً ... يا ضيعةَ الأعمال إن تكُ مَظْهرا
شتان ما بين الحديدِ مزمجراً ... يوم الكريهةِ والحديثِ مثرثرا
وإذا جعلتَ اللهَ غايَتَكَ التي ... ترجو فأبشر أن تُعَزَّ وتنصرا[1]

(١) شعر أحمد فرح عقيلان ـ جرح الأباء ص ٨١ منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

علينا أن نأخذ العبرة:

لقد كان من المفروض أن تعطي هذه الحرب حكام البلاد العربية المتسلطين منهم والعسكريين درساً في محبة شعبهم وتمسكهم بالإسلام قولاً وعملاً لكنهم خرجوا منها مسعورين متنكرين لعقيدة أمتهم ومتحفزين لاستئصال شأفة كل مخلص يدعو إلى الإصلاح وقول الحق... فكانت السجون والمعتقلات وكانت المذابح الجماعية... وكان الإضطهاد وكاد الكذب على الأمة والتضليل في التوجيه.. والتقرب إلى السفهاء من الناس بدل ردعهم أو إبعادهم فساءت الأحوال واضطربت الموازين والأمور. ولم يغفل الشعراء والمسلمون الملتزمون عن تسجيل الكلمة الحقة وما يعانيه منه مجتمعهم من ضياع للحقوق ومن الحرمان ومن التنكيل والتشريد وصبغ ذلك كله بصباغ الوطنية والقومية وبأنه يصدر من الحاكم باسم الأمة أو باسم الشعب ـ والشعب المسكين هو الذي يكتوي بنار ما يصدر باسمه. لقد كان الحكام الجدد الثوريون يعدون الشعب بالحرية والقضاء على المستغلين والإقطاع فصدق الشعب زعمهم وحلم بتوزيع الثروة العادل، فإذا بالإنتظار ينقلب إلى مواعيد عرقوب وإذا بالمستغلين لبعض قوت الشعب السابقين يخلفهم مستغلون جشعون فلا يرضيهم إلا قوت الشعب كله لكي يكون ملك أيديهم وتحت سيطرة استغلالهم... وتحول الحكام العسكريون إلى أكبر طبقة رأسمالية تستأثر بأموال الأمة وتسرقها نهاراً جهاراً لتودعها في مصارف الدول الإمبريالية التي اتهموها سابقاً ووصفوها بالعميلة والإستعمارية... وأمام حكم الإرهاب وتوجيه الإعلام السيىء الذي قلب الحقائق وعكس المفاهيم صمت أكثر الشعب رعباً وفرقاً أو خداعاً وجهلاً وخنعوا ورضوا بهضم حقوقهم المشروعة، ولكنَّ فئة مؤمنة باعت نفسها لله وسخرت قدراتها لخدمة دينها وأمتها ووضعها على الصراط السوي ورفع ظلم الإنسان للإنسان ظلت تقاوم الظلم، وكانت هذه الفئة ممثلة في العلماء العاملين المصلحين من الكتاب والشعراء الملتزمين الذين نطقوا بالحق فبسطوا شرعة الإسلام وعدله في مقارنة مع جور الحكام المستبدين، أمام الملأ واستعملوا كلمة الهدى من نثر أو شعر فكان أن

تيقظ الناس والتفوا حول دعاة الإسلام وسارت بهم المسيرة رغم جور الحكام ورغم ظلام سجونهم وأعواد مشانقهم فإذا بالمسيرة المباركة في كل قطر تحث الخطى بثبات دون أن تبالي بما تفقد من شهداء لتصل إلى نهاية المطاف ـ بإذن الله ـ وعندها يعلم الشعب كل الشعب علم اليقين من هم الهداة المهتدون ومن هم دعاة الحرية والوحدة وتحرير فلسطين.

وسأبرز بعضاً من شعر أولئك الملتزمين لنتبين صدق الكلمة الطيبة ولنستوضح حقيقة عقد الخمسينيات من هذا القرن من خلال تصوير وأحاسيس أولئك الشعراء، وهذا الشعر له إلتصاق كبير بالقضية الفلسطينية فبعد النكبة لم تعد المشكلة قاصرة على فلسطين وحدها فكل أثر على الدول العربية أو الإسلامية من خير أو شر ينعكس على تلك القضية سلباً أو إيجاباً فالمنظور الضيق لم يعد كافياً لاستجلاء واقع فلسطين وأهلها فحسب بل لا بد من أن يتوسع ليشمل كافة الدول العربيّة والإسلامية فالتمزق والفرقة والضياع العقدي كل هذه عوامل تبعدنا عن التفكير بفلسطين وتجعلنا لا نهتم إلابأنفسناوحل مشكلا تنا لذلك هدف الإستعمار والصهيونية إلى خلق مشكلات لكل البلاد العربية والإسلامية تارة بسعيه المباشر وتارة أخرى بتسليط صنائعة لنبقى غارقين في همومنا بعيدين عن التفكير بفلسطين ومن خلال ذلك تجد إسرائيل وتسرع الخطا لتفاجىء العرب بقوة رهيبة عام ١٩٦٧ م قلبت كل الموازين....

لقد طرحت شعارات كثيرة من أجل إنقاذ فلسطين فمن قائل... إن الإشتراكية هي السبيل الوحيد إلى تحرير فلسطين وآخر يقول تحرير فلسطين من الجزيرة العربية وثالث يقول: الوحدة طريق تحرير فلسطين وطرحت منظمة التحرير الفلسطينية شعاراً «فلسطين طريق الوحدة» فماذا حل بهذه الشعارات الضيقة المحتوى...؟

إنها دارت في دوامة الضياع وأججت الصراعات التي أنهكت الأمة وأضعفتها وتركوا الأمثلة العملية الحية التي مرت بالأمة المسلمة أيام الإحتلال الصليبي وما فعله كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي عندما عملا

على توحيد دول المواجهة على أساس الإسلام وتحقيق العدالة للمواطنين وتصفية العملاء والخونة والإقليميين دون أن يعطيا العدو فرصة الراحة بل شاغلاه بالإغارة لإنهاكه إلى أن استجمع صلاح الدين جيشاً قوياً صدم به الأعداء صدمة عنيفة حررت بيت المقدس... والآن من واقع وجود القوى العالمية المعادية والمتربصة بالمسلمين لا بد من وجود وحدة إسلامية شاملة وفق نظم وأسس إسلامية لكيلا تفترق بعد ذلك الكلمة وحتى ينحصر الخلاف إن حصل في اتباع الأفضل لا في أصل الهدف وهذا لا يعني التوقف عن مجابهة العدو إلى أن تتحقق مثل هذه الوحدة فقد حدد الشارع الحكيم مسؤولية المسلمين الجهادية حيث جعل الجهاد فرض عين على المسلمين المعتدى على أرضهم ودينهم وعرضهم وفرض كفاية على من جاورهم... ثم جاورهم... وهكذا فإن قدر أهل فلسطين وبلدان الشام ومصر أن يتحملوا عبء الدفاع عن فلسطين وأن يشنوا الغارات إلى أن تكتمل عدة الجهاد من قوة ومن رباط الخيل بتعبئة كل المسلمين.. وعندها تبدأ معركة التحرير الشاملة.

شعراء الأرض المحتلة:

لقد انفرد اليهود في حكم فلسطين والسيطرة عليها بعد نكبة ١٩٤٨ م وضغطوا على من تبقى من عرب فلسطين وأذاقوهم العسف والإضطهاد فبرهنوا على عنصريتهم وحقدهم وقد ذكرنا هذا من قبل ونسجل هنا ما جاء على لسان شعراء الأرض المحتلة دون النظر إلى هويتهم والتزامهم صوراً من الإضطهاد قال عيسى اللوباني[1]:

أنَا سجينٌ في إطارٍ من ورق ملون لكنه كالحديد
والنار على عنقي يحرِمُني الطعام والشراب
حريتي معلقة

---

(١) من مواليد فلسطين قرية المحيدل قضاء الناصرة عمل مدرساً له ديوان أحلام طائر.

على حبال مشنقة
خيوطها. . كلام
من شفتي إنسان
لا شيء فيه يشبه الإنسان
يحرمني زيارة الجيران
والبحث عن أرغفة لأخوتي الصغار[1]

وقال توفيق زياد[2] ينذر اليهود ويذكر بعض جرائمهم:

أي أم أورثتكم ضفة الأردن
سيناء وهاتيك الجبال
إن من يسلب حقاً بالقتال
كيف يحمي حقه يوماً إذا الميزان مال. .
إننا للمرة الألف نقول. .
نحن لا نأكل لحم الآخرين
نحن لا نذبح أطفالاً ولا
نصرع ناساً آمنين
نحن لا ننهب بيتاً
أو جنى حقل
ولا نطفي عيون[3].

أما نجيب الكيلاني فيذكر أمه في عيدها عام ١٩٥٧ وهي تحت حكم اليهود:

---

(١) هارون هاشم رشيد ـ الشعر المقاتل في الأرض المحتلة ص ٢٢٤ منشورات المكتب التجاري بيروت.
(٢) شاعر من فلسطين المحتلة يساري النزعة من مواليد الناصرة.
(٣) السابق ص ١٩٦.

أراكِ اليــومَ يـا أمــاهُ في الأعيـادِ تبكينـا
فهـل جعلوا أغاني العيـدِ يـا أمـاه تـأبينـا
لقـد فاضتْ مشـاعرُنـا وما فـاضت مـآقينـا
أنـا في الأمس مـرآةٌ لشعب مــرغمٍ بـاك
يشق طـريقَـهُ المـأمـولَ فيمـا بين أحـلاك
يُضَمّخُ كأسه بالـدمعِ رهنَ خشـوعِ نساك
ويمضي دامي الخطواتِ في صحراءِ أشواك[1]

ثم يعيب على الأمة خضوعها وسيرها وراء المضللين الذين كانوا سبب نكبتها:

أمـةٌ تحمـلُ القيـودَ وتمضي لا تَمَـلُّ الإرغامَ والتنكيــلا
كل ما عنـدها رصيـدُ حنين تذرف الدمع في الخفاء طويلا
ومعـاييـرُ الهـزيمـةِ والنصــر لــديهـا تحــولت تحـويــلا
أمـةٌ تجـرعُ المهـانـة قسـراً لا تَمَـلُّ التهـديـد والتمثيـلا
قـد طواهـا تخاذلٌ وامتهـان ثم هبت تقدس التضليلا[2]
طال عهد الضبابِ في شاطئيها فـأسـاءت عقـولهـا التـأويـلا

حالة الشعراء الإسلاميين خارج الأرض المحتلة:

وأما الشعراء الإسلاميون خارج الأرض المحتلة فقد ساعدوا إخوانهم أهل فلسطين بصدق الكلمة الشعرية ولكن بصوت مبحوح لأنهم كانوا يرزحونَ تحتَ وطأة طغيان ظالم شل تفكيرهم وأشغلهم بأنفسهم بدل أن يفكروا بإخوانهم.. وهذه صورة من العراق...

---

(١) نجيب الكيلاني ـ أغاني الغرباء ـ ص ٣٧ بلا ناشر ١٩٧٢ .
نجيب الكيلاني كاتب قصصي مشهور وشاعر ولد في فلسطين ورحل إلى لبنان.
(٢) السابق ص ٣٧.

قال الشاعر وليد الأعظمي:

حتامَ يا نوري السعيد تسبى البلاد وكم تكيد
أو ما كفى هذا الفساد وما عقدتَ من العهود
سُقْتَ الشباب إلى المعاقل والمجازرِ واللحود
أفرطتَ في الافساد يا نوري وجاوزتَ الحدود
ولسانُ حالكَ يستمر مرداً هل من مزيد
أتريد أن نرضى هداكَ وأنتَ شيطانٌ مريد
أتريد منا أن نباركَ ما صنعتَ لبور سعيد
جهّزتَ أعداءَ البلاد بما أرادوا من وقود
وحميتَ ظهر المعتدين من الهزيمةِ والردود
ونصبتَ فَخَّ الإحتلال لسوريا الوطنِ المجيد[1]

لذلك أيد الشاعر سقوط الملكية في العراق للتخلص من الفساد على أمل قيام حكم إسلامي:

خانوا البلادَ وبدَّدوا أموالَها لقطاءُ ما رعوا الحقوقَ وضيعوا
نهبوا الفقيرَ وحاربوا إيمانه وتفننوا في الإعتداء ونوعوا
السالبين من البريء حقوقه وإذا شكا فالسجن والمستودع
بفسادِهم عاشَ الدخيلُ مُكَرَّماً وابنُ البلادِ مشردٌ ومضيع
أنقذتنا يا ربِّ من مَلَكية كانت بذورُ الحقد فينا تزرع[2]
وليعلمِ الأعداءُ أنّا أمةٌ بعواصفِ التهديد لا تتزعزع

وفي سورية عام ١٩٥٧ م قال الشاعر محمد الحسناوي:

قالوا أجبْ قلت المكارمُ غرفتي والورد بابي

(١) وليد الأعظمي الشعاع - ص ٦٨ الدار الكويتية طبعة ثانية ١٩٦٨م.
(٢) السابق ص ١٦.

قـالـوا: أجِب لـكـن عـظيـمـاً مـن سـؤال أو عـقـاب
فعـرفْتُ أنّ الشرَّ قَـدْ أرغى وأزبـدَ بـالـنـيـبـابِ

من أنت...؟

قلت: أنا الذي جرحوه عمداً بالسباب

ما الإسم: ما البلد الذي أنشاك ما عدد الصحاب

عفواً... وألقيتُ الـسؤال بسمعِ ساعتي السرابي

أضجرت...؟

بل لي موعدٌ والشمسُ تأذنُ بالغياب.

قال: اعترف وأصدقْ حديثَكَ فهو من حسن المآب.

هوناً أنا ما قلت شيئاً بعدُ ما جدوى الكذاب.

ما العمرُ؟ ما الإنسان.. يستر لؤمه بيض الثياب.

أنسا مـا حييت لمـا زعمتَ ولـو مشيتُ عـلى حـراب
ذي لـوحـتي وعـقـيـدتي فـاختر لنفسـك ما تحـابي[1]

وهذا عمر بهاء الأميري يتأوه على أمته وما حل بها ويذكرها في العيد:

ما بهجتي بالعيدِ إن لم تكنْ أمَّـتي الـغـراءُ في بـهجـةِ
ما لذتي في العيش والخطبُ قد حَزَّ صميمَ القلبِ من أمتي

ما لوعتي للأهلِ والأهلُ من شعبِ فلسـطين على لـوعـة
إنَّهم أولى من الأدْنَـينَ مـن أهليَ بـالعـطف والسزفرة[2]

ولقد كان رجال الأمة كما ذكرنا ما بين مشرد وسجين.. وفي السجن الإرهـاب والتنكيـل ففي داخـل الأرض المحتلة كـانت هـذه الصـورة في السجون....

(١) ملحمة النور ـ محمد الحسناوي ص ١٣١ دار القلم دمشق ١٩٧٤م.
(٢) عمر بهاء الدين الأميري من وحي فلسطين ص ٣٠ دار الفتح بيروت ١٩٧١م.

قال سميح القاسم[1]:

ذات يوم فاجأوني
دفعوا أمي وأختي جانباً واعتقلوني
وبعيداً أخذوني
ومع العتمة في بعض السجون
ضفروا لي الشوك لكن
ظل مرفوعاً جبيني
فركوا بالرمل والملح جراحي
والى ركن كريه ركلوني
كنت بستان جراح
رايةً حمراءَ منشورَ كفاح
حين صُرَّ البابُ في بعض السجون
قبل ميلاد الصباح
وبلا رعشة هدب قتلوني[2].

وكتب الشاعر أحمد الصافي النجفي[3] ديواناً أسماه حصاد السجن بعد أن ذاق مرارة السجن عندما سجنه الإنجليز وأقسى ما رأيت في الديوان هذه القصيدة:

سجنوني في غرفةٍ قد تعرتْ فكأنِّي سجنتُ وسطَ القفارِ
جاعلاً من ترابها لي فراشاً وغطاءً يلفني منْ غبار
ثم زادوا على الغبارِ غطاءً من نسيجٍ مضعضعٍ منهار

(١) شاعر من الدروز العرب الذين عاشوا الاحتلال اليهودي في فلسطين وهو من مواليد الرامة قضاء عكا..

(٢) د. عبد الرحمن الكيالي الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٤٢١.

(٣) أحمد الصافي النجفي ـ حصاد السجن ص ٨٣ مكتبة المعارف بلا تاريخ..
أحمد الصافي النجفي عاش متنقلاً بين إيران والعراق ثم استقر في سورية وتوفي فيها في السبعينيات من هذا القرن.

فإذا نمتُ يكتسي منه وجهي بغـريب الأصـوافِ والأوبسار
فتراني في الصبحِ أمضَغُ شَعْراً وتـرابـاً بـرغم حلقيَ سـار

أما السجن العربي الثوري فكانت صوره كالتالي يحكيها عالم ما عرف عنه إلا الصدق. . .

قال يوسف القرضاوي[1]:

صورتُ فيها ما استطعت بريشتي وتـركت لـلأيسام مـا يعييني
ما همتُ فيها بالخيالِ فإن لي بغـرائب الأحداثِ مـا يغنيني
في ليلةٍ ليـلاءَ من نـوفمبـرٍ فُزِّعتُ من نومي لصوتِ رنين
فإذا (كلاب الصيد) تهجمُ بغتةً وتحـوطني عن شمـأل ويمين
فتخطفوني من ذويَ وأقبلوا. . . فـرحـاً بصيـدٍ للطغـاء سمين
وَعُزِلْتُ عن بَصَرِ الحياةِ وسمعها وقُذِفتُ في قفصِ العذابِ الهون
في ساحةِ «الحربى» حسبُكَ باسمه من باعثٍ للرعب قد طرحوني
في كلِّ شبرٍ للعـذابِ مناظـرٌ يـندى لها ـ والله ـ كـل جبين
فترى العساكِرَ والكلابَ معدة للنهشِ طوع القائـد المفتون
هـذي تعض بنـابهـا وزميلهـا يعدو عليك بسوطه المسنـون
أسمعت بالانسان يُنْفَـخُ بطنُـهُ حتى يـرى في هيئة البـالـون
أسمعت بالانسان يُضْغَطُ رأسُهُ بـالـطوقِ حتى ينتهي لجنـون
أسمعتَ بالانسانِ يُشعَلُ جسمُه نـاراً وقـد صبغـوه بـالفـزلين
أسمعت ما يَلقَى البريءُ ويصطلى حتى يقولَ: أنا المسيء خذوني
واسأل ثرى الحربي أو جدرانه كم من كسيرٍ فيه أو مـطعون

(١) من مواليد مصر عام ١٩٢٦ شيخ جليل وعالم يحمل رسالة الدكتوراه في أصول الدين عمل في مجال الدعوة لذلك سجنه الطغاة أكثر من مرة.

وسل السياطَ السود كم شربتْ دماً ... حتى غـدتْ حمـراً بـلا تلويـن
واسأل زنازينَ الجليـد تُجبْكَ عن ... فَنِّ العـذابِ وصـنعـة الـتلقـين
بـالنَّارِ أو بـالزمهـرير.. فتلك في ... حينٍ وهـذا الـزمـهـريـرُ بحين
يُلقى الفتى فيـه ليـالي عـاريـاً ... أو شبـهَ عـارٍ في شتـا كـانـون
وهناك يُملي الاعترافَ كما اشتهوا ... أَوْلاَ.. فـويـلُ مخـالفٍ وحـرون
وسـل المقطَّمَ وهـو أعدلُ شـاهد ... كم من شهيـد في التـلال دفين
قتلتـه طغمـةُ مصـرَ أبشـعَ قَتْلةٍ ... لا بالرصـاص والا القنا المسنـون
بـل علقـوه كـالـذبيحـةِ هُيئتْ ... لـلقـطع والتمـزيق بـالـسكـين
عدنا المسـاء من المحاكمـة التي ... كـانت فصـولَ فكـاهـة ومجـون
نعـدو كما تعـدو الـظبـاء يسـوقنـا ... لهب السياط شكت من التسخين
مَنْ خَـرَّ إغمـاءً يفقْ عَجـلا على ... ضـربـات صـوت للعـذاب مهين
ومن ارتمى في الأرض من شيخوخة ... أو عـلَّةٍ.. داسـوه دوس الـطين
قـل للذي جعـل الكنـانـة كلهـا ... سجناً وبات الشعبُ شرَّ سجين[1]
سيزول حكمك يا ظلوم كما انقضت ... دول أولات عـسـاكـر وحصـون

وقال عدنان النحوي عن الحرية المزعومة عام ١٩٥٥م

لم تكن حـريـةً مـا زعمـوا ... غيـر قيـدٍ مـطبقٍ أو لجمِ
وسجـونٍ زُحِمَتْ أبـوابُهـا ... ورصـاصٍ عـاصفٍ محتـدم
إنهم ليسـوا إذا همَّ الـوغى ... غيـر سيفٍ واجف مـنهـزم
عصبةُ الحكام جـوري ربما ... لم يَطُلْ عهدُك جوري واظلمي[2]

وقال أيضاً:

---

(١) أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار ـ من شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ٣ ص ١٨. مؤسسة الرسالة ١٩٧٨م.

(٢) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ص ١٠٤ المكتب الاسلامي ١٩٧٦م.

أَدَمٌ يَـراقُ وفتيـةٌ يـتـسـاقـطو ... نَ وعصبةُ الطاغـوتِ فيهم تحكم
والشعبُ مسكينٌ يُجَـرَّدُ فـوقَـهُ ... سيفٌ تُشَـلُّ بـه اليـدانِ ويلجم
وَتـرُدُّ أبـوابُ السجـون وخلفَهـا ... جسـدٌ يغيب وهـمـةٌ تـتـقـدمُ
وَيُـشـرَّدُ الأحـرارُ في أفـواهـهم ... صـوتُ الجهـادِ قصـائـدٌ تتـرنمُ
وتبـاحُ أسـواقُ البـلادِ لغـاصبٍ ... يـومَ الجـلاءِ وقيـلَ ذلـك مَغْنَم
ومحـاكمُ التفتيشُ مَـدَّ رواقُـهـا ... كفٌ يسيلُ على جـوانبهـا الـدم
ومهـازلٌ فيهـا تُحـاكُ فـأحمقٌ ... يَـهْـذي وَحُـرٌّ قيـدوهُ وكـممـوا
ودعـوه بين بـنـادقٍ مَصْفُـوفـةٍ ... وَقَـنـاً محـددةٍ وقيـلَ تكلمـوا
ودعـوا الـى حـريـة وكـأنَّـهـا ... زَنْـدٌ يُكَبـله الحـديـدُ ومعصم
يا شعبُ باسمكَ كم تُبَاحُ مـظالمٌ ... والشعبُ لا يدري ولا هو يحكم[1]

وكتب سيد قطب رسالة الى السجناء ليشد من عزمهم ويقوي من صلابتهم فقال:

أخـي أنـت حُـرٌّ وراءَ الـسـدود ... أخـي أنت حـر بـتلك الـقـيـود
إذا كـنـتَ بـالله مـسـتـعـصـماً ... فمـاذا يضـيـركَ كيـدُ الـعبيـد
أخـي ستبيـدُ جيـوشُ الـظلام ... ويشـرق في الكـون فجر جـديـد
فـأطـلق لـروحـك إشـراقـهـا ... تـرى الفجر يـرمقنـا من بعيـد
أخي قد سرتْ من يديكَ الدماء ... أبـتْ أن تُشَـلَّ بـقيـدِ إلا مـاء
سـتـرفـع قـربـانهـا لـلسمـاء ... مـخـضـبـةً بـوسـام الـخـلود
أخي هـل سمعت أنين التـراب ... تـدك حصـاه جيـوش الخـراب
تـمـزق أحـشـاءه بـالـحـراب ... وتصفعـه وهـو صلب عـنيـد[2]

(١) السابق ص ١٠٩.

(٢) أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار ـ شعراء الدعوة في العصر الحديث جـ ٤ ص ٤٣ مؤسسة الرسالة ١٩٧٨م.

على أن الذي عاش فترة الخمسينات من هذا القرن هو الشاعر هاشم الرفاعي فقد سجل شعره هذه الفترة وصورها أحسن تصوير. . . فقد استوحى مما كان يسمع عن الارهاب في السجون قصيدة «رسالة في ليلة التنفيذ» فقال:

أبتاهُ ماذا قد يَخُطُّ بناني ... والحبل والجلاد منتظران
هذا الكتاب اليك من زنزانة ... مقرورة صخرية الجدران
ستمر يا أبتاه ـ لست أشك في ... هذا وتحمل بعدها جثماني
الليلُ من حولي هدوءٌ قاتلٌ ... والذكرياتُ تَمُورُ في وجداني
والصمت يقطَعُهُ رنينُ سلاسل ... عَبَثَتْ بهنَّ أصابعُ السجَّان
ما بين آونةٍ تمر. . . وأختِها ... يرنو الي بمقلتي شيطان
ويدور همس في الجوانح ما الذي ... بالثورة الحمقاء قد أغراني
أولم يكن خيراً لنفسي أن أرى ... مثلَ الجميع أسير في اذعان
ما ضرني لو قد سكتُ وكلما ... غَلَبَ الأسى بالَغْتُ في الكتمان
هذا دمي سيسيلُ يجري مطفئاً ... ما ثارَ في جنبيَّ من نيران
وفؤاديَ الموارُ في نبضاته ... سيكفُّ في غده عن الخفقان
والظلم باق لن يُحَطِّمَ قيدَه ... موتي ولنْ يودي به قرباني
ويسير ركبُ البغي ليس يَضِيرُه ... شاةٌ إذا اجْتُثَّتْ من القطعان
وتقول لي: إنَّ الحياة لغاية ... أسمى من التصفيق للطغيان
أنفاسُكَ الحرّى وإن هي أُخمدت ... سَتَظلُّ تغمر أُفقهم بدخان
وقروح جسمك وهو تحت سياطهم ... قسماتُ صبح يَتَّقيه الجاني
دمعُ السجين هناكَ في أغلالِه ... ودمُ الشهيد هنا سيلتقيان
أنا لست أدري هل ستذكر قصتي ... أم سوف يعروها دجى النسيان
أو إنني سأكون في تاريخنا ... متآمراً أم هادم الأوثان
كل الذي أدريه أن تجرعي ... كأس المذلة ليس في إمكاني
لو لم أكن في ثورتي متطلبا ... غير الضياء لأمتي لكفاني[1]

(١) تحقيق محمد حسن بريغش ـ ديوان هاشم الرفاعي ـ ص ٢٩٩ مكتبة الحرمين ـ الرياض ـ ١٩٨٠م.

وينتقل الشاعر الى لوحة أخرى من لوحاته المأساوية عن تلك الفترة:

مـأسـاتُـنـا مـأسـاةُ نـاس أبـريـاء
وحـكـايـةٌ يغـلي بـأسـطُرِهـا الشـقـاء
حـمـلتْ الـى الآفـاقِ رائـحـةَ الـدمـاء
وجـريـمَتي كـانـت مـحـاولـةَ الـبـقـاءَ
أنـا مـا اعتـديتُ ولا أدخـرتُـكَ لاعتـداء
لـكـن لـثـأرٍ نـبـعُـهُ دام..... هـنـا
بـيـن الـظوع جـعـلتُـهُ كـلَّ الـمـنـى
وصبغـتُ أحـلامي بـه فـوق الـهضـاب
وظمئت عمـري... ثم مِتُّ بـلا شـراب
كـانـت لـنـا دارٌ وكـان لـنـا وطـن
ألـقتْ بـه أيـدي الـخيـانـة لـلمـحـن
وبـذلـت فـي إنـقـاذه أغـلى ثـمـن
بـيـدي دفنـتُ أخـاكَ فـيـه بـلا كـفـن
إلا الـدمـاءَ ومـا ألـم بـي الـوهـن[1]

ويصور فرحة شعب مصر بالجلاء البريطاني عن مصر وينظر الشاعر بعين شفافة لترى ما بعد الجلاء... فهل تحسنت أحوال الشعب أم ساءت...

قالوا الجلاءُ... فقلتُ حلمُ خيالِ ... لا تـطـمَعُوا في نيـل الإستقلال
ليس الجلاءُ رحيلَ جيشِ غاصبٍ ... إن الجـلاء تحـطم الأغـلالِ
إن يترك الوادي الدخيلُ فإننا ... نحيا بمصر فـريسة الإذلال..
مـا كـان هـذا الأجنبي ببـالـغٍ ... في البطش مبلغ سالمٍ وجمال
الشعبُ مشـدودُ الأسار مكممٌ ... يشكو القيودَ وما له من وال..

(١) السابق ص ٣٦٦.

ولقد ظننا أننا في عهدهم ... سنُزيحُ عنا مرهق الأثقال
طَعَنُوا جبابرةَ الكفاح وألصقوا ... عارَ الخئون بجبهة الأبطال
هم أخرسوا الأصواتَ حتى إنها ... باتتْ تُكَتِّمُ رنةَ الإعوال
هم حطَّموا الأقلامَ.. ما تركوا لنا ... غيرَ النفاقِ بغيثِهِ الهطَّال
بثوا عيونَ البغيِ فينا واشتروا ... بعضَ النفوسِ حقيرةَ بالمال
قد حُوربَ الأحرارُ في أرزاقهم ... من ظالمٍ في الظلم ليس يبالي
عُدْ يا جمالُ بما تشاءُ مظفراً ... إن الطغاةَ قصيرةُ الآجال
وارمِ البلادَ لكي تضلل تسومَنَا ... خسفاً بمثل مكيدةِ العمال[1]
لم يعرفِ الباستيلُ يوما بعض ما ... في سجنك الحربيِ من أهوال[2]

وقال أيضاً:

أنزلْ بهذا الشعبِ كلَّ هوانِ ... وَأَعِدْ عهودَ الرقِّ للأذهان
واقتلْ به ما سْطَعت كلَّ كرامةٍ ... وافرضْ عليه شريعةَ القرصان
أطلق زبانيةَ الجحيمِ عليه من ... بوليسِكَ الحربيِ والأعوان
واصنعْ به ما شئتَ غير محاسبٍ ... فالقيدُ لم يُخْلَقْ لغيرِ جبان
إن الشهيدَ قتيلُكم وطريدُكم ... حر.. وليس سجينكم بمدان
كفلوا لكل مواطن حريةً ... في الرأي.. إنْ أثنى على الطغيان
هذي الصحافة حرة أقلامُها ... في جوف أربعة من الجدران
لم تخش بأس رقابة من بعد أن ... ألقوا بها في ظلمة القضبان
أما الإذاعةُ فهي بوق دعايةٍ ... عادت بداء الوقر للآذان..
جلادُ مصرَ ويا كبيرَ بغاتها ... مهلاً فأيام الخلاص دواني

---

(١) عنى مسيرة العمال التي طالبت بتحريض من عبد الناصر بإلغاء الحريات.
(٢) السابق ص ٤٠٧.

من أي غابٍ قد أتيت بشرعةٍ ... ما إن يساس بها سوى الحيوان
وبأي قانونٍ حكمت فلم تدعْ ... شيئاً لطاغية مدى الأزمان[1]

وقال:

أفي مصر نحيا اليوم أم في جهنمِ ... فقد نضجت منا الغداة جلود
ثلاثة أعوام رأينا خلالها ... من الهول ما لا قد رأته ثمود
وذقنا من الإرهاب ما لا يذوقه ... ولو مرة عند الحدود يهود[2]

وقال أيضاً:

وقال جلاده يوماً.. يداعبه ... إختر رئيسك لا ترهب أذى أحد
رئاستي إن تُرِدْهَا أنت كان بها ... ولا سواي لها إن أنت لم ترِد
وسيق قومي إلى تأييد سيدهمْ ... يلف أعناقَهم حبلٌ من المسد
كأنه لم يلغْ بالأمسِ في دمهم ... بلا قصاص بلا ثأر بلا قود

أما حاكم مصر فقد حكم بالإنتخاب الذي نال فيه ٩٩,٩٪ بالمائة ومارس حكم البلاد بشكل ديمقراطي ألم يكن عنده مجلس للأمة...؟
وماذا يريد الشعب أكثر من ذلك...؟

أما هاشم الرفاعي فله رأي من الواقع فيما رأى من مجلس الأمة خصوصاً وأن له أخاً فيه:

ها هم كما تهوى فحركهم دمى ... لا يفتحون بغير ما تهوى فما
إنّا لنعلم أنهم قد جُمّعوا ... ليصفقوا إن شئت أن تتكلما
وهم الذين إذا صببت لنا الأسى ... هتفوا بأن تحيا لمصر وتسلما

(١) السابق ص ٤١٥.
(٢) السابق ص ٤٢٨.

قد كنت مكشوف النوايا فاتخذ ... منهم لتحقيق المطامع سلما[1]
غررتنا يوم القتال وكنت لا... ... تنفك إن ذكر العدا متهكما
ودعوتَنا لنقيمَ مجلس أمةٍ ... حرٍ.. فَصَدَّقْنَا وقلنا.. ربما
وفجعت أمتنا بمجلسها الذي ... سُقتم إليه (موافقين) ونوما

ثم يجمع الشعراء الإسلاميون أنه لا عز ولا نصر ولا عدالة إلا بتحكيم شرع الله.. يقول الشاعر أحمد فرح عقيلان:

هزمنا يومَ ضاعَ الدينُ منا ... أليسَ الكفر مصدر الإنهزام
وهمنا بالمناصبِ وهي غلٌ ... وأسلمنا الأمانةَ للحرامي
إذا حَكَم المدائنَ مجرموها ... فما للحرِ فيها من مقام
فلا تثقوا بعبدان الأعادي ... ولا تنسوا مؤامرة اللئام
أنوماً والديارُ تبيت تبكي ... لواءَ الدين في القدس الحرام
ثقوا بالله وارجوا حسنييها ... وسيروا فالحياة إلى أمام[2]

ويقول الشاعر عدنان النحوي:

أمتي عودةٌ إلى الله تحيي ... ميتَ الأرضِ والنفوسَ الخواء
أمتي عودةٌ تَردُّ إلى النـ ... ـفس ضياءً يمزق الظلماء
عودة ترجع الجهاد وتعلي ... راية الحق واليقينَ علاء
يا فلسطينُ هذه سبلُ النصر ... فهبي ورددیها نداء
عصبة الحق ما تزالُ تدوي ... وتمد الكتيبة الخضراء
حملت في فؤادها آيةَ الله ... يقيناً وفي اليدين مضاء
في ظلال القرآنِ يهدرُ زحفٌ ... ملأ الأرضَ واستَظَلَّ السماء[3]

(١) السابق ص ٤٢٩.
(٢) أحمد فرح عقيلان ـ جرح الاباء ـ ص ٦٩ منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.
(٣) عدنان النحوي ـ الأرض المباركة ص ٦٦ المكتب الاسلامي ـ .

يقول الشاعر يوسف العظم:

في المحيطِ اللُجّي قدنا سفينا ... وعلى الأرضِ كم بَعَثْنَا سرية
ننشرُ العدلَ والرخاءَ ونبني ... بأكفِّ الهدى صروحاً علية
ذاكَ سرُ الفوزِ الذي نرتجيهِ ... وهو مفتاحُ نصرِنا في القضية
ما يفيدُ السلاحُ في غير تقوى ... والليالي عربيدةٌ خمرية[1]

قال الشاعر وليد الأعظمي:

هتف الزمانُ مهللاً ومكبرا ... إن العقيدة قوة لن تقهرا
هي سر نهضتنا ورمز جهادنا ... وبها تبلج حَقُّنَا وتنورا
لا شيءَ كالإيمانِ يرفع أمةً ... لتقوم تلوي الظالم المتجبرا
لا شيء كالإيمان يدفع غافلا ... عن حقه أو عاجزاً متخدرا
لولا العقيدةُ ما تقدَّمَ خالدٌ ... بجيوشهِ مثل الهزبر مزمجرا[2]

وقال عمر بهاء الأميري يخاطب جمع مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ م:

هذي فلسطينُ ما زالتْ تَأَوَّهُ من ... جراحِ عرضٍ سباهُ البغيُ والأَشِرُ
قرع الطبول.. وإن دوى وجلجل في ... الآفاق ـ ليس له يوم الوغى خطر
خزي الهزيمة لا يجتث شأفته ... غير الكفاح فما يجديه مؤتمرُ
دعائم المجد: إيمان ومعرفة ... وعدة وعديد للألى صبروا
من سار وفق نواميس الإله عنت ... لَهُ الجباهُ وأملى حكمَهُ القَدَرُ[3]

وقال محمود أبو النجاة:

من لي بقومٍ على نهجِ الرسولِ بنوا ... ملكاً سما فوق هام الدهر بنيانا

(١) يوسف العظم ـ في رحاب الأقصى ص ٣٥ المكتب الاسلامي طبعة ثالثة ١٩٨٠م.
(٢) وليد الأعظمي ـ أغاني المعركة ص ٧٢ دار النشر للطباعة.
(٣) عمر بهاء الدين الأميري ـ من وحي فلسطين ص ٣٣ دار الفتح بيروت ١٩٧١م.

في ظـل رايَتِهِ الخفـاقَـةِ ازدَهَـرتْ حيـاتُنَـا وسمتْ بـالـروحِ أخـرانـا
العــدلُ شـرعَتُــهُ والسيفُ قُـوَّتُــهُ والعدلُ والسيفُ خيرٌ حيثمـا كانـا
يا سادَةَ الحفـلِ للإسـلامِ قاعـدةٌ إذا رعينــا حقـوقَ الله يــرعـانــا
شتان ما بين تشـريعِ السمـاءِ لنا وبين تشريعِ أهـلِ الأرض شتانـا
روضوا على مَنْهَجِ القرآنِ أنْفُسَكُمْ يَمْـدُدْ لكمْ رَبُّكمْ عزّاً وسلطانـا[1]

ويقول أحمد حسن القضاة[2]:

يـا أيها النـاس لا حيـاة لقـوم تخذوا (الغرب) نزهة المشتـاق
لا وربي لن تحرزوا النصر يوماً أو تعيشــوا ومـا لكم من واق
غيــر عــود لــدينكم والتخلي عن حيــاةٍ مـملوءة بـالـنفـاق
فدعوا الغرب واقذفوا ما حباكم ودعوا (الشرق) ما له من خلاق
واعبـدوا الله لا تنوا عن هـداه واستمـدوا من دينكم كل بـاق
قد ظللنا نصـادق الغربَ حتى قــد رمــانــا بهــوة الإخفــاق
فـطعمنـا من فيضـة مُـرَّ طعمٍ وكفـانـا من وده مــا نـلاقي[3]

ومن واقع الأمة الممزق خرجت من قلب الشاعر محمود غنيم دعوة خيرة لهذه الأمة:

إني لأعتبــر الإسـلامَ جــامعـةً للشرق لا محض دين سنه الله
أرواحنـا تتـلاقى فيــه خـافقــةً كالنحل إذ يتـلاقى في خلايـاه

---

(١) أحمد عبد اللطيف وحسني أدهم جرار ـ شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ٦ ص ٥٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م.
(٢) من مواليد عجلون في الأردن عام ١٩٣٨ نهل الأدب والفقه واللغة له ديوان (بشراك يا قدس).
(٣) السابق جـ ٤ ص ١١١.

هي العروبة لفظ إن نطقت به ... فالشرق والضاد والإسلام معناه
دستوره الوحي والمختار عاهله ... والمسلمون وإن شتوا رعاياه
لاهُمَّ قد أصبحتْ أهواؤنا شيعاً ... فامنن علينا براع أنت ترضاه
راع يعيد إلى الإسلام سيرته ... يرعى بنيه وعين الله ترعاه[1]

(١) السابق جـ ٢ ص ٦٧.

obeikandl.com